الجـــــزء الثالث عشر

من الخطط الجـــديدة لمصر القاهــــرة

ومـــدنها وبلادها القـــــــديمة والشـــــــهيرة

تأليف

الجناب الامجــــــــد والملاذ الاســـــــعد

ســـعادة على باشا مبارك

حفظــــه الله

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميــــه

ســــــــنة ١٣٠٥

هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

(حرف الصاد) (صا الحجر) بغير نون بعد الصاد المهملة والالف هى مدينة سائس القديمة المشهورة بالمؤلف وهى غير صان الحجر بالنون بعد الالف التى هى مدينة تانيس وسيأتى الكلام عليها قريبا وصا الحجر الآن بلدة من مديرية الغربية بمركز كفر الزيات فى شرقى بحر رشيد بنحو ألف متر وفى شرقيها ترعة القضابة على نحو ألفى متر وأبنيتها باللبن والآجر وبها جامعان أحدهما بمنارة وخمس زوايا فى احداها مقام ولى يسمى السيد عيسى حسين وبها معمل فراريج وفيها بيت مشيد لعبد الرحمن افندى قائدما مور ضبطية محلة منوف وساقية عذبة الماء يبلغ بعد مائها عند انتهاء نقص النيل أربعة أمتار وبها جملة أضرحة لجماعة من الصالحين مثل سيدى شداد وسيدى ابراهيم العزب والشيخ ابراهيم الرحاوى وسيدى عباس بن مرداس رضى الله عنه يعمل له مولد كل سنة وتنصب فيه الخيام ويوقد فيه الشموع ويستمر أياما وفى قبليها وابور لحلج القطن لبعض الاوروباويين وعندها جنينة نضرة فيها كثير من الرياحين كانت معدة للنزهة زمن العزيز محمد على باشا وجنينة أخرى ذات فواكه كثيرة وأكثر أهلها مسلمون وأطيانها الخراجية ألف وثمانمائة فدان وستة وخمسون فدانا والعشورية ثلثمائة فدان وعشرة أفدنة وجميعها تروى من النيل وفيها تل متسع هو أصل المدينة القديمة فى جهة منه محل يعرف بالربوة مسطحه نحو أربعة آلاف وتسعمائة متر غير مسطح باقى التل وبه آثار من الابنية القديمة تظهر بالحفر لنحو أخذ السباخ مبنية بالآجر واللبن طول اللبنة نصف متر وسمكها ثلاثون سنتمترو يقال انه وجد فى تلولها بالحفر فى سنة ست وثمانين من هذا القرن تماثيل من الذهب الاحمر ونقود كبيرة يبلغ حجم دائرتها سبعة سنتمترات وعليها اسم بعض ملوكها باللغة القديمة المصرية وهى احدى البلاد التى كانت فى سنة تسع وتسعين وألف هجرية فى التزام أغات خزندار السلطان محمد العثمانى وكان الحاكم بمصر اذذاك حسن باشا السلحدار ومثلها ناحية أم دينار وتوابعها بولاية الجيزة والمنصورية وتوابعها بالجيزة أيضا وناحية نكلا وتوابعها بالولاية المذكورة وأشمون جريس بالمنوفية وغير ذلك وقد غضب حسن باشا على أغات خزندار السلطان فأمر ببيع أملاكه فبيعت بابخس الاثمان حتى ان ناحية صا الحجار وأشمون جريس بيعتا بمائتين وسبعين كيسا وقد بسطنا الكلام على ذلك عند ذكر ناحية بوش نقلا عن كتاب نزهة الناظرين ثم ان أكثر المؤرخين أو جميعهم قد تكلم على هذه المدينة ومشتملاتها وعلى معنى كلمة صا وكلمة صان وسائس واعتنوا بها اعتناء كبيرا قال هيرودوط ان كلمة سائس من اللغة القبطية القديمة وزعم بوزنياس ان معنى سائس عند اليونان منيروا ورد عليه بعض شارحى هيرودوط بأن منيروا اسم للمقدسة نيف عند المصريين وسائس اسم مدينتها وظن بعض المؤرخين ان لفظ سائس محرف من اسم الزيتون العبرانى وهو سايث بثاء مثلثة فى آخره وزعم ان هذا الصنف كان يزرع بها كثيرا وان أهلها كانوا يكثرون من عمل الاعياد والمواسم للمقدسين بسبب جودة محصول هذا الصنف وبركته وليس الامر كما زعم فان شجرة الزيتون قليلة فى أغلب أرض مصر من قديم وانما كثرته فى أرض الفيوم والاسكندرية ولكن زيتون الاسكندرية لازيت له وزيتون الفيوم ذو رائحة قوية شديدة وزعم الاثينيون ان شجرة الزيتون من نفعات منيروا والمصريون يجعلونه من نفعات المقدس هرمس وهو الذى أوجده فى هذه البلاد انتهى وجعل ابن حوقل مدينة

صا على الشاطئ الشرقي من فرع رشيد في تكلمه عليه وقال انها محل اقامة الحاكم وفيها جامع من أعظم الجوامع وعدة كنائس واسواق وحمامين على عين تسمى عين موسى وذكر المقريزي ان خط (صا) فيه ثلاث وسبعون بلدة غير الكفور وذكرها الادريسي في مؤلفاته وجعلها على الشاطئ الشرقي من فرع رشيد كما قاله ابن حوقل وموضعها على ما قاله استرابون في داخل الارض على ثلاثة فراسخ من النيل وفي بعض عباراته انها بعيدة عن النيل بقدر شينين قال والشين عبارة عن ستين استادة أو ستة آلاف مترو ونقل عن أرتميدور أن الشين المستعمل في قياس الابعاد للملاحة فوق النيل كان يختلف بحسب الجهات ففي بعضها كان يقدر بأربعين غلوة وفي بعضها بأكثر فكان مقداره منفيس الى طيبة مائة وعشرين غلوة ومن طيبة الى اسوان ستين غلوة وجعل أرتميدور المسافة بين الاسكندرية ورأس الدلتا على النيل ثمانية وعشرين شينا يعني ثمانمائة وأربعين غلوة باعتبار ان الشين ثلاثون غلوة ثم قال ان من بيلوز (الطينة) الى الدلتا خمسة وعشرين شينا أي سبعمائة وخمسين غلوة وقال بعض شارحي استرابون ان أقصر طريق الملاحة من رأس الدلتا الى الاسكندرية بالسير على النيل والخلجان مع المرور بدمنهور وطوله مائتان واحد وأربعون ألف مترو ومائة مترعبارة عن مائة وثلاثين دقيقة واحدى عشرة ثانية من مقياس العروض وبتحويل هذا المقدار الى غلوات باعتبار ان كل درجة خمسمائة غلوة وهو أكبر ماقدره الاقدمون للدرجة يبلغ المقدار السابق ألفا وخمسا وثمانين غلوة وهو أكبر من الثمانمائة وأربعين غلوة السابقة بأكثر من الربع وكذا المسافة من الطينة الى الدلتا فانا لو اتبعنا بحر الطينة مع المرور على فاقوس وبوباسط والتونة وشبين القناطر الى بيسوس نجد البعد مائتي ألف وستة آلاف وخمسمائة مترو وهذا يقابل مائة واحدى عشرة دقيقة وثلاثين ثانية وهو عبارة عن تسعمائة وتسع وعشرين غلوة لا سبعمائة وخمسين كما تقدم وعلى هذا فالظاهر أن هذه الاعداد لاتخلو عن غلط في النقل أوغيره فلو قدرت الشين بستين غلوة لا بثلاثين لصحت تلك الاعداد ووافقت الصواب انتهى

وذكر مريت في تاريخه ان من هذه المدينة فراعنة الثلاث عائلات الرابعة والعشرين والسادسة والعشرين والثامنة والعشرين ومدة الاولى ست سنين والثانية مائة وثمان وثمانون سنة والثالثة سبع سنين وفي آخر مدة العائلة الرابعة والعشرين استولى سبقون الحبشي على مصر وأحرق الملك باكوريس بالنار وأقام بها خمسين سنة وذلك قبل المسيح بسبعمائة وخمس وعشرين سنة ثم طرده عنها فراعنة العائلة السادسة والعشرين ثم دخلت الفرس وتغلبت على الديار المصرية في زمن آخر فراعنة هذه العائلة وهو بسماتيكوس الثالث الذي قتله جشيد ملك الفرس وأقام الفرس بها مائة واحدى وعشرين سنة قبل المسيح بخمسمائة وسبع وعشرين سنة ويؤخذ من كلام بعض المؤرخين ان الامير أميرتيه الذي جلا الفرس عن ديار مصر كان من هذه المدينة وكان ذا رأي وتدبير وفي خطط الفرنساوية ان خراب مدينة صا الحجر القديمة بقرب القرية الجديدة المسماة باسمها وان صا كانت من اعظم مدن الوجه البحري وبالحفر في تلالها وجدت آثار تدل على انهم كانوا يجعلون قبورهم طبقات بعضها فوق بعض وقال استرابون بعد أن تكلم عليها ان الذي كان مقدسا في هذه المدينة هو منروا وله فيها معبد به قبر بسماتيكوس وقال هيرودوط ان الفرعون ابريس بنى بها سراي جليلة القدر ومعبدها يفوق جميع معابد مصر وكان به قبر أوزريس وقد زخرف هذا القبر فرعون زيادة على زخرفته الاصلية وبنى به ايوانا يفوق كل ايوان بمصر في الاتساع والزينة ووضع به تماثيل كبيرة جدا منها ما ارتفاعه اثنان وسبعون ذراعا مثل الذي وضعه في مدينة منفيس أمام معبد ولكان ولم يقتصر على ذلك بل عمر المعبد جميعه وأحضر له الحجارة الكبيرة من محاجر منفيس واسوان ونصب أمامه مسلات شاهقة وجعل بقربها فسقية ماء مستديرة الشكل مكسوة بالحجر فكان القسيسون يجتمعون عليها ليلا ويتظاهرون بأسرار هذا المقدس فيجعلون ذلك مبدأ لما يظهر فيه كل منهم ماعنده من الاسرار والخوارق وكانت الزينة في داخل المعبد وخارجه سواء فكانت الاعمدة محيطة بدائر الحوش كهيئة النخل وعلى شمال الداخل كذلك وفي جنب سور الجهة التي بها المقدس منروا كان قبر ابريس وقبور غيره من أهل هذه المدينة أو من خطها وفي أيام هيرودوط كان قبر امزيس يرى بعيدا عن قبر ابريس قال وقد رأيت في السراي الملوكية تمثال بقرة كبيرة جاثية على ركبتيها وهي مكسوة بالحرير مذهبة الرأس والرقبة وبين قرنيها تمثال شمس من ذهب وكل يوم تبخر بأنواع البخور

ويوقد امامها كل ليلة قنديل ويقربها أودة فيها تماثيل عشرين امرأة من الخشب عرايا يزعم الكهنة انها تماثيل جوارى الملك مسيرينوس وانه كان قد عشق بنته فامتنعت منه وقتلت نفسها فصلبها فجعلها أبوها فى هذا التمثال وقطعت أمها أيدى الجوارى اللاتى سلمتها الى أبيها ولذا ترى تماثيلهن بغير أيد قال وأظن ان هذا كلام خرافة وانما سقطت الايدى من تلك التماثيل لطول الزمن وكانوا كل سنة يخرجون تلك البقرة من محلها وذلك فى وقت اكثار المصريين من العويل وضربهم على صدورهم حزنا على مقدسهم الذى لا أسميه فيكشفونها للشمس فى ذلك اليوم لانها تمنت من أبيها ذلك عند موتها وزعم بعض شارحى هيرودوط أن ذلك المقدس الذى لا يسميه هو أزريس اذ كانوا يشهرون فى عيده أربعة أيام عجلا مذهبا مكسوا من الكتان الرقيق الاسود قال وانما كان اسود لحزنهم على المقدسة ازيس انتهى وأعجب ما كانت تحتوى عليه هذه المدينة معبد كان عبارة عن حجر واحد كان قد احضره الفرعون امزيس من جزيرة اسوان ووضعه بهذه المدينة واستعمل فى نقله ألفى ملاح من المراكبية نقلوه فى ثلاث سنين وكان طوله من الخارج احدا وعشرين ذراعا وعرضه أربعة عشر ذراعا فى سمك ثمانية أذرع وطوله من الداخل ثمانية عشر ذراعا وعشرون اصبعا وعرضه من اثنى عشر ذراعا فى سمك خمسة أذرع باعتبار ان الذراع هو الذراع الذى وجد فى مقياس جزيرة اسوان يكون طول خارجه احد عشر مترا وستة أجزاء من مائة من المتر وعرضه ثمانية وثلاثين جزأ من مائة من المتر وسمكه أربعة أمتار واثنين وعشرين جزأ من مائة من المتر ويكون طول داخله تسعة أمتار واثنين وتسعين جزأ من مائة من المتر والعرض ستة أمتار واثنين وثلاثين جزأ من مائة فى سمك مترين وثلاثة وستين جزأ ونصف ومقتضى ذلك أن مكعب الصخرة التى خرج هذا الحجر منها كان ثلثمائة وأربعة وأربعين مترا ونصف متر مكعب فيكون وزنه تسعمائة وأربعة عشر ألفا وثمانمائة واثنين وثلاثين كيلوجرام باعتبار أن وزن القدم المكعب مائة وستة وثمانون بورا فان استنزل من ذلك مكعب الفارغ وهو مائة وخمسة وستون مترا وعشرون جزأ من مائة من المتر يكون الباقى الذى نقل من اسوان اليها مائة وتسعة وسبعين مترا مكعبا وثلاثين جزأ من مائة فيكون وزنه أربعمائة وستة وسبعين ألفا وستة وسبعين كيلوجرام وقد صار البحث كثيرا عن هذا الحجر فلم يعثر له على أثر ولعله مدفون فى تلولها وكان من عوائد أهل هذه المدينة فى ليلة معروفة عندهم لتقريب القرابين أن كل واحد منهم يوقد حول بيته عدة قناديل وكان ذلك يسمى عيد القناديل وكذلك المصريون الذين لا يمكنهم الذهاب الى هذه المدينة فى ذلك اليوم يوقدون القناديل حول مساكنهم فى تلك الليلة فيكون جميع البلاد أو أغلبها موقدة القناديل حول بيوتها وفى دفاتر التعداد أنه كان على الشاطئ الغربى فى مقابلة هذه المدينة بلدة تعرف بمحلة صا من بلاد البحيرة وقد تكلم المقريزى فى تقسيم مصر على خط صا واطلق فقال ان بها ستة وأربعين بلدة (فائدة) فى قاموس الجغرافية الافرنجى أن سكروب الذى هو مؤسس مدينة أثينة بارض اليونان أصله من صا الحجر بارض مصر دخل بلاد يونان مع كثير من الناس وأسس هذه المدينة التى صارت تختا لتلك البلاد وذلك قبل الميلاد بألف وستمائة وثلاث وأربعين سنة وهو الذى نشر عبادة منيروا وجوبيتر وعلم أهل هذه الارض الفلاحة والتجارة وأدخل بينهم الزواج ودفن الاموات ومات سنة ألف وخمسمائة وأربع وتسعين ولبقاء ذكره أطلقوا اسم سكروبيا على مدينة أثينة أو على الولاية التى هى تختها انتهى (صان الحجر) مدينة قديمة كانت من المدن الشهيرة فى الوجه البحرى وقد ترجم هذا الاسم مترجمو التوراة بكلمة تسوان وقالوا انها كانت تخت مصر فى زمن موسى عليه السلام وترجمه أرشيل القبطى بكلمة جانيه وفى بعض كتب الاقباط بكلمة جانى وفى الكتب العربية صان أو صاجان قالوا وهى المعروفة قديما بتانيس ويستفاد من كلام من كتب على التوراة أنها بنيت قبل مدينة جيرون التى هى مدينة الخليل عليه السلام بسبع سنين وقد تكلم عليها استرابون وعلى فرع النيل المجاور لها المعروف بالطانطيقى وقال ان مدينة تانيس هى رأس خطها وكذا تكلم عليها هيرودوط وبلين أيضا وفى خطط أنطونان أن تانيس واقعة بين طمويس (أشمون طناح) وهيرقليوبوليس ويوافق هذا ماذكره يوسف الاسرائيلى أن الامير تيت لما وصل مدينة طمويس سار فى البحر الى تانيس ومنها الى هيرقليوبوليس ومدينة تانيس كانت من مديرية أغسطمانيقا الاولى وكانت كرسى أسقفية وجمع الاب لقيان أسماء جملة من أساقفتها وقال بعضهم ان لفظ تانيس يطلق على مدينتين من بلاد مصر احداهما المدينة التى ينسب اليها الفرع المتقدم ذكره

ومحلها الآن مدينة دمياط والثانية هي مدينة تسوان المذكورة في التوراة وهي عين مدينة سائس (صا) التي تكلم عليها استرابون وافلاطون في مؤلفاتهما ورفض كترمير الشطر الاول بالمرة وقال ان الشطر الثاني صحيح من جهة دون جهة فان كون تسوان هي مدينة سائس غير صحيح لان سائس هي صا بغير نون والكلام في صان بالنون وكون تانيس هي تسوان صحيح مسلم وان لم يرتضه العالم لرشي الجغرافي المشهور فقال لا يصح أن تكون تانيس هي تسوان لان تسوان مدينة من مدائن الملوك وهي كرسي المملكة بخلاف تانيس فانها صغيرة وفقيرة لا يصح أن تكون كرسي مملكة لان كسيان قد وصفها بانها واقعة في وسط البحر المالح يحيط بها الماء من كل جهة وليس لاهلها شغل الا الملاحة وليس لهم أرض يزرعونها وعند ارادة بناء منازلهم ينقلون اليها التراب في المراكب انتهى والصواب أن وصف كسيان انما هو لمدينة تنيس بغير ألف وكلامنا في تانيس بألف بعد التاء المثناة الفوقية وهما مدينتان متباينتان في الاماكن والاوصاف وقد عدهما مترجموا التوراة مدينتين لا مدينة واحدة وهم أعلم بجغرافية مصر من غيرهم فالفقيرة الصغيرة هي تنيس لا تانيس وبسبب كون العالم لرشي لم يأت الى هذه الديار وانما أخذ الاسماء من الكتب ظن أنهما مدينة واحدة فقال ما قال ومما يدل على صحة ما قلنا أن القسيس لقيان ذكر أن في اقليم أغسطمانيقا غير مدينة تانيس مدينة أخرى اسمها تنيس وفي كثير من كتب القبط يذكر اسم قسيس تانيس وقسيس تنيس ثم ان اسم جانى المسماة به مدينة تانيس معناه الارض المنحطة وهذا يوافق مدينة صان التي جعلها العرب في مؤلفاتهم في الجهة المسماة بأسفل الارض فليست تانيس هي مدينة سائس المسماة في كتب العرب بصا لان جميع الاوصاف المذكورة في كتب مؤلفي الاقباط وغيرهم تدل على ان تانيس في أرض منحطة على فرع أصلي من فروع النيل وليست مدينة سائس بهذه الاوصاف انتهى وفي المقريزي عند تكلمه على قبائل العرب الذين سكنوا مصر حين الفتح ذكر أن قبيلتي لخم وجذام سكنوا في أخطاط طربا واطليل وصان انتهى وكانت صان زمن المؤرخ يوسف الاسرائيلي قد انحطت عن قدرها وأخذت في التقهقر بسبب قربها من مدينة تنيس التي كانت أخذت في الشهرة واتسعت دائرة التجارة بها لقربها من البحر حتى وردها كثير من الاغراب وانتقل اليها كثير من أهالي تانيس وهذا هو سبب ذكر مدينة تنيس في كتب العرب أكثر من ذكر تانيس مع أن مدينة تانيس كانت من مساكن الملوك كما قال مريت في كتابه ان تانيس (صان) هي مقر فراعنة العائلة الحادية والعشرين والثالثة والعشرين وكانت مدة الاولى مائة وثلاثين سنة وملوكها سبعة والثانية تسعا وثمانين سنة وملوكها أربعة ولم يمكن معرفة الوقت الذي خربت فيه هذه المدينة وأول من عين موضعها الاب سيكار وقال انها في الجنوب الغربي من مدينة الطينة وعلى بعد يوم منها وقال بعض السياحين يلزم المسافر اليها من دمياط أن يسافر ثلاثة أيام ذهابا وايابا وانها في مديرية الصالحية وعلى بعد ستة فراسخ من بحيرة المنزلة ونصف فرسخ من بحر مويس وخرابها ممتد كثيرا في طول شاطئه وبها آثار سبع مسلات وبعض قطع تماثيل يرى عليها اسم منفتا الثاني وظن دنويل بناء على قول الادريسي أن مدينة تانيس محلها مدينة طناح لانه ذكر أن مدينة طناح على فرع مدينة تنيس ولم يعتمد هذا القول كترمير وقال الادريسي بعد أن تكلم على الفرع الخارج من فرع النيل الشرقي تحت مدينة أنطو هي المتوجه الى الغرب انهما يجتمعان عند شبرى ودمسيس وعلى بعد صغير من هذا الموضع ينقسم الفرع الاول الى فرعين أحدهما يتوجه الى الشرق نحو تنيس والثاني يتوجه الى الغرب نحو دمياط والظاهر أن الفرع الخارج من النيل تحت دمسيس خلاف فرع مويس الذي هو الخليج الطانطيقي وفم عند اتريب فما ذكره الادريسي هو الخليج الذي سماه فيما بعد خليج شنشا وبيان ذلك أن هذا الجغرافي قال من يريد الذهاب من دمسيس الى تنيس بالسير على النيل يسير على النهر مسافة ميلين الى منية بدرو ومنها يسير في خليج شنشا الخارج من الشرق فيصل الى شنشا ثم الى البوهات وهي القرية الواقعة على الشاطئ الشرقي على بعد أربعة وعشرين ميلا من الاولى ومن هذا الموضع الى صنفاص مسافة ثمانية عشر ميلا ومنه يسير برا الى جهة الغرب فيصل الى طناح بعد خمسة وعشرين ميلا وهي على الشاطئ الشرقي لخليج تنيس ثم قال بعد ذلك ان من يريد التوجه من دمسيس الى تنيس بالسير على النيل يلزمه أولا أن يصل الى طلخا وعندها ينقسم النيل الى فرعين أحدهما يجري الى الغرب نحو دمياط وثانيهما الى الشرق نحو بحيرة تنيس فيسير على هذا الاخير حتى يصل الى منية شهار الموضوعة على الشاطئ

الغربى ثم منها الى محلة الدمنة على بعد خمسة أميال على الشاطئ الشرقى ومن هذا الموضع على بعد اثنى عشر ميلا يصل الى كبار البطباط و بعد خمسة عشر ميلا يصل الى دموبه ومن هذه البلدة الى مدينة طناح الموضوعة على الشاطئ الشرقى ميلان فقط ومن طناح الى أشموس عشرة أميال والظاهر أن دنو يل لم يقف على حقيقة كلام الادريسى بل غلط فى فهمه وسبب ذلك زعمه أن مدينة صفناس أو صنفاص هى فى محل المدينة القديمة التى كانت بالقرب من مدينة الطينة وذكرها القبط فى كتبهم مع أن هذا مخالف لما ذكره الادريسى ولعل ذكر مدينة صفناس غلط من الكتبة لان أحد دفاتر التعداد فيه مدينة صنفاص وفى أحدها شنفاص وفى كلا الدفترين جعلت هى ومدينة شنشا فى مديرية الدقهلية والمرتاحية ومعلوم أن حدود هذه المديرية لم تمتد الى الموضع الذى ذهب اليه دنو يل والغالب أن شنشا هى المذكورة فى بعض كتب القبط باسم بسنشيه ويظهر مما تقدم أن خليج شنشا الخارج من النيل تحت منية بدر بيعد قليلا لم يكن له الاتجاه الذى جعله له دنو يل والظن أنه لا يصب فى بحيرة تنيس لانه لو كان كذلك لما كان مريد التوجه الى تنيس يفارق هذا الفرع ويسير فى البر الى فرع آخر يوصله اليها ومن هذا يظهر أن الخليج المار بصنفاص اما أنه خليج حفره الآدميون وأنه بعد أن يصل الى هذا الموضع يتغير اتجاهه ويذهب فيصب فى خليج مويس وأما مدينة طناح فلم تكن على هذا الفرع أصلا لانها لو كانت كذلك لكانت شرورذ فى الشرق لا فى الغرب وأيضا فان محل مدينة أشمون طناح معلوم مشهور وما نسبت الى طناح الا لقربها منها ولو كانت احداهما على بحر مويس والاخرى على خليج أشمون لكان البعد بينهما كبيرا جدا وفى دفاتر التعداد أن طناح وأشمون طناح كلتاهما من مديرية الدقهلية والمرتاحية فليست أشمون طناح على بحر مويس الذى هو فرع تانيس وقد ذكر الادريسى فيما مر أن تحت مدينة طناح على بعد عشرة أميال محلا اسمه شموس ولا شك أن هذا الاسم محرف عن أشمون ومن هذا يفهم سبب تسمية مؤرخى العرب هذه المدينة التى لم يكن بينها وبين طناح غير عشرة أميال باسم أشمون طناح و يوافق هذا ما ذكره الادريسى من أن طناح وشموس على فرع النيل الخارج من طلخا وهو بلا شك عين خليج أشمون طناح الخارج من النيل عند طلخا وفمه على ما قاله أبو الفداء عند ناحية جوجر وقال ابن اياس ان مدينة المنصورة واقعة على فم خليج أشمون فى مقابلة طلخا فعلم من جميع ما تقدم أن الخليج الذى كانت عليه مدينة طناح وسماه الادريسى خليج تنيس هو خليج أشمون طناح وهو الفرع المسمى المنديزى فان قيل لم يتكلم الادريسى على فرع مويس مع أنه تكلم على غيره من الفروع الخارجة من الفرع الشرقى من النيل قلت لم يتكلم عليه المقريزى أيضا ولا أبو الفداء مع تكلمهما على خليج أشمون طناح ولعل سبب ذلك انه كان فى زمن هؤلاء المؤرخين قد سد الطمى فمه ومنعه من الاتصال بالنيل فى غير وقت الفيضان أو أنهم رأوا أنه من حفر الآدميين لا أصلى بالطبيعة فلم يذكروه على أنه ربما كان هو الخليج السردوسى الذى تكلم عليه المقريزى فى خططه وقال انه جعل لرى جزء عظيم من بلاد الشرقية وفيه انعطافات كثيرة انتهى والآن صان الحجر قرية من بلاد الشرقية من مركز العرين بجوار التلول القديمة من قبليها وهى فى غربى بحر مويس و بحرى تل راك بنحو ثلاثين ألف متر و يتوصل منها الى البحيرة البيضا ومن البحيرة البيضاء الى البحر الرومى وجميع البحائر التى بمديريتى الشرقية والدقهلية تجتمع فى بحر مويس المشهور بالمشرع ومنه الى البحيرة البيضاء ثم تصب فى المالح وأغلب تكسب أهلها من صيد السمك و بيع الجبن المنزلاوى و بها آثار قديمة ومجلسان للدعاوى والمشيخة ومساجد ومكاتب أهلية وأغلب أطيانها رمال والصالح منها يزرع شعيرا وحلبا ناو بسلة وزمامها ألف ومائة وثلاثون فدانا وكسور وأهاليها تسعمائة وخمس وثمانون نفسا

(الصالحية) يوجد بهذا الاسم ثلاث قرى الاولى الصالحية قرية من مديرية الجيزة بقسم اطفيح على الشط الشرقى لترعة الملاح قبلى ناحية الكداية بنحو ألف متر و بحرى ناحية اطفيح بنحو ثلاثة آلاف وخمسين مترا و بها جامع بمنارة وجملة من النخيل وقليل من السواقى (الثانية) الصالحية قرية من مديرية القليوبية بمركز بنها العسل قبلى برشوم الكبرى بنحو ألفى متر وغربى ناحية قلقشندة بنحو أربعة آلاف متر و بها زاوية للصلاة وفيها جنائن وقليل من السواقى (الثالثة الصالحية) بلدة بمديرية الشرقية من مركز العرين فى نهاية بلاد الشرقية بشمالها الشرقى واقعة بجزيرة من رمال شرقى المناجتين بقدر ثمانية آلاف متر وفى شرقيها كثيب كبير من الرمل وهى جملة كفور وذوات

نخيل كثير والبلد الكبيرة بها منازل مشيدة ومساجد عامرة بالمنارات ومكاتب أهلية ومجلسان للدعاوى والمشيخة وأرباب حرف كصيد السمك وتمليح الفسيخ ولها سوق كل يوم جمعة وأغلب تكسب أهلها من ثمر النخل والزرع المعتاد ويكثر في أرضها الرمال الفاسدة وزمامها تسعمائة وثمانية وخمسون فدانا وبها منازل متسعة وقصور مشيدة لاولاد الحوت وهم عائلة مشهورة من بني سليم نزلت مع السيد عزاز صاحب الجزيرة البيضاء كعدة بطون من العرب كبني عمرو وبني حرام وبني عقبة وبني زهير وبني واصل والبقرية ثم تفرقوا في القرى والبلدان فتوطن طائفة من بني سليم بالصالحية ومنهم عائلة الحوت وطائفة أخرى ذهبت الى بلاد برقة وأفريقية وتوطن باقي البطون بالقصاصين والحادين وكادوا البلايدة ونجوم والطريدات وذريتهم بتلك الجهات الى الآن وقد سبح أولاد الحوت في بحار نعم العائلة المحمدية والاحسانات الخديوية الى الآن ففي زمن المرحوم العزيز محمد علي ترقى منهم صالح أغا في الخدم الديوانية حتى صار مدير مديرية برتبة أمير الاى وفي زمن المرحوم محمد سعيد باشا ترقى أخوه محمد بيك العيدروس الى رتبة الأمير الاى وبقي كذلك الى أن توفي سنة ١٢٨٩ وترقى محمد أفندى صالح الحوت في زمن الخديوى اسمعيل باشا الى وظيفة ناظر قسم ثم مفتش جفلك أبي كبير وسميت الصالحية نسبة الى واضعها قال المقريزي في الكلام على الطريق التي بين مصر ودمشق ان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هو الذي وضع هذه القرية بأرض السباخ على طرف الرمل وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل قال وبنى بها قصورا وجامعا وسوقا وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك قال الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته ان بقرية الصالحية مزار الولي الصالح الشيخ حسن الليثي الصامت العجمي وهو مكان كبير تحيط به جدران أربع وفي داخله قبة صغيرة فيها قبره رضي الله عنه وعليه الهيبة والوقار وفي داخل القرية جامع السلطان قايتباي له ثلاثة أبواب وعمارته عظيمة متينة لكنها ظاهرة الايلولة الى الخراب وليس له كالسائر الجوامع داخل وخارج بل له ايوان قبلي عريض فيه المنبر والمحراب وليس له أحد يصلي فيه كما يظهر ذلك من نطق حاله باشارة فيه وله منارة عظيمة تحتاج الى مؤذن أحواله مستقيمة وأهل تلك القرية حارتان متميزتان في الالفاظ والمعاني فمنهم القيسي الاحمر ومنهم الابيض واليماني ولهم مكان القيسي واليماني اللذين هما في بلاد الشام الجدام والحرام وفي بلاد الخليل الداري والمحاور وهي العصبة الجاهلية التي قاتلها ومقتولها في النار لا يغسل ولا يصلى عليه بحسب ماهو فيه من الحمية فنحن هنا نقول كما قال أبو الطيب المتنبي

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يجتمعان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسي وأنت يماني

ومما يناسب هذا على طريق التضمين له

اذا رمت تلقى فتنة بين جيده * ووجنته مازالت الخفقان

فقل لبياض الجيد والخد أحمر * رفيقك قيسي وأنت يماني

وفي جبانتها قبور جماعة من الصالحين انتهى وقال المقريزي أيضا في سبب وضعها ان الدرب القديم الذي كان يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة كان قد تغير بعد الخمسمائة من سني الهجرة بعد انقراض الدولة الفاطمية وذلك انه كان الدرب أولا قبل استيلاء الافرنج على السواحل الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاهرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احدى وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى انما كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق

على غير ماهو الآن فيسلك من بلبيس الى الفرما فى البلاد التى تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوت ويسلك من الفرما وهى بالقرب من قطية الى أم العرب وهى بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والوارادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون فى كيمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الوارادة وهى من جملة الجفار ويقال ان اسمها أخذ من الورود ولم يزل جامعها عامرا تقام به الجمعة الى مابعد السبعمائة وتاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة كما رأى ذلك القاضى الفاضل لما دخلها سنة سبع وستين وخمسمائة وبلد الوارادة القديمة فى شرقى المنزلة التى يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل ودخل أهلها وما حولها الى عسقلان فى الاسلام بعد ان استولى المسلمون على الفرما بعد فتح دمياط ثم قال فلما خرج الافرنج من بحر القسطنطينية لاخذ البلاد من أيدى المسلمين وأخذ بغدوين الشوبك وعمره فى سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الافرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدى الافرنج فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وأكثر من الايقاع بالافرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولى ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل فانشأ هذه البلدة لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى رتب البريد بين القاهرة ودمشق وفى سائر الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق فى أربعة أيام ويعود فى مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه فى كل جمعة مرتين ويتحكم فى سائر ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق فى ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك فى سنة تسع وخمسين وستمائة ومازال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس (ويقال لهم الركابة) وللخيل رجال يعرفون بالسواقين واحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطانى فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطانى وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد مايحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن أدركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لاتحمل زادا ولا ماء فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى أهلها وحرقها فى سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد ومادهوا به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة وقال أيضا ان البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن ابن كيبشتاسف بن كيهراسف أحد ملوك الفرس وأما فى الاسلام فاول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدى محمد بن جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعل له بغالا وابلا وذلك فى سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بالفارسية بريدنبه فان دارا أقام فى سكك البريد دواب محذوفة الاذناب سميت بريدنبه ثم عربت وحذف منها نصفها الاخير فقيل بريدا انتهى وقد تكلم كثير من كتاب السلوك وغيره على البريد بعبارة واسعة فقال مامعناه البريد كلمة مأخوذة من اللاتينى بمعنى بوسطة الخيل المرتبة لايصال المخاطبات والناس وتطلق على مسافة قدرها أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وقدره خليل الظاهرى بفرسخين وفى ديوان الانشاء عن المرتضى ان البريد فى الاصل اسم دابة ثم صار اسما للراكب عليها ثم استعمل فى مسافة مقدرة وقال غيره البريد كلمة عربية تفيد مسافة قدرها أربعة فراسخ وقد اشتق من البريد أبرد بمعنى أرسل مكتوبا فى البوسطة قال فى كتاب الهمزة أبرد الى ابن هشام بالكتاب وفى كتاب الاغانى أبرد البريد الى الحجاج وأما البريدى فهو المختار من الجند المستخدمين بمصر أو الشام ليوجه فى مهمات الامور وفى طلب الاموال فيسير ليلا ونهارا وكان كاتب السر يلاحظ أموره ويتفقد أحواله ولا يتخذ الا من العارفين الجامعين للخصال الحميدة ضرورة انه أمين على المهمات وقال الذهبى كان البريديون ثلاثة من الكتاب أبو عبد الله وأبو الحسين وأبو يوسف كان أبوهم كاتبا على البريد بالبصرة فغلبوا على الاهواز وعن أبى الفداء ان أول من رتب البريد معاوية وكان هشام بن عبد الملك فى مدينة رصافة لما مات يزيد أخوه فجاءه خبر الخلافة بالبريد وعن المقريزى ان

الخليفة المهدى العباسى هو اول من رتب البريد سنة ست وستين ومائة هجرية بين المدينة ومكة وبين مكة واليمن وكان من البغال والجمال وكان قبل ذلك فى مصر وكان فى كل مركز من مراكز البريد أمير اخور وشاد ورجال يناط بهم احضار المعاليم والخيل (وعليها التشاهير أى الطقومة من سرج ونحوه واحدها تشهير يقال قدم اليه فرسا بتشهيره أى بما يلزم له من سرج ولجام ونحو ذلك) وفى كل بريد صنائع من النحاس أو من الفضة بقدر كف اليد على أحد وجهيها لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وعلى الوجه الثانى مناقب حاكم الوقت فان كانت لبلاد الشام يكتب عليها اسم نائب السلطنة فى الولاية التى منها ابتداء السير وتكسى الصفيحة بشرابة من حرير أصفر ويعلقها البريدى فى رقبته بحيث تكون الشرابة بين كتفيه وكانت تسلم لكاتب السر فاذا تعين أحد لرئاسة البريد أعطاه كاتب السر صفيحة من هذه الصنائع ومكتوبا بخط يده ويرسله الى الامير اخور لاستلام الخيل اللازمة واسم ذلك الشخص يكون مكتوبا فى سطرين من آخر التذكرة فاذا رجع رد الصفيحة وقال صاحب كتاب التعريف ان البريد كان فى زمن الاكاسرة والقياصرة وأول من جدده فى الاسلام معاوية بن أبى سفيان وقيل عبد الملك بن مروان وان الوليد بن عبد الملك استعمل البريد فى نقل الفسيفساء من اسلامبول الى دمشق عندما بنى الجامع الاموى وجامع مكة والمدينة والقدس وقد تعطل البريد فى زمن المهدى ثم رتبه ليصل اليه خبر ابنه هرون عندما كانت الحرب قائمة مع الرومانيين فكان يستنشق أخبار ابنه فى كل وقت ولما رجع هرون ابطل البريد وقد رتبه هرون الرشيد فى خلافته كما كان فى زمن الاموية ولما تولى المأمون وأراد الزحف على بلاد الرومانيين قام ونصب معسكره عند نهر البيدون وكان ذلك فى فصل الصيف فقعد على شاطئه وجعل رجليه فى الماء وشرب وتلذذ وقال لمن حوله ما أحسن طعام يؤكل بعد شرب هذا الماء فكل واحد أجاب على حسب ما يرى فقال الخليفة الذى أراه يؤكل مع شرب هذا الماء هو تمر غراد فقالت بطانته اللهم أبق خليفتنا الى أن نعود من العراق فلم تتم اكلامهم الا وقد حضر البريد ومعه من هذا التمر فأكل المأمون وشرب فتعجب الحاضرون من تحقيق بغيته عند تكلمه بها غير انه اصيب بالحمى بعد ذلك ومات منها وقد بقى البريد الى أن غابت سطوة بنى بويه على الخلفاء فبطل أمره وعوض بالسعاة وفى زمن الامراء الزنفية عوضت السعاة بالنجابة الراكبين على الهجن وبقى ذلك الى زمن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى واجتمع له الشام ومصر وحلب وشواطئ الفرات فسير جيشه الى الشام لمحاربة التتار فرتب البريد ليتناول الاخبار ومشى على ذلك من جاء بعده من الملوك الى ان أغار تيمورلنج على الشام وفى زمن الملك الناصر فرج سنة أربع وثمانمائة بطل البريد من مصر والشام والى الآن مراكزه خالية من الناس والخيل وتستعمل فى تقدير المسافات وفى كتاب التعريف ان المسافات لم تكن على قدر واحد بل تختلف لقرب الماء وبعده وبحسب الموقع أيضا وان مباشر ديوان الانشاء كان يلقب بأمير البريد وان أوراق البريد فى زمن السلطان بيبرس كان يكتبها كاتم السر أو نائبه وكانت صورتها هكذا قد أمرنا الامير اخور فلان من رتبة كذا أن ينقل فلانا على حسب درجته على خيل بريد عددها كذا بسبب انه متوجه الى جهة كذا فى أمر مهم ثم يؤرخ ويمضى وقال صاحب مسالك الابصار ان نواب الجهات بحسب العادة كانوا يخبرون السلطان بجميع الاحوال المهمة الواقعة فى بلادهم وينتظرون امره فيجرون ما يأمر به وكان بين التخوت والمدن فى جميع الطريق مراكز للبريد ومتى وصل بريدى من مدينة الى التخت يطلب الى حضرة الامير جداره وهو أمير مائة والدوادار وكاتب السر فيقبل الارض ويسلم الكتاب الى الدوادار فيمسح به وجه البريدى ثم يسلمه الى السلطان فيفتحه وكاتب السر يقرؤه ويتلقى ما يأمر به وقال أبو المحاسن انه فى زمن الملك المظفر حجى بن محمد بن قلاوون سنة سبع وأربعين وسبعمائة ورد الخبر بخلل نظام البريد فى طريق الشام فطلب من كل أمير ألف أربعة من الخيل ومن كل أمير طبلخانة اثنين ومن كل أمير عشرة رأسا وتفقد اقطاع البريد فوجد أغلب بلاده قد وقفها الملك اسمعيل الصالح ولم يبق منها باسم البريد الا القليل فأخذ السلطان من عيسى بن حسن الهجان أرضا محصولها السنوى عشرون ألف درهم وثلاثة آلاف اردب من الحبوب فجعلها للبريد وقال خليل الظاهرى كان البريد يمشى فى أربع جهات الاولى الى قوص واسوان والثانية الى حدود الاسكندرية والثالثة الى ثغر دمياط والرابعة الى جهة الفرات وهى حد المملكة الشرقى وتنقسم هذه الاخيرة الى جملة فروع أما المتوجه الى

قوص واسوان فيخرج من قلعة الجبل الى برنشت ثم الى منية القائد ثم الى ونا ثم الى سياثم ثم الى دهروط ثم الى قلوسنا ثم الى منية ابن خصيب ثم الى الاشمونين ثم الى دروط الشريف ثم الى المنهى ثم الى منفلوط ثم الى أسيوط ثم الى طما ثم الى المراغة ثم الى بلانسون (لعلها المنشاة) ثم الى جرجا ثم الى البلينا ثم الى هو ثم الى الكوم الاحمر ثم الى خان الدرينا ثم الى قوص ثم الى الهجرة ثم الى ادوى ثم الى اسوان وبعضهم جعل هذا الجزء الاخير مركزين ومابعد ذلك الى عيذاب الى حدود الولاية لم يكن فيه للبريد مراكز وأما طريق الاسكندرية فتنقسم قسمين الاول الطريق الوسطى تمر في بلاد معمورة من قلعة الجبل الى قليوب ثم الى منوف ثم الى محلة المرحوم ثم الى النحرارية ثم الى التركمانية ثم الى الاسكندرية والثاني طريق الحاجر من قلعة الجبل الى جزيرة القط ثم الى وردان ثم الى الطرانة ثم الى زاوية مبارك ثم الى دمنهور ثم الى لوقين ثم الى الاسكندرية وطريق دمياط تمر الى السعيدية الى بينونة الى اشمون الرمان الى فارسكور الى دمياط واما طريق غزة فمن قلعة الجبل الى المنصورة الى الغرابى الى قطية الى معان الى المطيلب الى السوادة الى الورادة الى بئر القاضي الى العريش الى الخروبة الى الزعقة الى الرفح الى السالقة الى غزة والطريق من غزة الى الكرك تمر ببلاقس ثم بجيرون ثم بجنباثم بالزويرثم بالصافية ثم بالكفر ثم الكرك ومن الكرك الى الشوبك ثلاثة برد وطريق دمشق تخرج من غزة الى حنين الى بيت دارس الى اللد الى العوجاء الى الطيرة الى قاقون الى فحمة الى جنين الى حطين الى زرعين الى عين جالوت الى بيسان الى اربد الى طفس الى رأس الماء الى الصنمين الى غباغب الى دمشق وعند دمشق تنقسم الطريق فطريق البيرة تمر بالقصير ثم بالقطيفة ثم بالافتراق ثم بالقسطل ثم بالكراع ثم بالغسولة ومنها يخرج فرع الى طرابلس ومن غسولة يتوصل الى سمسين الى حمص ومن هنا فرع الى جفير ومن حمص يتوصل الى الرستن الى حماة الى لطمين الى جرابلس الى المعرة الى ابعد الى امار الى قنسرين الى حلب الى الباب الى بيت برة الى بيرة والطريق من حمص الى جبار تمر بالمصنع ثم القريتين ثم البيضاء ثم تدمور ثم كرند ثم سخنة ثم قبقب ثم كوامل ثم رحبة وطريق دمشق الى صفد توصل الى البريج الى القلوس الى الارينبة الى نعران الى جب يوسف الى صفد ويتوصل من دمشق ايضا الى خان ميسلون ثم الى حرين ثم تنقسم الطريق فمنها ما يوصل الى صيدا ثم الى بيروت ومنها ما يوصل الى بعلبك بان تمر من دمشق الى الزبداني الى بورا الى بعلبك وطريق طرابلس تبتدأ من غسولة الى قدس الى اقار الى العشرة الى العراقا الى طرابلس وطريق دمشق الى الكرك توصل الى القتيبة الى برذية الى البرج الابيض الى حسبانة الى قنس الى ديبان الى قاطع الموجب الى الصغر الى الكرك والطريق من حلب الى حدود المملكة تمر بالسموقة الى اسندرا الى بيت النار الى عنتاب الى قلعة المسلمين وهذا الاخير ثلاثة برد لم تدخل في حكم السلطان ومن عنتاب يتوصل الى ديركون الى قونا الى عربان الى البهنسا الى قيسرية وهذه المسافة سبعة برد لم تدخل في حكم السلطان وكانت تلك المراكز بها الخيل دائما واستمر ذلك الى زمن السلطان الملك المؤيد ابي النصر شيخ اهـ وتكلم المؤرخ ويلي نقلا عن مؤرخي العرب على محطات البريد فقال الطريق من القاهرة الى الصعيد بعد العبور من النيل الى الجيزة فمن الجيزة الى برنشت خمسة عشر ميلا الى منية القائد ثمانية عشر الى ونا كذلك الى طياسم كذلك الى دهروط خمسة عشر الى قلوسنا ثمانية عشر الى منية ابن خصيب ثمانية عشر الى الاشمونين خمسة عشر الى دروط الشريف اثنا عشر الى المنهى كذلك الى منفلوط كذلك الى أسيوط ثلاثة عشر الى طما واحد وعشرون الى المراغة اثنا عشر الى بلانسون كذلك الى دجرجا كذلك الى بلينا خمسة عشر الى هو واحد وعشرون الى الكوم الاحمر اثنا عشر الى درنا خمسة عشر الى قوص بعد عبور النيل اثنا عشر الى قوص الجرى خمسة عشر الى عدوة كذلك الى اسنا اربعة وعشرون ومجموع ذلك ثلثمائة وسبعون ميلا وبعد اسنا ينقطع البريد ومن مصر الى الاسكندرية طريقان أحدهما في البلاد والآخر في الصحراء على شمال النهر فالتي في وسط البلاد من القاهرة الى قليوب تسعة أميال الى منوف ثمانية عشر ميلا الى محلة المرحوم أربعة وعشرون الى النحرارية أربعة وعشرون الى التركمانية كذلك الى الاسكندرية كذلك والتي في الصحراء من القاهرة الى جزيرة القيت ثمانية عشر ميلا الى وردان اثنا عشر الى الطرانة كذلك الى زاوية المبارك كذلك الى دمنهور واحد وعشرون الى لوقين ثمانية عشر الى الاسكندرية كذلك ومن القاهرة الى دمياط المحطة الاولى قليوب ثم الى بلبيس ثمانية عشر ميلا الى الصالحية اربعة وعشرون الى السعيدية اثنا عشر الى بينونة كذلك الى اشمون الرمان

كذلك الى فارسكور أحدوعشرون الى دمياط تسعة ومن القاهرة الى غزة فالى السعيدية ثلاثة وستون ميلا الى غرابى ثمانية عشر الى قطيا اثناعشر الى معان كذلك الى سليم كذلك الى سوادة كذلك الى الورادة كذلك الى بئر القاضى كذلك الى العريش كذلك الى الخروبة كذلك الى صعقة كذلك الى رفح تسعة الى سلقة اثناعشر الى غزة كذلك المجموع ثمانمائة واثنان وعشرون ميلا وأما من غزة الى الكرك فالى بلاقس اثناعشر ميلا والى جبرون ثمانية عشر والى جنبا اثناعشر والى الزوير ثمانية عشر والى صافية خمسة عشر الى كفر اربعة وعشرون الى كرك أحدوعشرون المجموع مائة وواحد وعشرون ومن الكرك الى الشوبك الواقعة فى حدود بلاد العرب ثلاث محطات جميعها تسعون ميلا وأما من غزة الى دمشق فالى حنين اثناعشر ميلا الى بيت دراس اثناعشر أيضا الى لد كذلك الى العوجا ستة أميال الى الطيرة ستة أيضا الى قاقون كذلك الى فامية تسعة الى حنين فى صفد تسعة الى حطين ستة الى رزين كذلك الى عين جالوت كذلك الى بيسان كذلك الى اربل اثناعشر الى طافس ثمانية عشر الى رأس الماء اثناعشر الى الصمين كذلك الى جاجب كذلك الى قصوة تسعة الى دمشق كذلك وأما من دمشق الى البيرا على الفرات فالى القصر فى الشمال تسعة أميال الى قطيا فى الشرق اثناعشر الى الافتراق فى الشمال ستة الى قسطل تسعة الى الكراع تسعة الى غسولة اثناعشر الى حمص اثناعشر أيضا الى حمص اثناعشر الى رستن كذلك الى حماة كذلك الى لطمين تسعة الى جرابولوس تسعة الى المعرة اثناعشر الى عباد كذلك الى عمار كذلك الى قنسرين تسعة الى حلب اثناعشر الى الباب ثلاثون الى بيت بيرا ثلاثون الى البيرة خمسة عشر وأما من دمشق الى جبار على الفرات فالى حمص أحدوثلاثون ميلا الى مسنى فى الشرق أربعة وعشرون الى قرنين ثمانية عشر الى البيضاء أربعة وعشرون الى تدمر اربعة وعشرون الى الكرك كذلك الى تحنة ثمانية عشر الى كبكب ثمانية عشر الى كوامل أربعة وعشرون الى رحبة كذلك الى جبار مائة وعشرة وأما من دمشق الى صفد فالى بريد فى الشمال الغربى اثناعشر ميلا الى قاوس كذلك الى أرينبا ثمانية عشر الى نوران اثناعشر الى جب يوسف ثمانية عشر الى صفد اثناعشر وأما من دمشق الى بيروت فالى خان مسلون اثناعشر الى حريم على القاسمية ثمانية عشر الى صيدا من جبل لبنان ثلاثة وثلاثون الى بيروت أربعة وعشرون وأما من دمشق الى بعلبك فالى زبدانى خمسة عشر الى بورا اثناعشر الى بعلبك ثلاثة عشر وأما من دمشق الى طرابلس فالى عزولا (انظر طريق حلب) خمسة وخمسون الى قادس ثمانية عشر الى عكار أحدوعشرون الى عكرى ثمانية عشر الى العركا اثناعشر الى طرابلس خمسة عشر وأما من دمشق الى الكرك فالى الكتيبة اثناعشر الى بردية ثمانية عشر الى البرج الابيض كذلك الى حسبان كذلك الى كبس اربعة وعشرون الى ذيبان كذلك الى قطيع المجيب كذلك الى صغر كذلك الى الكرك كذلك وأما من حلب الى بهنسا والى قيسرية فى حدود المملكة بلاد الارمن فالى السموكا اثناعشر الى استيدرا اثناعشر أيضا الى بيت الفار كذلك الى عنتاب كذلك الى ديركون تسعة الى قونا اثناعشر الى اربال اثناعشر الى بهنسا تسعة الى القيسرية مائة وعشرون ومن أول سنة ألف وأربعمائة واثنى عشر ميلادية قد بطلت المحطات الواقعة بين بهنسا وقيسرية انتهى ❊ وأما ايصال الرسائل بالطيور كالمطارات والمطيرين وما يتعلق بذلك فقد تعرضنا له عند الكلام على منية عقبة وذكرنا هناك أن مسافة مركز الطير قدر ثلاث مرات كزبريد وقوله الفسيفساء ويقال أيضا الفسفسا هى الفصوص الملونة المذهبة كما فى تاريخ دمشق وتاريخ حلب وكانت الملوك ترصع بها المبانى الفاخرة فى تاريخ ابن خلدون ان أبرهة كتب الى قيصر فى الصناع والرخام والفسفسا وفى كتاب السلوك بعث الوليد الى ملك الروم بما عزم عليه فبعث له ملك الروم مائة ألف مثقال ذهبا ومائة عامل وأربعين حملا من الفسيفساء وفى سياحة ابن بطوطة قال زين هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفسفساء تخالطها انواع الاصبغة الغريبة الحسن وقال انوشيوس فى تاريخ بطاركة الاسكندرية كانت الحنية (القبة) كلها منقوشة بالفسيفساء وفى موضع آخر وقلعوا الفسيفسا من الحنية وعن بعض الجغرافيين فى وصف جامع مكة أن فى كل جانب ثلاث بلاطات وجه كل بلاطة من ناحية الصحن منقوش بالفسفساء وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا حتى صارت كأنها بلاطة واحدة والبلاط هو الحجارة المفروشة فى الدار ونحوها ويقال لكل شئ فرشت به الدار من حجر أو غيره بلاط وفى كتاب السلوك ان البلاط كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية والرومية ولها جملة معان ففى كتاب التنبيه للمسعودى ان من معانيها القصر والخيمة قال كمال الدين فى تاريخ

حلب بات تقفور فى البلاط أى القصر وعند الكلام على ملك الروم قال أخذ شبل الدولة تاجه وبلاطه ومن معانيها أيضا الرصيف وفى نفح الطيب للمقريزى ان البلاط يسمى البهو فيقال تسعة عشر بهوا أى بلاطا انتهى من كترمير وغيره وفى خطط المقريزى انه لما انسلطن الملك غياث الدين توران شاه بقلعة دمشق ركب الى مصر فنزل بالصالحية طرف الرمل لاربعة عشرة بقيت من ذى القعدة سنة ٦٤٧ فأعلن حينئذ بموت الملك الصالح نجم الدين أبى الفتوح أيوب ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموته بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة ان السلطان مريض ولا لاحد عليه سبيل ولا وصول ثم سار منها الى المنصورة فقدمها يوم الخميس الخامس والعشرين منه فنزل بالقصر الذى بها ثم انه أساء تدبير نفسه وتهدد البحرية حتى خافوه وهم يومئذ جمرة العسكر فقتلوه بعد سبعين يوما من ولايته وبموته انقضت دولة بنى أيوب من مصر وكان قتله باغراء شجرة الدر البحرية استاذهم لانه كان تهددها وطالبها بمال ابيه وبعد قتله أقاموا شجرة الدر فى السلطنة وحلفوا لها فى عاشر صفر ورتبوا الامير عز الدين ايبك مقدم العسكر ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب فسار اليهم بدمشق وملكها فانزعج العساكر بالقاهرة وتزوج الامير عز الدين ايبك التركمان بالملكة شجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما وملك هو وتلقب بالملك المعز واتفق رأى الامراء على اقامة الاشرف مظفر الدين موسى بن الناصر شريكا للمعز فى السلطنة فاقاموه معه وعمره نحو ست سنين وكان الخبر قد ورد أن الملك المغيث عمر بن العادل الصغير أخذ الكرك والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبية وقاموا لمحاربة عساكر مصر فسار المعز بالعساكر والعرب من مصر فى ثالث القعدة سنة ٦٤٨ وخيم بالصالحية وترك الاشرف بقلعة الجبل والتحم القتال بينهم فكانت النصرة له انتهى وفى ترجمة كترمير لكتاب السلوك للمقريزى مامعناه ان عساكر الملك المعز أيبك كانت مجتمعة بالصالحية وعساكر الملك الناصر بقرية كراع وهى كما قال النوارى قرية قريبة من العباسة والسدير والخشبى (قلت) وأظن ان الخشبى هو المحل المسمى الآن أبا الخشب فكان بين الجيشين مسافة قليلة وكان الناس يظنون ان النصرة تكون للملك الناصر بسبب كثرة جيوشه وميل أغلب العساكر المصرية اليه فكان الامر على خلاف ظنهم وقد قام المعز بعساكره وخيم فى مقابلة أعدائه بمحل يعرف بسموط وفى يوم الخميس عاشر القعدة استعد الفريقان للحرب وفى السابعة من النهار حصل الالتحام فاتفق ان جناحى جيش الناصر سطوا على مايقابلهما من جيش المعز فانكسر الجناح الايسر من جيش المعز وانهزم فتبعته عساكر الناصر بلا تدبر فى العاقبة وثبت الجناح الايمن من عساكر المعز وسطا على الجناح الايمن من جيش الناصر فكسره وبقى الحرب بين القلبين وقد أخذ المنهزمون من جيش المعز المصريين بطريق الصعيد ونهب العدو أشياءهم وعند مرورهم بحذاء القاهرة كانت الخطبة فيها وفى القلعة باسم الناصر كما كان ذلك فى الفسطاط والبلاد المجاورة لاعتقادهم نصرة الناصر حتى حصل الشروع فى تجهيز الاقامات له وهو لا يعلم ذلك ومعسكره وأمواله وحشمه وكراعه بقرية كراع ولما انكسر جناح عسكره الايمن أوقع بهم المصريون فى الرمال وأسروا منهم عددا كثيرا غير من مات وكان الناصر فى قلب جيشه يقاتل والمعز كذلك ولم يشعر كل منهما بما وقع لجناح جيشه وكان أغلب أمراء الناصر لا يحبون نصرته لخوفهم أن يفتك بهم بعد نصرته فغدروا والخيانة وانحازوا بعساكرهم الى جيش المعز فضعفت قوى الناصر وهجم المعز بعساكره يروم القبض عليه فلم يجده لانه لما علم خيانة أمرائه فر خفية ثم هجمت العساكر الشامية وهى عساكر الناصر على المعز فقر أيضا هاربا الى جهة الشوبك وهو يعتقد ان الناصر لم يفر ثم لما سكن روع الناصر رجع الى عساكره وكذلك المعز اجتمع بجملة من عساكره ورجع كل منهما للقتال وفى أثناء ذلك فارق الناصر أيضا بعض من معه ولحقوا بالمعز فداخل الناصر الخوف وضعفت قواه فارتحل راجعا الى الشام وأما عساكره الذين تبعوا الهاربين من عساكر المعز فكانوا مخيمين بالعباسة لاعتقادهم ان النصرة لهم فلما علموا حقيقة الامر ارتحلوا الى الشام وقد وصل مصر خبر نصرة المعز وانهزام الناصر وقت خروج الناس من صلاة الجمعة وقد كانوا خطبوا للناصر وفى رجوع المعز الى مصر رأى فى طريقه بالعباسة خيام الناصر فظن أن الناصر قد رجع الى الحرب فوقع الخوف فى قلبه وجوز أن يكون الحرب ملتحما بمصر فعدل عن طريقه الى طريق العلاقة ونزل ببلبيس نخافه أيضا أهل خيام الناصر

ولما جاء الليل ارتحلوا الى الشام فلما علم المعز ذلك زال عنه الخوف ورحل الى مصر ظافرا ودخلها لاثنى عشر من شهر القعدة وزينت له مصر والقلعة وفى أثناء القتال كان جملة من الامراء مسجونين من مدة الملك الناصر نجم الدين أيوب فلاعتقادهم ان النصرة للناصر كاعتقاد أهل مصر خرجوا من السجن وهموا بالاستيلاء على القلعة وعلى بيت المعز ووافقهم كثير من الاهالى فلم يمكنهم الامير سيف الدين القيمازى ومانعهم وردهم عما أرادوا فلما رجع المعز الى مصر منصورا قتل جميعهم ومنهم الاستدار ناصر الدين اسمعيل بن يغمور ومنهم امين الدولة أبو الحسن السامرى وقد وجد عند هذا بعد قتله كثير من الذهب والفضة والجواهر ومن النقود ثلاثة آلاف ألف دينار وعشرة آلاف مجلد من الكتب انتهى وقوله وبقى الحرب بين القلبين اعلم ان العادة من قديم أن يجعل الجيش الحرب ميسرة وميمنة وهما الجناحان وقلب وساقة والساقة هى آخر الجيش والقلب وسطه وللقلب مقدمة قال النوارى والمقريزى مقدمة القلب تسمى فى دولة الترك بالجاليش بالجيم أو الشين وقال أحمد العسقلانى فى تاريخ مصر الجاليش هو الطليعة وهم جماعة يتقدمون امام الجيش لكشف الطريق مثلا ويقال لهم البزكية ويقال خرجوا من بلد كذا اليكو نواير كا وجعلهم بزكا فى مقابلة الافرنج مثلا ويقال كان يزكه وطلائعه لا تنقطع وأصحابه الذين جعلهم يزكا فى مقابلة العدو ويقال خرج الى يزكية الملك وحاربهم ويستعمل المؤرخون كلمة شاليش فى مقام اليزك تارة وفى مقام الراية تارة أخرى قال ابن خلكان أما دولة الترك الى هذا العهد بالمشرق فيتخذون أولا راية واحدة عظيمة وفى رأسها خصلة من شعر يسمونها الشاليش أو الجتر وقال ابن اياس فى تاريخ مصر كانت عادة السلاطين المتقدمين اذا سافروا الى البلاد الشامية ان يعلقوا الشاليش قبل سفرهم بأربعين يوما وقال فى موضع آخر ان السلطان الغورى لم يعلق الشاليش على الطبلخاناه كعادة الملوك السابقة فانهم كانوا يعلقون الشاليش ويعرضون العسكر ثم ينفقون عليهم نفقة السفر ويستمر الشاليش معلقا الى ان يخرج السلطان ولو بعد شهرين وقال المقريزى فى المعنى الآخر وخرج الشاليش سائرا الى الشام انتهى وقوله وكراعه الى آخره الكراع على وزن غراب كما فى القاموس فى الاصل اسم جامع للخيل ومن البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق وكراع الغميم موضع على ثلاثة أميال من عسفان وكراع كل شئ طرفه وأنف من الحرة ممتد وجمعه هذا كرعان كغربان وجمعها للبقر والغنم أكرع وأكارع ثم قالوا أكارع الارض أطرافها القاصية وفى شرح ابن نباتة على ابن زيدون قال رأيت على باب ملك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر وفى شرح التبريزى على الحماسة الكراع اسم جامع للخيل وفى تاريخ العتبى كراعهم أى خيلهم وفى أمثال الميدانى يحمون كراعهم أى يحمونها وفى جغرافية ابن حوقل كثرت الماشية من الغنم والبقر وسائر الكراع والنعم وفى كتاب كمال الدين ما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع ويؤخذ من عبارة المقريزى انها تستعمل فى ذخيرة الحرب وفى المثل من المعنى الثانى ان أعطى العبد كراعا ابتغى ذراعا اهـ ملخصا بعضه من كترمير والاقامات المارة الذكر جمع اقامة وهى بمعنى الميرة ولوازم الاقامة من نحو المطعم والمشرب وما يحتاج اليه النازلون فى بعض الكتب يقال بعث اليهم بالخلع والاموال والاقامات ويقال كتب السلطان الى النواب بالمبالغة فى خدمته وترتيب الاقامات له ويقال أقيمت له الاقامات الوافرة من المخزن المعمور وتلقاه فلان بالاقامات من ناحية كذا الى كذا وخرجت الاقامات من الشعير والدقيق لتوضع فى المنازل أى أماكن النزول وقال كترمير أيضا نقلا عن التبريزى شارح ديوان المتنبى ان استادار كلمة غير عربية ومعناها فى الاصل الحاذق فى صنعته ثم استعملت فى الخصى من الآدميين وقد تكتب استاد الدار واستادار ويقال للجماعة استدارية وهى عند ملوك المشرق على الاطلاق رتبة من الرتب المعتبرة وكان ملوك خوارزم يضعون تحت ادارة الاستادار جملة أموال بعضها من الخزنة وبعضها من المديريات ويوزع بمعرفته على الخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها بوصولات عليها اثنتا عشرة علامة مثل علامة الوزير والمشرف (صراف الخزنة) والمفتش والعارض (المأمور بعد العساكر) وذلك فيما يختص بحشم الملك بخلاف ما يلزم لمصرف السراية فلا يحتاج الى تلك الوصولات وقال صاحب مسالك الابصار والمقريزى فى ذكر سلاطين مصر من المماليك كان لاستادار العالية التكلم على جميع السرايات فيرتب ما يلزم للمطبخ والمشروبات والخدم والغلمان وكان يمشى فى الاسفار تبع السلطان ومعه جملة من الغلمان ويتكلم أيضا على الجاشنكيرية مع ان رئيسهم يساويه فى الرتبة ويحكم مثله على

مائتين من الرجال وله أيضا طلب النقود للكسوات ولوازم السرايات واستمر ذلك الى زمن السلطان الملك الظاهر برقوق فقلد الامير جمال الدين محمود بن علي وظيفة الاستادارية وأضاف اليه ادارة المالية في جميع المملكة وما يتعلق بوظيفتي الوزارة وناظر الخاص فكان له التكلم عليهما وناظر الخاص هو الذي يتكلم على املاك الملك ودائرته فصارت وظيفة الاستادارية من حينئذ أعلى الوظائف حتى وصلت الى ما كانت عليه الوزارة في أيام الخلفاء وقال خليل الظاهري ان استادار العالية كان يتكلم على جميع البلاد التي في ملك السلطان وكان ايرادها برسم جامكية المماليك والملك وقال في كتاب الانشاء ان استادار مركبة من كلمتين استاو معناه الاخذ ودار ومعناها الممسك ومعنى المجموع المتولي لاخذ المال وقد تكتب ستدار وصاحبها من المقدمين (الرؤسا) وتحت ادارته مختارون من الطبلخانة والعشرات وبعض هؤلاء كان يكشف على المأكولات وبعضهم على الاملاك وبعضهم على الاشياء المشتراة والمبيعة ولما تسلطن الملك الظاهر برقوق واشترى كثيرا من المماليك وجعل لهم قلما مخصوصا وعين لهم بلادا يصرف ايرادها في جامكياتهم ويسمى هذا القلم بالديوان المفرد وجعله تحت نظر استادار العالية وأضيف اليه أيضا التفتيش على المأكولات وأملاك الملك وغيرها وفي زمن الناصر فرج أضيف اليه نيابة الوجه البحري وعين معه رفيق من المتعممين ومفتش ينظر في صرف الاموال والزراعات وجملة من المباشرين (امناء النقود) وأما استادار الصحبة فهو المتحدث على طبخ الامراق وهو الذي يطلب من الوزير ما يلزم لسفرة الملك وتحت ادارته جملة من الطباخين والمعلمين والخدامين والاواني اللازمة لذلك ويباشر الملك بالكلام فيما يطبخ ومعه مشرف للتفتيش على الطباخين وقال أبو المحاسن ان الخليفة المكتفي بالله العباسي في سنة خمسمائة وخمس وثلاثين هجرية نقل الاستادار ظفر الدين بن محمد الى الوزارة قال وهذه أول مرة سمعت فيها بالاستادارية وفي سيرة صلاح الدين وناصر الدين لفظ استادية بغير راء حيث قيل استادية الدار العزيزية انتهى وانما ذكرنا ذلك هنا لما فيه من الفوائد وقد ذكرنا شيأ مما يتعلق بالرتب في الكلام على سرياقوس ولنرجع الى ما نحن بصدده قال المقريزي ثم في المحرم سنة ٦٤٩ خرج المعز بالاشراف والعساكر ونزل بالصالحية وأقام بها نحو سنتين والرسل تتردد بينه وبين الناصر وفيه ان الملك المظفر سيف الدين قطز قتل قريبا من المنزلة الصالحية يوم السبت منتصف القعدة سنة ٦٥٧ قتله الامير ركن الدين بيبرس البندقداري في رجوعه من دمشق يريد مصر بعد انتصاره على التتار واتفق الامر على اقامة بيبرس في السلطنة ولقب بالملك الظاهر ركن الدين أبي الفتح بيبرس البندقداري الصالحي وكيفية ذلك على ما ذكره المقريزي في ترجمة جامع الظاهر انه قد وشي بالامير بيبرس عند السلطان الملك المظفر فتنكر له وتغير عليه وهم حينئذ بدمشق فهم قطز بالخروج من دمشق الى ديار مصر وهو مضمر لبيبرس السوء وعلم بذلك خواصه فبلغ ذلك بيبرس فاستوحش من قطز وأخذ كل منهما يحترس من الآخر وينتظر الفرصة فبادر بيبرس فأوعد الامير سيف الدين بلبان الرشيدي والامير سيف الدين بيدغان الركني المعروف بسم الموت والامير سيف الدين بلبان الهاروني والامير بدر الدين انص الاصبهاني فلما قربوا في سيرهم من القصير بين الصالحية والسعيدية عند القرين انحرف قطز عن الدرب للصيد فلما قضى منه وطره وعاد والامير بيبرس يسايره هو وأصحابه طلب بيبرس منه امرأة من بني التتار فأنعم عليه بها فتقدم ليقبل يده وكانت اشارة بينه وبين أصحابه فعندما رأوا بيبرس قد قبض على يدي السلطان المظفر قطز بادر الامير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أبانه واختطفه الامير انص وألقاه عن فرسه الى الارض ورماه بهادر المغربي بسهم فقتله وذلك يوم السبت خامس عشر القعدة سنة ٦٥٨ وحيث سبق ذكر التتار فلا بأس بذكر طرف مما يتعلق بوقائعهم ونسبهم وحلاهم وان كانت مبسوطة في كثير من كتب التواريخ قال في الروضة الزاهرة في أخبار مصر وملوكها القاهرة ما ملخصه ان اقليم الصين اقليم متسع وله ملك يعرف بالقان الاكبر يقيم بمدينة طمغاج قلت وهي التي تسميها الافرنج بكين والقان الاكبر عندهم كالخليفة عند المسلمين والصين عبارة عن ست ممالك لكل منها ملك وجميعهم تحت طاعة القان الاكبر واتفق ان أحد الملوك الستة وهو دوس خان تزوج بعمة جنكزخان التتاري فحضر جنكزخان زائرا لعمته وقد مات زوجها وكان صحبته كشلوخان من التتار أيضا فاعلمتهما ان الملك لم يخلف ذكرا وأشارت على ابن أخيها أن يقوم مقامه فقام وانضم اليه كشلوخان وكثير من الناس ومن أصحاب دوس خان ثم سير التقادم والهدايا الى القان الكبير فاستشاط

غضبا

غضبا وأمر بقطع أذناب الخيل التي أهديت اليه وطردها وقتل الرسل لكون التتار لم تتقدم لهم سابقة تمليك وانما هم بادية الصين فلما سمع جنكزخان وصاحبه بما حصل تحالفا على التعاضد وأتبعهما أمم كثيرة من التتار ووقع بينهم وبين القان الكبير ملحمة عظيمة فكسروا القان الاعظم وملكوا بلاده وصار الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة ثم مات كشلوخان وقام ابنه مقامه فاستضعفه جنكزخان وظفر به واستقل بالملك ودانت له التتار واعتقدوا فيه الالوهية وبالغوا في طاعته وفي سنة ست وستمائة هجرية خرج الى نواحي الترك وفرغانه فأمر خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان أهل فرغانة والشاش وكاسان بالانجلاء عنها الى سمرقند خوفا من التتار ثم في سنة خمس عشرة أرسل جنكزخان الى سلطان خوارزم شاه رسلا وهدايا وعقد معه مودة وصلحا على أن تمر تجار كل من المملكتين في الاخرى مع الامن على النفس والمال فأجابه لذلك وبعد مدة وصل من بلاده تجار وكان خال خوارزم شاه ينوب على بلاد ما وراء النهر ومعه عشرون ألف فارس فشرهت نفسه في أموال التجار فكاتب السلطان يقول ان هؤلاء القوم قد جاؤا بزى التجار وما قصدهم الا التجسس فان اذنت لي فيهم فأذن له بالاحاطة بهم فأحاط بهم وبأموالهم فوردت رسل جنكزخان الى خوارزم شاه يقول انك أعطيت أمانك التجار فغدرت والغدر قبيح وهو من سلطان الاسلام أقبح فان زعمت أن الذي فعله خالك بغير أمرك فسلمه الينا فأمر خوارزم شاه بقتل الرسل فسار اليه جنكزخان وحاربه عند مرج همدان وقتله وقتل جميع من معه وذلك في سنة سبع عشرة وستمائة وملك جميع بلاده وقال سبط الجوزى كان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة فأخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه وبعد ذلك عبروا النهر وكان خوارزم شاه قد أباد الملوك من مدن خراسان فلم يجد التتار أحدا في وجههم فطووا البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى أن وصلوا همدان وقزوين في هذه السنة وقال ابن الاثير في كامله حادثة التتار من الحوادث العظام والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين واستطار شررها وعم ضررها فان قوما خرجوا من أطراف الصين وقصدوا بلاد تركستان ثم منها الى بخارى وسمرقند فملكوها وبدوا أهلها وعبرت طائفة منهم الى خراسان ثم الى الري وهمدان الى حد عراق العرب ثم قصدوا ازربيجان ودربند شروان وعبروا من عندها الى بلاد اللان واللاكن وملكوا جميع ذلك وقتلوا وأسروا ثم قصدوا بلاد قفجان وهم من أكثر الترك عددا فقتلوا من وقف منهم واستولوا عليها ومضت طائفة أخرى الى غزما وسجستان وكرمان وفعلوا مثل هؤلاء بل أشد فانهم أكثروا من سفك الدماء وهتك المحارم وسلب الاموال ولم يبق أحد في البلاد التي تركوها الا وهو خائف يترقب وصولهم اليه وهم لا يحتاجون الى ميرة ومددهم يأتيهم ومعهم البقر والاغنام والخيل يأكلون لحومها ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد وهم مائتا ألف فتلقتهم عساكر الاسلام واقتتلوا اقتتالا عظيما وقد ابتلى المؤمنون في ذلك اليوم بلاء حسنا وكان يوما مشهودا سالت فيه الدماء على وجه الارض وأنتنت الارض من قتلى الفريقين ولم يزل القتال الى غروب الشمس ثم انفصل القتال ودخل المسلمون الى بغداد وباتوا طول الليل يحرسون على الاسوار وفي ثالث يوم خرجت عساكر المسلمين والمقدم عليهم الوزير ابن العلقمي فصف الصفوف وانتشرت الرايات والتقى الجمعان الى وقت الظهيرة فعندها انهزمت عساكر المسلمين وولت وكان السبب في هزيمتهم ان الوزير ابن العلقمي جعل على الجناحين الميمنة والميسرة طائفة من جماعته ومن هو على دينه وقدمهم على جميع العساكر وقال لهم حين يقع القتال ويشتد ولوا الادبار ففعلوا وانكسرت الميمنة أولا ثم تبعتها الميسرة وكان ابن العلقمي في القلب فحين رأى ذلك لوى عنان فرسه وولى الادبار فعندها انكسرت قلوب العساكر الاسلامية وولت الادبار فتبعتهم التتار وملكوا ظهورهم واستعملوا القتل فيهم كيف شاؤا ودخلت العساكر المدينة بعد ما غرق منهم خلق لا يحصون في الدجلة قيل انهم حصروا ما قتل وأسر في ذلك اليوم فوجدوه مائة وعشرين ألفا ثم أغلق المسلمون أبواب المدينة وتحصنوا بالاسوار ولم تزل التتار تقاتلهم أربعين يوما ثم ان الوزير قال للمعتصم قد اشتد الامر على المسلمين ولا تأمن أن يهجموا على المدينة ليلا فيملكوها ويسفكوا دماء المسلمين فالاولى أن تخرج اليهم وتعقد بيننا وبينهم صلحا يكون فيه صلاح للمسلمين وحقن دمائهم فأمره الخليفة بالخروج فخرج ومعه جماعة واجتمع بالملك هلاكو فقال ملك التتار فتوافق معهم على أن ينزل الخليفة اليه ويعقد معه الصلح على نصف خراج العراق ويدفع له من المال أربعة آلاف ألف

دينار فرجع وأعلم الخليفة بذلك فجمع الامراء والعلماء وأطلعهم على ما طلب هلاكوقان فوافقوه على ذلك فأمرهم بالخروج معه ليتم عقد الصلح على أيديهم فخرج وامعه فلما قربوا ودخلوا في عسكره حجبوا عن الخليفة كل من معه وبقي في ثلاث عشرة نفسا فاضطرب الخليفة وأيقن بالهلاك وعلم انها مكيدة وكان هلاكوقان قد أهب عساكره وقال لهم حين ترو الخليفة خرج من المدينة بمن معه وقرب منا تكونون على أهبة رجل واحد واهجموا على المدينة واقتلوا من لقيتموه ولا ترفعوا السيف عنهم حتى تملكوا المدينة أو يأتيكم أمرى وكان قد أمر حين وصول الخليفة اليه أن يمسكوا من كان معه ويضربوا أعناقهم فقتلوا من كان معه من العلماء والامراء والاعيان وكانوا ألفين وسبعمائة ما بين عالم وأمير وهجمت عساكر التتار على المدينة على حين غفلة فدخلوها وملكوها وقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والولدان والمشايخ والكهول ونزل كثير من الناس في الآبار استخفوا بها ونهبوا قصر الخليفة وأخرجوا من كان فيه من الجوارى والنساء والحريم قيل انهم وجدوا فيه ألف بنت بكر واستولوا على جميع ما كان فيه وبقيت المدينة أربعين يوما خاوية على عروشها ليس بها الا القليل من الناس والقتلى في الطرقات كالتلول وأنتنت البلد من جيفهم وتغير الهواء وحصل الوباء الشديد ونقل السيوطى ان هلاكوقان أمر بجمع الاطفال من البنات والغلمان في جامع المنصور فغلق عليهم أبواب المسجد ثم أمر بالحطب فألقى عليهم وأحرقوهم بالنار ثم بعد ذلك بأربعة عشر يوما نادى بالامان فخرج من كان تحت الارض في الآبار والمطامر وقيل ان من قتل من بنى العباس يزيدون على ثمانمائة نفس ويقال ان الخليفة المستعصم داسته الخيل بحوافرها فلم يوجد له أثر وأمر هلاكوقان بهدم سور المدينة واحراق المساجد وقصور الخلفاء والاسواق ومكثت النار في بغداد تأكل في دورها وقصورها ومساجدها نحو ثلاثين يوما وصار عاليها سافلها وكما تاقال تقى الدين بن أبى يسر يرثى بغداد

لسائل الدمع عن بغداد أخبار * فما وقوفك والاحباب قد ساروا
يازائرين الى الزوراء لاتفدوا * فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذى شرفت * به المعالم قد أعفى واقفار
أضحى لعطف البلا في عصنه أثر * وللدموع على الآثار آثار
يانار قلبى من نار لحرب وغى * شبت عليه ووافى الربع اعصار
علا الصليب على أعلى منابرها * وقام بالامر من يحويه زنار
وكم حريم سبته الترك غاصبة * وكان من دون ذاك الستر أستار
وكم بدور على البدرية انخسفت * ولم يعد لبدور منه ابدار
وكم ذخائر أضحت وهى شائعة * من النهاب وقد حازته كفار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم * على الرقاب وحطت منه أوزار
ناديت والسبى مهتوك تجرهم * الى السفاح من الاعداء ذعار

وقد كانت بغداد من أعظم المدائن وأحسنها ولم تزل دار السلام تنتقل اليها الناس من الاقاليم وتسكنها الى أن صارت في زمن الخليفة المتوكل مدينة ليس على وجه الارض مثلها واستمرت في عز واقبال وشرف على جميع البلاد ومثوى كل خائف ومستقر كل عارف الى سنة خمسين وستمائة في خلافة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين فدمرها التتار وأزالوا معالمها وكان ابتداء بناء مدينة بغداد في سنة أربعين ومائة من الهجرة بناها أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس في الجانب الغربى من الدجلة وأنفق عليها أموالا جزيلة حتى قيل انه أنفق على البناء أربعة آلاف ألف ألف دينار ونقل اليها بواب مدينة واسط وبنى بها قصرا عظيما فبين عمارتها وخرابها بالتتار خمسمائة سنة وعشر سنين وكان السبب في قصد التتار اياها وتخريبها هو مؤيد الدين العلقمى الرافضى وزير المعتصم كما سبق كان المعتصم ركن اليه وفوض اليه أمور دولته فاهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة كيف أراد وكاتب التتار وناصحهم وأطمعهم في المجىء الى العراق وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل على بن أبى طالب فصار اذا جاءه خبر من التتار كتمه على الخليفة ويطلعهم على أخبار الخليفة وهم جائلون في البلاد وشرهم يتزايد والخليفة في غفلة عما

يراد

برادبه تائه فى لذاته وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جدا ومع ذلك يصانع التتار ويهاديهم فأشار الوزير على المعتصم بقطع أكثر الجند وان المصانعة يحصل بها المقصود ففعل ثم كاتب الوزير التتار وأطمعهم فى البلاد وكان حريصا على ازالة الدولة العباسية ونقلها الى العلوية وواعدوه أن يكون نائبا عنهم وقصدوا بغداد فكان ماذكرنا بعضه ثم ان هلاكوقان رحل عن بغداد وفوّض أمرها الى الامير بهادر وأرسل الى الملك الناصر صاحب دمشق ومصر كتابا صورته يعلم سلطان ملك ناصر طال بقاه انه لما توجهنا الى العراق خرج الينا جنودهم فقتلناهم بسيف الله ثم خرج الينا رؤساء البلد ومقدموها فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الاذلال وأما ما كان من صاحب البلد فانه خرج الى خدمتنا ودخل تحت عبوديتنا فسألناه عن أشياء فكذب فيها فاستحق الاعدام وكان كذبه ظاهرا ووجدوا ما عملوا حاضرا أجب ملك البسيطة ولا تقولن قلاعي المانعات ورجالي المقاتلات وقد بلغنا ان شذرة من العساكر التجأت اليك هاربة والى جنابك لائذة أين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضا وطولها عرضا والسلام ثم أرسل له كتابا ثانيا يقول فيه خدمة ملك ناصر طال عمره أما بعد فانا فتحنا بغداد واستأصلنا ملكها وملكها وكان ظن وقد ضن بالاموال ولم ينافس فى الرجال أن ملكه يبقى على ذلك الحال وقد علا ذكره ونما قدره فخسف فى الكمال بدره

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

ونحن فى طلب الازدياد على ممر الآباد فلا تكن كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأبد ما فى نفسك اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أجب دعوة ملك البسيطة تأمن شره وتنل بره واسع اليه برجالك وأموالك ولا تعوق رسلنا والسلام ثم أرسل اليه كتابا ثالثا يقول أما بعد فنحن جنود الله بنا ينتقم ممن عتا وتجبر وطغى وتكبر وبأمر الله ما ائتمر وان عوتب تنمر وان روجع استمر ونحن قد أهلكنا البلاد وأبدنا العباد وقتلنا النسوان والاولاد فيا أيها الباقون أنتم بمن مضى لاحقون ويا أيها الغافلون أنتم اليه تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جنود المملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا فى ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا أين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت فى قبضتنا الامراء والخلفاء ونحن اليكم صائرون ولكم الهرب وعلينا الطلب

ستعلم ليلى أى دين تداينت * وأى غريم بالتقاضى غريمها

دمرنا البلاد وأيتمنا الاولاد وأهلكنا العباد وأذقناهم أليم العذاب والنكاد وجعلنا عظيمهم صغيرا وأميرهم أسيرا يحسبون أنهم منا ناجون أو متخلصون وعن قليل سوف تعلمون على ما تقدمون وقد أعذر من أنذر ثم فى سنة سبع وخمسين وستمائة كان صاحب مصر المنصور على بن المعز صبيا والامير سيف الدين قطز المعزى مملوك أبيه وقدم الصاحب كمال الدين بن العديم اليهم رسولا يطلب النجدة على التتار فجمع قطز الامراء والاعيان وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان هو المشار اليه فى الكلام فقال اذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتالهم وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهازهم بشرط أن لا يبقى فى بيت المال شئ وان تبيعوا مالكم من الحوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ثم بعد أيام قبض قطز على أستاذه المذكور وقال هذا صبى والوقت صعب ولا بد أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد وتسلطن قطز ولقب بالملك المظفر وخرج بجيوشه فى شعبان سنة ثمان وخمسين الى الشام لقتال التتار وجاويشه ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان التتار قد قطعوا الفرات وجاسوا ديار بكر والموصل وقتلوا ونهبوا وأخربوا فالتقى الجمعان عند عين جالوت يوم الجمعة خامس عشر رمضان وأمر المظفر أن يحملوا عند الزوال حملة رجل واحد بالسيوف والمسلمون على منابرهم يدعون لنا بالظفر وكان عسكر المسلمين عشرين ألفا والتتار لا يحصى لهم عدد ووقع القتال بينهم وكان يوما مشهودا وصبر المسلمون صبر الكرام وباعوا أنفسهم لله ولم يزل السيف يعمل بينهم حتى سالت الدماء على وجه الارض ولله در ركن الدين بيبرس قد فعل الافاعيل العظيمة بقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة والملك المظفر يحرض المؤمنين على القتال وقد سل سيفه وقاتل قتالا شديدا وألقى الله الصبر على المسلمين ونصرهم نصرا عزيزا وانهزمت التتار هزيمة

شنيعة وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى امتلأت الارض من القتلى وطمع المسلمون فيهم فجعلوا يتخطفونهم وينهبونهم ويأسرونهم وهم منهزمون مولون الاعقاب وساق بيبرس وراءهم يقتل ويأسر حتى أخرجهم عن بلاد حلب والموصل وديار بكر الى ان عدوا الفرات وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر والظفر فطار الناس فرحا وسروا ثم دخل الى دمشق في موكب عظيم والناس تدعو له بطول البقاء والنسوة تزغرد من كل جانب وقد انتشرت فوق رأسه الاعلام وأحبه الخلق جميعا ومدحته الشعراء فمن ذلك قول الشاعر

غلب التتار على البلاد فجاءهم * من مصر تركى يجود بنفسه

بالشام أهلكهم وبدد شملهم * ولكل شئ آفة من جنسه

والتتار أمة لغتهم مشوبة بلغة الهند لانهم في جوارهم وهم بالنسبة الى الترك عراض الوجوه واسعو الصدور خفاف الاعجاز صغار الاطراف سمر الالوان سريعو الحركة في الجسم والرأى تصل اليهم أخبار الامم ولا تصل أخبارهم الى الامم وقلما يقدر جاسوس ان يتمكن منهم لان الغريب لا يشتبه بهم واذا أرادوا جهة كتموا أمرهم ونهضوا دفعة واحدة فلا يعلم أهل بلد حتى يدخلوه ولا عسكر حتى يخالطوه فلهذا تنسد على الناس طرق الحيل ويضيق طريق الهرب ونساؤهم يقاتلن معهم والغالب على سلاحهم النشاب وليس في قتلهم استثناء ولا ابقاء يقتلون الرجال والنساء والاطفال وكان قصدهم افناء العالم لا الملك والمال وبلادهم بأطراف بلاد الصين وهم سكان برار وقفار ومشهورون بالشر والغدر انتهى وفي خطط المقريزى انه في زمن السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق بن أنص وسلطنة ابنه الملك الناصر زين الدين أبي السعادات فرج كانت فتن وشرور وغلاء ووباء كثير وقد طرق بلاد الشام فيها الامير تيمور لنج فخربها كلها وحرقها وعمها بالقتل والنهب والاسر حتى فقد منها جميع أنواع الحيوانات وتمزق أهلها في جميع أقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء فاشتد بها الغلاء على من تراجع اليها من أهلها فاشنع موتهم واستمرت بها مع ذلك الفتن وقصر مد النيل حتى شرقت الاراضى الا قليلا فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع وصاروا أرقاء مملوكين وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل الى حيث مجرى الفرات انتهى ونقل دساسى عن كتاب السلوك لتقى الدين المقريزى من حوادث سنة ست وتسعين وسبعمائة صورة كتاب أرسله تيمورلنج الى ملك مصر الظاهر برقوق يتضمن الارعاد والابراق وتذكر قبل رسله لا بأس بايراده هنا لما فيه من الفائدة مع مناسبته لرسائل هلاكوفان المارة ونصه قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم لباك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا قد خربنا البلاد وأيتمنا الاولاد وأظهرنا في الارض الفساد وذلت لنا أعزتها وملكنا بالشوكة أزمتها فان خيل ذلك على السامع وأشكل وقال فيه انه عليه مشكل فقل له ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك لكثرة عددنا وقوة بأسنا فخيولنا سوابق ورماحنا خوارق وأسنتنا بوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وجيوشنا كعدد الرمال ونحن أبطال وأقيال وملكنا لا يرام وجارنا لا يضام وعزنا أبدا بالسودد مقام فمن سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل وأنتم ان أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وان أنتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا أنفسكم فالحصون منا مع تشييدها لا تمنع والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا ولا يسمع وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام وضيعتم جميع الانام وأخذتم أموال الايتام وقبلتم الرشوة من الحكام وأعددتم لكم النار وبئس المصير ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فلما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك وقد قتلتم العلماء وعصيتم رب الارض والسماء وأرقتم دم الاشراف وهذا والله هو البغى والاسراف فأنتم بذلك في النار خالدون وفي غد ينادى عليكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فأبشروا بالمذلة والهوان يا أهل البغى والعدوان وقد غلب عندكم انا كفرة وثبت عندنا انكم والله الكفرة الفجرة وقد سلطنا عليكم الله أمور

مقدرة وأحكام مدبرة فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل لاننا ملكنا الارض شرقا وغربا وأخذنا منها كل سفينة غصبا وقد أوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطاء وتضرم الحرب نارها وتضع أوزارها وتصير كل عين عليكم باكية وينادى منادى الفراق هل ترى لهم باقية ويسمعكم صارخ الفناء بعد أن يهزكم هزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكرا وقد أنصفناكم اذ راسلناكم فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالاولين فتخالفوا كعادتكم سنن الاولين وتعصوا رب العالمين فما على الرسول الا البلاغ المبين وقد أوضحنا لكم الكلام فأسرعوا برد جوابنا والسلام فكتب جوابه بعد البسملة قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية ونزغاتكم الشيطانية وكتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنابية وسيرة الكفرة الملوكية وانكم مخلوقون من سخط الله ومسلطون على من حل عليه غضب الله وانكم لاترقون لشاك ولاترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك أكبر عيوبكم وهذه من صفات الشياطين لامن صفات السلاطين وتكفيكم هذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم ناهية قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولى دين ففى كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل مرسل نعتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا خبركم من حين خرجتم انكم كفرة ألا لعنة الله على الكافرين من تمسك بالاصول فلا يبالى بالفروع نحن المؤمنون حقا لايدخل علينا عيب ولايضرنا ريب القرآن علينا نزل وهو سبحانه بنا رحيم لم يزل فتحققنا نزوله وعلمنا بركته تأويله فالنار لكم خلقت ولجلودكم أضرمت اذا السماء انفطرت ومن أعجب العجب تهديد الرتوت بالتوت والسباع بالضباع والكماة بالكراع نحن خيولنا برقية وسهامنا عربية وسيوفنا يمانية وليوثنا مضرية والقنا شديدة المضارب وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتل منا أحد فبينه وبين الجنة ساعة ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين وأما قولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لايبالى بكثرة الغنم وكثير الحطب يفنيه القليل من الضرم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار من الرزايا وحلول البلايا واعلموا ان هجوم المنية عندنا غاية الامنية ان عشنا سعداء وان قتلنا شهداء ألا ان حزب الله هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعة لاسمع لكم ولاطاعة وطلبتم ان نوضح لكم أمرنا قبل ان ينكشف الغطاء ففى نظمه تركيك وفى سلكه تبنيك لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان أكفر بعد ايمان أم اتخذتم الها ثان وطلبتم من جهلكم وغيكم أن نتبع رأيكم لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا قل لكاتبك الذى رصع رسالته ووصف مقالته وصل كتابك كصرير باب أو كطنين ذباب كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ان شاء الله وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والسلام انتهى والمراد بالرتوت الرؤساء قال فى القاموس الرت الرئيس والجمع رتات ورتوت والرتوت أيضا الخنازير وقال أيضا التوت بالضم الفرصاد انتهى وهو الشجر المعروف أوحمله وفى تاريخ الجبرتى انه كان عند الصالحية وقعة بين محمد بك ابى الذهب وعلى بك الكبير فى سنة سبع وثمانين ومائة وألف وذلك ان على بك بعد أن توجه الى الشام واجتمع بأولاد الظاهر جيش جيشا وجاء به الى مصر فبلغ ذلك محمد بك فتهيأ للقائه ومحاربته وأبرز خيامه الى جهة العادلية ونصب الصيوان الكبير هناك وهو صيوان صالح بك فى غاية من العظم والاتساع والعلو وجميعه بدءا من جوخ صايه و بطانته بالاطلس الاحمر وطلا نعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر فارتحل فى خامس صفر فالتقى مع جيش على بك بالصالحية وتحاربا فكانت الهزيمة على على بك وسقط عن جواده فاحتاطوا به وحملوه الى خيام محمد بك فخرج اليه وتلقاه وقبل يده وحمله من تحت ابطه حتى أجلسه بصيوانه وفى صبح يوم السبت حضر الى مصر وأنزل أستاذه فى منزله بالازبكية بدرب عبد الحق وكان قد انجرح فى وجهه فاجرى عليه الاطباء فلم ينجع فيه ذلك ومات بعد سبعة أيام وقيل انه سم فى جراحاته انتهى وقد ذكرنا ترجمته فى الكلام على منية ابن خصيب (صحراء عيذاب) بكسر العين المهملة وبالذال المعجمة وآخره موحدة كما فى القاموس هذه الصحراء فى الصعيد الأعلى

واقعة فى جهة النيل الشرقية بين مدينتى قفط والقصير وهى الآن على ما كانت عليه فى الازمان الماضية مسكونة بالعرب وأول من حول طريق التجارة اليها بطليموس فيلادولفوس سنة ٣٢٠ قبل الميلاد فكانت فى زمنه وزمن من أعقبه من البطالسة هى الطريق المطروق لتجارة الهند الى الديار المصرية والاوروباوية ولم يتغير هذا الطريق فى زمن قياصرة الروم الا أن أهمية التجارة كانت تزيد وتنقص على حسب الاحوال السياسية ولاجل أن يأمن أهل التجارة على أنفسهم وأموالهم من غائلة العرب جعل بطليموس فى جميع هذه الطريق عمارات ومخازن للبضاعة وحفر فى كل منها بئرا معينة ورتب خفراء لحفظ المارين وبنى على البحر الاحمر مدينة سماها باسم زالدته بيرنيس وبقيت المحافظة فيها زمن الرومانيين وتلك الطريق كانت تصل من قوص أو من قفط الى القصير القديم وقد استدل فى هذه الازمان على ما كان فيها من المحطات وان قدرها اثنتا عشرة محطة كل منها عبارة عن بناء مربع الشكل ضلعه من أربعين مترا الى خمسين وارتفاعه من أربعة أمتار الى خمسة وفى زواياها أبراج سمك حيطانها ثلاثة أمتار وفى داخل كل منها فضاء متسع فى مركزه بئر مستديرة وحول الفضاء من جهاته الاربع أودة صغيرة ينفصل بها هلين صغير وبين كل محطة وأخرى مسيرة ثلاث ساعات وفى خطط المقريزى ان حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة عن مائتى سنة لا يتوجهون الى مكة المشرفة الا من صحراء عيذاب ثم قال ان هذه الصحراء لم تزل عامرة آهلة بما يصدر عنها ويرد اليها من قوافل التجارة والحجاج الى سنة ستين وثمانمائة فى زمن الخليفة المستنصر فانقطع الحج من البر الى ان كسا السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا وأخرج قافلة الحجاج من البر فسلك الحجاج هذه الصحراء على قلة واستمرت بضائع التجارة تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك سنة ست وستين وسبعمائة وتلاشى امر قوص من حينئذ وهذه الصحراء مسافتها من قوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ويفقد منها الماء ثلاثة أيام أو أربعة متوالية وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدة أكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسى الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود المراكب اليها صارت عدن هى المينا العظيمة من بلاد اليمن واستمرت على ذلك الى عام بضع وعشرين وثمانمائة فصارت جدة أعظم المرامى الى اخر ما قاله المقريزى وسيأتى الكلام على عيذاب وقيل ان عيذاب فى محل بيرنيس التى هى فى آخر حدود هذه الصحراء وذكر بعض الجغرافيين من الاروام ان المسافة بين قوص وبيرنيس اثنا عشر يوما وفى خطط انطونان أن مدينة بيرنيس على موازاة مدينة اسوان وقسم الطريق الموصلة اليها الى اثنى عشر يوما وجعل طولها مائتى ألف خطوة وثمان وخمسين ألف خطوة وجعلها غيره مائتى ألف وأحدا وسبعين ألف خطوة وفى مؤلفات بلين ان هذا البعد مائتان وثمانية وخمسون ميلا وذكر بعضهم ان أقرب بعد بين قوص والبحر الاحمر أربعون ساعة بسير الجمل وقدر الساعة ألفان وأربعمائة توازة وذلك عبارة عن ألفين وخمسين استاده مصرية أو مقدونية وباعتبار ان الميل ثمان غلوات كما اعتبره بلين تكون هذه المسافة عبارة عن مائتين وستة وخمسين ميلا وهو لا يزيد عما قدره بلين غير ميلين وهو فرق يسير فاستدل بذلك على أن مدينة القصير القديمة هى بيرنيس وقد سبق الكلام على بيرنيس وهاك اسماء المحطات وأبعادها مبتدأ من قفط

استاده	أسماء المحطات
١٩٢	بينيكون
١٩٢	ديديم
١٦٠	افرديتو
١٧٦	كومبازى
١٨٤	جوفيس
٢٤٠	أرسنويس
٢٤٠	فلاجروا
١٩٢	ابولونوس
١٩٢	كابالسى
٢٥٦	ستون ادروما
١٣٤	بيرونيس
٢١٥٨	

وفى سنة ١٨١٦ ميلادية استكشف السياح كايو الطريق القديم بين قفط وجبل الزمرذو بيرنيس حين استخدمه
العزيز المرحوم محمد على لكشف معدن الزمرذ وقد سافر اليه مرتين متعاقبتين واستخدم فيه الشغالة واستخرج منه
بعض أحجار وعرضها على العزيز ثم انقطع العمل بسبب كثرة المصاريف وفى رحلة السياح المذكور ان جبل الكبريت
على بعد أربع ساعات من البحر الاحمر بقرب واد يعرف بوادى السيال لكثرة شجر السيال فيه وهو واد يمتد الى قرب
رأس فى البحر تعرف برأس الانف وجبل الكبريت فى عرض أربع وعشرين درجة وخمس وعشرين دقيقة مع طول
ثلاثين درجة وخمسين دقيقة وهو فى جنوب القصير الجديد على بعد ستين فرسخا عبرة كل خمس وعشرين فرسخا درجة
أرضية وبين النيل والجبل المذكور ستة وخمسون فرسخا وسير الابل ثلاث وستون ساعة والجمل يقطع فى الساعة
الواحدة ستة أسباع فرسخ بالسير المعتاد وهو مع الحط والنزول المعتادين لايزيد عن تسع ساعات فى اليوم فيكون
سيره فى اليوم سبعة فراسخ ونصف فرسخ قال السياح المذكور ومن قرية الرادسية الواقعة فى جنوب ادفو الى جبل
الزمرذ المعروف عند العرب بجبل زبادة اثنتان وخمسون ساعة ومن جبل الكبريت الى جبل الزمرذ اثنتان وعشرون
ساعة وبين جبل الزمرذ والبحر سبعة فراسخ ونصف وبينه وبين القصير خمسة وأربعون فرسخا ومن مدينة قفط الى
مدينة بيرنيس القديمة مسيرة سبعة عشر يوما وهى طريق معروفة للعرب موصلة الى جبل الزمرذ ويتفرع عن هذه
الطريق طريقان يسلكهما المغاربة وأهل الواحات وغيرهم فى التوجه الى القصير وهناك طريق ثالث من جبل
الزمرذ الى القصير وبين الرادسية ومعدن الزمرذ عينا ماء الاولى على بعد أربعة فراسخ من النيل والثانية على بعد
اثنين وعشرين فرسخا منه وبقرب العين الاخيرة يوجد على الصخور نقوش مصرية قديمة ومن هذا الموضع يحمل
المسافر مايحتاج اليه من الماء ويوجد فى الطريق آثار ثلاث محطات قديمة وعلى بعد ثلاثة عشر فرسخا من النيل
معبد قديم نقوشه ومبانيه فى غاية الحفظ وموضعه بين الشرق والجنوب الشرقى من مدينة ادفو ويوجد عند جبل
الزمرذ آثار مدينتين تسميهما العرب بندر الصغير وبندر الكبير (وربما كانت المدينة التى سماها كل من المسعودى
والمقريزى بالخربة هى احدى هاتين المدينتين) والمسافر من جبل الزمرذ يتبع فى سيره الجنوب الشرقى حتى يصل الى
خراب مدينة برنيس انتهى وقال الشريف الادريسى ان من المدن الموجودة فى الاقليم الخامس مدينة عيذاب وهى
موضوعة على ساحل بحر القلزم واليها تنسب الصحراء المجاورة لها ولم يكن لها طرق معروفة بل كان الناس يهتدون فى
سفرهم بالجبال وفى كثير من المواضع لايكون للقوافل دليل الا النجمة القطبية والشمس وعادة المتوجه الى جدة أن
يسافر من عيذاب وعرض البحر من هذا الموضع يوم وليلة وفى عيذاب حاكمان احدهما من طرف رئيس البجة
والآخر من طرف حاكم الديار المصرية وكان مايحصل من هذه المدينة يقتسمانه مناصفة وكانا يجلبان اليها مناصفة
أيضا كل مايلزم لمؤنة أهلها وكانت عادة الامير البجوى الاقامة فى الصحراء ولايدخل المدينة الا نادرا وكان أهل
عيذاب يتنقلون فى أرض البجاة للتجارة ويجلبون منها الزبيب والعسل واللبن ولهم عدة مراكب لصيد السمك وكان
يؤخذ هناك من حجاج بلاد المغرب عوائد كل نفر عشرة دنانير وكانت الدنانير تارة تكون قطعا من الذهب وتارة معاملة
مضروبة وفى سنة ست عشرة وسبعمائة منع عرب عيذاب رسل أمير اليمن ونهبوا مامعهم من البضاعة فارسل اليهم
سلطان الديار المصرية ستمائة من العساكر تحت امرة الامير علاء الدين مغلطاى فتوجه من قوص فى المحرم سنة
سبع عشرة وسار فى صحراء عيذاب ثم أخذ فى طريق سواكن فتقابل مع قوم من الحبشة يعرفون بالكيكا عدتهم نحو
الالفين راكبين على هجن وسلاحهم النشاب والحراب ومعهم كثير من المشاة العراة فحين اصطدم الفريقان انهزم
الحبشة وولوا بعد أن قتل منهم عدد كثير ثم سار العسكر نحو الابواب ومنها الى ناحية دنقلة ثم عدلوا الى طريق
القاهرة فوصلوها فى اليوم التاسع من شهر جمادى الثانية بعد ثمانية أشهر من وقت الرحيل وفى كتاب السلوك
للمقريزى انه فى سنة تسع عشرة وسبعمائة وصل الخبر بان العرب حصل منهم اغارات كثيرة فى ضواحى عيذاب وقتلوا
حاكم المدينة فارسل اليهم السلطان جملة من الامراء من ضمنهم الامير عكوش الذى كان مأمورا بالاقامة فى المدينة وفى
مبدا الاسلام كانت جزيرة دهلك محلا لنفى المغضوب عليهم كما يؤخذ من كلام مؤرخ مدينة دمشق حيث قال انه فى
سنة مائة هجرية أراد عمر بن عبد العزيز ارسال يزيد بن المهلب لنفيه فيها وفى كتاب السلوك أيضا انه فى سنة اثنتين وستين

وستمائة ورد الخبر بان ملك جزيرة دهلك وملك جزيرة سواكن يستوليان على تركات من مات من التجار فارسل اليهما السلطان يهددهما على هذه الفعال وفى سنة أربع وستين وستمائة ورد من حاكم مدينة قوص خطاب بانه وصل الى عيذاب وانه يريد التوجه منها الى سواكن فلما وصلها تبين له ان ملكها قد فرهاربا فرجع بالعساكر الى مدينة قوص بعد أن مهد الامور بناحية سواكن وترك فيها عساكر للمحافظة وفى سنة ثمانين وستمائة حصل فى صحراء عيذاب بين عرب رفاعة وعرب جهينة قتال مات بسببه من الفريقين خلق كثير فكتب السلطان الى الشريف علم الدين أمير سواكن بالتوسط بين الفريقين بدون أن يميل مع أحد منهم لانه يخاف من طول الحرب انقطاع الطرق وفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة وصل الى القاهرة رسل من طرف ملك دهلك ومعهم هدية للسلطان فيها عدة أفيال وزرافات وجملة من العبيد والاشياء النفيسة قلت وكان اشتمال الهدايا على الزرافات من عوائد ملوك المشرق قال كترمير نقلا عن كتاب السلوك ما معناه كثيرا ما وجد هذا الحيوان فى هدايا ملوك المشرق ففى سيرة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ان الزرافة كانت من ضمن ما أهداه الى ملك الالمانيا فى سنة ست وستين وستمائة وفى السنة التالية لها أرسل عدة زرافات الى بركة خان ملك كبجك ولما عقد الصلح بين السلطان بيبرس وملك النوبة سنة أربع وسبعين قرر على ملك النوبة فيما قرر عليه كل سنة ثلاثة أفيال ومثلها زرافات وخمسا من اناث النمورة وفى سنة خمس وثمانين وستمائة حضر رسول صاحب بلاد الابواب الواقعة خلف بلاد النوبة ومعه هدية الى السلطان قلاوون فيها خمسة أفيال وزرافة وفى سنة احدى واربعين وسبعمائة أرسل سلطان مصر الى صاحب ماردين هدية فيها فيل وزرافة وأربع من اناث النمورة وذكر ابن خلدون ان الزرافة كانت من ضمن هدية مرسلة من طرف صاحب المغرب الى ملك مالى وذكر المقريزى انه فى سنة خمس وسبعين وسبعمائة جاءت هدية من طرف صاحب دهلك الى سلطان مصر فيها فيل وزرافة وعدد كثير من الرقيق ذكورا واناثا وفى سنة ست وثمانمائة أرسل ملك مصر الى تيمورلنج هدية فيها زرافة وقد شاهدها أحد السياحين الاندلسيين فى الطريق وقال ان جسمها قدر جسم الحصان ومن ظلف يدها الى أعلى كتفها ستة عشر بلم (قبضة) ومثل ذلك من ابتداء الاضلاع الى آخر الرأس واذا مدت رقبتها وصلت الى أعلى الشجرة ولقصر رجليها جدا ترى كأنها قاعدة على مؤخرها ومؤخرها كمؤخر الجاموس ذات بطن أبيض وجسم بلون الذهب مع تخطيط بالبياض ورأسها يشبه رأس الابل وطاقات أنفها فى أسفل الوجه ذات عينين مدورتين واسعتين وأذنين كاذن الحصان بقربهما قرنان صغيران مدوران يعلوهما الوبر وذكر المقريزى ان الخليفة العزيز كان يمشى فى موكبه سنة ثمانين وثلثمائة أفيال وزرافات وكان يصنع له أوعية على صورة الافيال والزرافات انتهى ولنورد لك طرفا مما يتعلق بمعدن الزمرذ قال المسعودى هذا المعدن فى الصعيد الاعلى بقسم قفط من مديرية قنا والمحل الذى هو به يعرف بالخربة وهى صحراء كثيرة الجبال والمحافظون عليه البجاة وهم مقيمون حوله ولهم شئ مقرر على من يستخرجه وعليهم الحفر والاخراج وقد أخبرنى من له معرفة بالزمرذ من أهل الصعيد وقد كان ذهب اليه وشاهده ان الزمرذ يزيد وينقص تبعا للفصول السنوية وطقس الجو وهبوب نوع من الرياح الاربع وان لونه الاخضر يكون شديد الخضرة واللمعان فى أول الشهر وقت الزيادة فى نور القمر ومن الخربة الى قوص وقفط ونحوهما من بلاد الصعيد المجاورة مسافة سبعة أيام ومدينة قوص على شاطئ النيل الشرقى وبينها وبين قفط نحو ميلين ونقل صاحب مسالك الابصار عن عبد الرحيم كاتب مصلحة المعدن ان معدن الزمرذ فى الصحراء اللاحقة باسوان وله تفتيش مخصوص مشتمل على كتبة ومستخدمين على حسب ما يلزم وجميع أجرة الشغالة ومصاريف الحفر والاستخراج تصرف من طرف السلطنة وهذا الحجر يوجد فى جبال من الرمل يحفر عليه فيها وقد انهارت مرارا على الشغالة وقتلتهم والمستخرج من الزمرذ يرسل الى القاهرة ومنها يؤخذ الى الجهات وهو فى وسط سلسلة جبال ممتدة شرقى النيل فى مجرى صخرة كبيرة تسمى قرقشندة من ضمن السلسلة المذكورة ومرتفعة فوق الجميع والصحراء المحيطة بها منعزلة وبعيدة عن المسكون من الارض وذلك المعدن فى داخل غار طويل من حجر أبيض والزمرذ ملتبس به وبينه وبين الماء مسافة نصف يوم وهو بركة من ماء المطر تزيد وتنقص بحسب كثرة المطر وقلته والزمرذ ثلاثة أصناف الاول طلق كافورى والثانى طلق فضى والثالث حجر جروى واستخراجه بكسر الحجر الذى هو

فيه

فيه وبعد استخراجه يوضع فى زيت حار ثم يخرج ويلف فى قطنة ومن فوقها يلف فى قطعة قماش وأحسن أصنافه وأندرها الصنف المسمى ذبابي وأخبرنى عبد الرحمن النائب انه فى مدة نيابته لم يعثر على شيء منه وعدد الشغالة فيه غير محصور بل يزيد وينقص بحسب رغبة الحكومة وعند انتهاء عملهم من الشغل آخر النهار يفتشون على الدقة ومع ذلك فلا يخلون من اخفائه والذهاب به الى منازلهم وذكر المقريزى ان العمل لم ينقطع الا فى سنة ستين وسبعمائة هجرية فى وزارة عبد الله بن زنبور وزير السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقال شمس الدين بن أبي السرور ان الوزير ابراهيم باشا والى مصر فى القرن العاشر من الهجرة بعد أن طاف الاقاليم القبلية ذهب الى آبار الزمرد واستخرج منها مقدارا عظيما وقال المسعودى ان المستخرج من الزمرد على أربعة أصناف احسنها وأغلاها الصنف المسمى مار وهو كثير الخضرة فى لون السلق الصافى الذى ليس كدرا والثانى البحرى ويسمى بهذا الاسم لرغبة ملوك الولايات المقيمة على البحر فيه مثل ملوك السند والهند والزنج والصين فانهم يرغبون فيه لتحلية التيجان به والخواتم والاساور وهو قريب من الاول فى القيمة واللون واللمعان واخضراره يشبه اخضرار الورق الذى يكون فى أول عيدان الآس وفى آخرها والثالث يسمى المغربى لرغبة ملوك المغرب فيه مثل ملوك الافرنج واللومبرد والاسبانوليين والروس وغيرهم ويتغالون فى قيمته كتغالى ملوك الهند والسند ونحوهم فيما قبله والرابع يسمى الاصم وهو أقل قيمة وجودة مما قبله بسبب ان خضرته ليست قوية ولمعانه كذلك وهو متفاوت بتفاوت لونه وبالجملة فكلما كان شديد اللمعان صافى الخضرة خاليا من السواد والصفرة مجردا عن العروق فهو المرغوب من كل نوع وزنة ما يستخرج من قطع الزمرد تختلف من خمسة مثاقيل الى قدر العدسة ويستعمل فى الحلى واتفق أهل فنه جميعا والجوهرية ان الثعبان اذا نظر الى الزمرد فقئت عينا وان ابتلع منه الملسوع قدر دانقين أمن ضرر السم فلذا لا يوجد فى ضواحى أرض الزمرد شيء من الهوام مطلقا وهو حجر طرى ينكسر ويتفتت بالماس وملوك الاروام وأهل الروم يرغبون فيه كثيرا زيادة عن سائر الاحجار لاجل خواصه الغريبة وخفة ثقله عن سائر الاحجار وأغلبه يوجد فى عروق تحت الارض فتى وجدوا عرقا طويلا مستقيما مع الاستدارة بلا خروق فيه جدوا فيه برغبة وهمة وأقله جودة ما يوجد فى التراب والطين وصنفا المغربى والاصم يوجدان أحيانا فوق سطح الارض فى الاودية والجبال المجاورة للمعدن ويجلب من بعض ولايات الهند زمرد يشبه زمرد هذه الصحراء فى اللمعان واللون لكنه صلب وأكثر ثقلا ويحتاج معرفة الفرق بينه وبين الاصناف السابقة الى كثرة التجارب والممارسة والجوهرية يسمونه زمرد مكة بسبب انه يجلب اليها فيجلب من الهند الى عدن وسائر بندر اليمن وذكر مؤرخو العرب زمردات مشهورة بالجودة والكبر فقال المقريزى فى كتاب السلوك الضبط الامير تشكو وجد عنده زمردتان فى غاية الجودة زنة الواحدة رطل وفى سنة ٧٠٤ هجرية عثر فى المعدن على زمردة وزنها مائة وخمسة وسبعون مثقالا وقد أخفاها ملتزم المعدن وعرضها على أمير فدفع له فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى فسلبها منه الامير وأرسلها للسلطان فمات ذلك الملتزم من الحسرة وحكى صاحب كتاب مسالك الابصار انه رأى زمردة وسطها فى أحسن ما يكون من الخضرة وطرفاها أبيضان وما بين ذلك معرق باللونين والبياض عند حروفها أكثر من الخضرة والخضرة أكثر فى الوسط وقال بوسير البيان فى الكلام على آبار الزمرد ان فى مدة مسير باشا والى مصر وجدت زمردة جيدة وزنها أربعة وثلاثون درهما بل ذكر بعض مؤرخى الافرنج فى عجائب معبد هرقول ان فيه عمودين أحدهما من الذهب الابريز والآخر من الزمرد قطعة واحدة وفى بعض الدفاتر ان مسلة جوبتير كانت مرصعة بأربع زمردات طولها أربعون ذراعا عرض واحدة منها أربعة أذرع انظر ذلك فى الكلام على مدينة كانوب وكلام مايبه الفرنساوى فى كتابه على مصر يفيد أن محل الزمرد كان مجهولا فى زمنه وقال السياح بروس الانكليزى انه شاهد جبل الزمرد وعد به خمسة آبار كان الاقدمون يستخرجون منها الزمرد لكنه جعله فى جزيرة وذلك يدل على انه غير ما تكلم عليه العرب لانهم مطبقون على جعله فى الارض القارة كما سبق ويقرب من الزمرد فى أوصافه نوع الزبرجد قال التيفاشى ان المعدن الذى يتكون فيه الزبرجد يكون فى معدن الزمرد ويوجد معه الا انه قليل جدا أقل وجودا من الزمرد وفى هذا التاريخ وهو عام أربعين وستمائة لم يوجد فى المعدن منه شيء وانما الموجود منه الآن على قلته فصوص تستخرج بالنبش فى الآثار القديمة بثغر الاسكندرية يقال انها من بقايا كنوز الاسكندر ثم

قال والزبرجد منه أخضر مغلوق اللون ومنه أخضر مفتوح اللون ومنه أخضر معتدل الخضرة حسن المائية رقيق المستشف ينفذه البصر بسرعة وهذا أجود أنواعه وأثمنها وقال أيضا ويكون الزبرجد على نحو ما ذكرناه فى تكون الزمرد كأنه ابتدأ ليكون زمردا فقصر عنه فى كيانه بسبب الاعراض الداخلة عليه من ضعف الطباخ ونقص الحرارة فلان جسمه ونقص لونه فكان منه الزبرجد خاصيته حسن المستشف من خضرته وجماله وان ادمان النظر اليه يجلو البصر ويقويه وفى هذه الصحراء يوجد أيضا الرخام بأنواعه وحجر السماق وغيره انظر ذلك فى الكلام على قرية بياض

(صدفة) بلدة فى مديرية سيوط بقسم بوتيج فى جنوب بوتيج بأكثر من ساعة وفى شمال بنى فيز بنحو ثلث ساعة وفى غربى النيل كذلك وفى شرقى دير عائد كذلك وكان محلها قديما مدينة تسمى أبولينوبارو ازالت وخلفتها هذه البلدة كما فى كتب الافرنج وبها مساجد عامرة ووكالة ينزل فيها بعض التجار وأكثر أبنيتها بالآجر وفيها علماء وأشراف ونائب بختم ميرى من طرف قاضى بوتيج ونخيلها كثير وفيها بيت من بيوت الملتزمين منه عمدتها وسوقها كل يوم ثلاثاء وأهلها أصحاب يسار لجودة أرضهم ومنها الى بوتيج طريق متسعة فيها عدة آبار معينة عليها أسبلة من بناء الملتزمين بعضها عامر وبعضها متخرب وفى شمالها الشرقى بنحو نصف ساعة قرية مجريس يمر عليها الجسر الطارئ فى غربى النيل الخارج من سيوط الى بوتيج الى طهطا وفيها منازل صالحة ومساجد ونخيل كثير ويتبعها عدة كفور

(الصفين) قرية من بلاد الشرقية بمركز منيا القمح واقعة فى قبليها بنحو سبعة آلاف متر وبينها وبين شبلنجة نحو ثلاثة آلاف ومائتى متر وفى شمالها الغربى سكة الحديد الواصلة الى بنها وأبنيتها باللبن وبها مجالس دعاوى ومجلس مشيخة ومساجد ومكاتب أهلية ومنزل مشيد لعمدتها محمد بك عبد الله وله مسجد أيضا وبها جملة أشجار وسواق ونخيل وأطيانها ثلاثة آلاف فدان وستمائة وأربعة وتسعون فدانا وكسر وعدة أهلها أربعة آلاف نفس وثمانمائة وأربع وسبعون نفسا وتكسبهم من الزرع ومنهم أرباب حرف وصنائع

(صنافير) بلدة من أعمال القليوبية بمركز قليوب غربى ناحية بهادة بنحو الفين ومائتى متر وفى شمال كفر الحرث بنحو الفين وسبعمائة متر وأغلب ابنيتها باللبن والآجر وبها جامع بمنارة ويزرع بها صنف حشيشة الفقراء بكثرة وسبق الكلام عليها عند التكلم على أبى تيج وكان فى هذه البلدة وقعة شنيعة تسبب عنها هلاك جم غفير من الامراء والعساكر وذلك انها كانت فى القرن الحادى عشر من الهجرة كما فى نزهة الناظرين فى التزام أميرين من امراء مصر أحدهما مصطفى افندى الذى كان كتخدا الجاويشية وكان قبلها كاتب الجلية وثانيهما عثمان الوالى زعيم مصر لكل منهما نصفها وكان وزير مصر يومئذ مصطفى باشا وقد رفع اليه بقلعة المحروسة عرض من خمسة أشخاص فى يوم الاحد السابع والعشرين من المحرم سنة احدى وسبعين وألف مضمونه شكوى حالهم الى كافل المملكة الاسلامية والاقطار الحجازية حضرة وزير مصر مصطفى باشا وانهم كانوا خمسة عشر شخصا من طائفة عزب قلعة مصر عينوا لمحافظة ناحية صنافير فقام عليهم جماعة زعيم مصر عثمان المذكور وقتلوا منهم خمسة أشخاص وجرحوا خمسة وبقى هؤلاء الخمسة وذكروا السبب وهو ان الزعيم عثمان طلب من الامير مصطفى افندى ان يفرغ له عن نصف البلد فامتنع الامير مصطفى افندى من ذلك وتحفظ على نفسه من الزعيم عثمان بأخذ بيورلدى (مكتوب) شريف من حضرة وزير مصر خطابا لحضرة أغاة العزب بتعيين خمسة عشر شخصا فعينهم أغاة العزب وتوجهوا لحراسة البلد المذكورة فلما وقع ذلك أرسل عثمان الزعيم لاهل نصف البلد الذين فى تصرفه يأمرهم ان يهجموا على أهل النصف الثانى ففعلوا وقتلوا من قتلوا من أهلها وقتلوا من المحافظين خمسة وجرحوا خمسة فلما عرض ذلك على الوزير أحضر كلا من الامير مصطفى وشريكه عثمان وسأل عثمان عما وقع فانكر ما ادعوا به بالكلية فندب الوزير كلا من الامير رمضان بك الفرحانى والامير محرم بن الامير مامای بك من أمراء الجراكسة بمصر وبصحبتهما جماعة من البلكات وشهود قاضى الديوان ودفع اليهم بيورلدى شريف للكشف على الواقعة من محلها فخرجوا متوجهين فى ليلتهم وقد تحزب طائفة العزب مع جماعة البلكات وفى صبيحة النهار كان عثمان الوالى متوجها للديوان ففى اثناء الطريق استشعر بطلبه للدعوى عليه وتحزب المتحزبين فرجع من ساعته خائفا خائبا خاسرا وتوجه الى منزل على بك كشك يلتجئ اليه فأخذه وتوجه الى منزل الامير لاشين بك أمير الحاج سابقا وهنالك احضروا الامير حسن بك أمير الحاج سابقا ومصطفى بك حاكم دجرجا وحسين بك كاشف الغربية وجماعة من أعيان الطائفة

النقارية منهم مصطفى أغا أغات التفكجية سابقا وعثمان أغا أغات الشرا كسة سابقا وذو الفقار أغات الشرا كسة حالا وفى وقت اجتماعهم حضر بيورلدى شريف من طرف مصطفى باشا الوزير بطلب عثمان الوالى للدعوى فاتفقت الطائفة على منعه من التوجه الا رجب أغا أغات التفكجية سابقا فلم يوافقهم لكن لم يصغوا الكلامه فرجع مندوب الوزير وأخبره بامتناعه فعرض الوزير ذلك على قاضى العسكر وطلب منه أن يكتب حجة بعصيانه فقال القاضى لا يكون العصيان الا اذا أرسل اليه من قبل الشرع وامتنع فأمره ان يرسل اليه فأرسل اليه قاصد الشرع فمنعت النقارية على منعه فعند ذلك كتب القاضى الحجة بعصيانه فأمر الوزير بعزل عثمان الوالى وولى بدله الامير محمد بن المقرقع وألبسه خلعة بعد امتناع منه ونزل الى بيت الولاية بباب زويلة فوجد عثمان الوالى جالسا فلما أحس عثمان بالخبر قام الى رفقته النقارية بمنزل لاشين بيك وأخبرهم الخبر فاشتد غضبهم واتفقوا على القيام فى اليوم القابل فلما بلغ الوزير ذلك أرسل بيورلدى الى حاكم دجرجا بان يتوجه من ساعته لمحل حكومته وكتب الى باقى الامراء والصناجق بأن يلزموا بيوتهم ولا يتسببوا فى اثارة الفتن فلم يصغوا لقوله وتجمعوا فى بيت حسين بيك وأرسلوا الى بيرم آغا كبير الينكشارية ان يكون معهم بجماعته وهم أربعة آلاف نفر وجعلوا له مبلغا من الدراهم عجلوا له بعضها فعاهدهم على أن يكون معهم سرا واتفقوا على القيام يوم الثلاثاء وأن عثمان الوالى يطلع فى ذلك اليوم الى باب أغات الينكشارية ويستجير ببيرم ليمانع عنه ويأخذ معه الطائفة الى الديوان وهناك يغيرون الدعوى من عثمان بالسؤال عن أموال خزينة السلطنة فيقع الخلاف فعند ذلك يطلبون غازى باشا وزير مصر سابقا المسجون بقصر يوسف بالقلعة على وجه أن يسألوه عن أحوال الخزينة مدة تصرفه فتى حضر للديوان خلعوا مصطفى باشا الوزير حالا وولوا بدله غازى باشا فاذا حصل ذلك يكون الامراء هم يتصرفون فى مصر كيف شاؤا من تولية وعزل وقتل ونفى الى غير ذلك وكانت طائفة العزب متفقة مع البلكات الاخر ومن جملتهم بيرم لكن اتفاق بيرم معهم ظاهرى وهو فى الحقيقة مع أولئك كما علمت فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم سنة احدى وسبعين عند الصباح اجتمعت طوائف العساكر كل طائفة بباب أغاتها بالرميلة وحضروا الى الديوان الا طائفة الينكشارية فلم يحضروا والعدم التنبيه عليهم من باب أغاتهم وانما حضر منهم نحو الثلاثين فلم يجدوا بلكهم فارسلوا أحدهم الى باب أغاتهم فارسل لهم عابدين كتخدا يامرهم بأن يرجعوا الى مناصبهم لانه لم يحصل التنبيه على البلك وعند حصول التنبيه يحضرون مع اخوانهم فلم يروا ذلك صوابا وصمموا على عدم الرجوع وتناوضوا فيما يفعلون وقد اجتمع عليهم نحو العشرين من بلكهم فتقووا بهم وساروا قاصدين اللحوق بالبلكات وفى أثناء سيرهم جاء التنبيه لطائفتهم فتوجهوا الى باب أغاتهم فوجدوا عابدين بك كتخدا جالسا فقالوا له كيف لم ينبه على جماعة بلكنا اليكونوا مع باقى البلكات مع ان هذا يوم علينا العساكر وينسبونا الى الخيانة والمواسة فلاطفهم عابدين كتخدا وفى اثناء ذلك لحق بهم جماعة متسلحون حتى صار واجمعا كثيرا فاغلظوا عليه القول وقالوا لا نرضاك كتخدا علينا ولا نرضى ان يكون بيرم منا لخافهم ودخل الى حوش الاغا وعينوا بدله درويش جاويش الذى كان من بلكهم ولحق بيلك العزب وكان شجاعا مقداما وبينما هم كذلك اذ حضر بيرم ومعه نحو أربعمائة نفر فقاموا فى وجهه وقالوا لا نرضاك أن تكون منا ولا معنا وكان لا يعهد منهم مثل ذلك فداخله الرعب ودخل الى دار الحوش وتبعه نحو ثلاثين نفرا وفى تلك الساعة حضر عثمان الوالى على حسب الاتفاق فرأى العسكر قائمين على بيرم فدخل الى داخل الحوش وتوارى به وحصل بين من بداخل الحوش ومن بخارجه مفاوضة فى الكلام ثم أطلق من بالخارج بعض بنادق على من بالداخل فأغلقوا الباب فذهب بعض من فى الخارج الى الديوان وأعرض الخبر على حضرة الوزير فكتب لاغات الينكشارية بتوجيه المدافع على بيرم وجماعته فلما علموا ذلك طلبوا الامان ففتحوا لهم الباب فخرجوا وصار القبض على بيرم وذهبوا به الى البرج وتوجهت الطائفة الى جامع قلاوون وقرؤا الفاتحة أنهم على قلب رجل واحد ثم أخبروا الوزير بحبس بيرم بالبرج وأن عثمان الوالى بمنزل أغات الينكشارية فكتب بيورلديا بخنق بيرم وآخر بقطع رأس عثمان الوالى ودفع المكتوبين الى زعيم مصر فعرضهما على أغاة الينكشارية فخنق بيرم وقطع رأس عثمان الوالى ولما بلغ خبر ذلك الى النقارية من صناجق وغيرهم تجمعوا وتوجهوا الى الرميلة من ناحية سوق السلاح ووقفوا عند جامع المحمودى وأطلقوا بنادقهم على جماعة العزب

والاسباهية فقتلوا منهم فلما تنبهوا لهم وجهوا عليهم البنادق والمدافع فهربوا ورجعوا الى منازلهم وأخذ كل منهم ما يحتاجه وذهبوا الى البساتين فاجتمعوا هناك على العصيان وعقدوا رأيهم على التوجه الى الجهات القبلية فلما بلغ ذلك مصطفى باشا الوزير أخذ فى الاستعداد لقتالهم ورتب صناجق عوضاعنهم وبدد شمل من كان فى حزبهم بالقتل والنفى وفى يوم الخميس سادس شهر صفر نزل بالعساكر الى البساتين وقد كان الصناجق نزلوا الى الصعيد وفى تاسعه انتقل الى حلوان وهناك بلغه أنهم تعدوا الى ناحية ملوى شرقا وغربا وأنهم راجعون الى ناحية الجيزة فأرسل مكتوبا الى عوض بيك القائمقام عنه فى غيبته ومكتوبا لابراهيم أغا أغات الينكشارية يعرفهما أحوال الصناجق النازين ويأمرهما أن يتقيدا بقفل أبواب مصر من غروب الشمس الى شروقها وأن يعينا مع الوالى عسكرا يكونون معه فى الحراسة ففعلوا وفى يوم الجمعة سابع عشر الشهر وردت الاخبار بأن الطائفة النازة رجعت الى قنطرة اللاهون وكان سبب رجوعهم أنهم لما كانوا بجبل أبى النور بلغهم خبر قيام الوزير خلفهم فارتبكوا ووقع الرعب فى قلوبهم وتفاوضوا فيما يفعلون فمنهم من رأى التوجه الى دجرجا ومنهم من رأى غير ذلك ولم يتوافقوا على شئ ولما وصلوا الى ملوى حصلت بينهم مشاجرة وافترق منهم حسين بيك ومصطفى بيك فأما مصطفى بيك فاختار التوجه الى دجرجا وأما حسين بيك فسافر الى الواحات واختار كشك على بيك وحسن بيك وباقى الصناجق أن يذهبوا الى الجبل الاخضر فأخذوا جماعة ممن يعرفون الطرقات وتوجهوا بهم الى ناحية قنطرة اللاهون ليسافروا من هناك فغرهم الدليل وعرج بهم الى طريق الاهرام فلما أصبحوا وجدوا أنفسهم بناحية الجيزة وقد حصل لهم ما لامزيد عليه من المشقة وضعفت دوابهم وأبدانهم فسقطوا فى أيديهم وتداولوا فى طلب الامان فمنهم من رضى ومنهم من لم يرض وبعض من لم يرض أخذ فى طريق البحيرة وبعضهم توجه الى المنوفية وحضر من طلب الامان الى ناحية بولاق التكرور وكان خبرهم قد وصل الى قائمقام فأرسل اليهم عساكر بيوزلدى الامان فحضروا اليه وقابلوه وكانوا خمسة وعشرين فحبسهم بالبرج وأرسل العساكر وراء النازين وكتب الى كاشف البحيرة وابن الخبير بمحاصرتهم وكتب الى رشيد بالتحفظ فلما وصل النازون الى ناحية النجيلة احتاطت بهم العرب وكاشف البحيرة وضيقوا عليهم وطلبوا الامان فأمنوهم ثم قطعوا رؤسهم ليلا بناحية الطرانة ووقع القبض على من توجه الى المنوفية وعلى من بناحية دجرجا وصار القبض فى جميع الجهات على كل من كان فى حزبهم وملئت منهم الحبوس ولما حضر الوزير فى الحادى والعشرين من الشهر قامت العساكر وطلبوا قتل من بالحبوس جميعا فأذن لهم فقطعوا رؤسهم جميعا بحوش الديوان وقطع دابر الفقارية بالمرة وتزينت مصر لذلك انتهى ملخصا من كلام طويل وهى وقعة مشهورة قد أفردت بالتأليف والى صنافير ينسب الاستاذ ذو المناقب المشهورة الشيخ يحيى بن على الصنافيرى نشأ فى العبادة من صغره وكان فى حال بدايته رجلا صوفيا كثير التلاوة للقرآن الى ان حصلت له جذبة ربانية وهبت عليه نسمة محمدية فوصل بها الى مقام القطبانية وصار منسوبا الى الطريقة العباسية وشاع ذكره فى البلاد وشهد له علماء زمنه بالولاية والصلاح وسعت اليه الخلائق من أقطار الارض وجئ بنذوره من أرض اليمن وأقام بقرافة مصر مدة يسيرة ثم توجه الى صنافير وأقام بها مدة الى أن اشتهر حاله وصار أهل صنافير يحدثون عنه بامور شاهدوها منه منها الكلام على الخاطر والنظر فى المستقبل وانقلاب الاعيان له وازالة الضرر عمن يكون مضرورا وحصل به نفع عظيم للخلق فلما تكاثرت عليه الناس فر منهم وعاد الى القرافة وأقام بها مدة طويلة وكان يجتمع على السماع ويأمر أصحابه بالحضور فيه وكان كثير الايثار لايدخل اليه أحد الا ويمده بما طابت نفسه لاينظر فى درهم ولا دينار ولم يتزوج قط وتوفى رحمه الله تعالى يوم السبت ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة انتهى من تحفة الاحباب

(الصوالح) قرية بمركز العلاقمة من مديرية الشرقية بحرى قرية العلاقمة بنحو خمسة عشر ألف متر وهى ذات نخيل بكثرة وأبنيتها باللبن وأغلب أطيانها ملتبسة بالرمل وبها زاوية للصلاة ومكاتب أهلية ومجلس دعوى وآخر للمشيخة وأطيانها ألف فدان ومائة وأربعة عشر فدانا وكسر وأهلها ثمانمائة وثلاثون نفسا وتكسبهم من الزراعة ومن ثمر النخل وفى قسم طهطا بمديرية جرجا قرية صغيرة من بلاد الهلة تسمى الصوالح أيضا فى قبلى جسر كوم بدرو غربى قرية الشيخ مسعود وبها نخيل قليل وزاوية للصلاة وأكثر أهلها مسلمون

(الصورة) قرية من مديرية الشرقية بمركز العلاقمة غربى ناحية قراجة بنحو ألفين وستمائة متر وفى شمال

ترجمة الشيخ يحيى الصنافيرى

ناحية المشاعلة بنحو ثمانمائة متر ومبانيها بالآجر واللبن وبها جامع وقليل نخيل ((الصوة)) قرية بمركز بلبيس من مديرية الشرقية واقعة قبلي ترعة الوادي بنحو ألفين وثلثمائة متر وفي الجنوب الشرقي لسنط الحناء بنحو ألفين وثلثمائة متر أيضا وهي بوسط جزيرة تشتمل على مساجد ومكاتب وفيها منازل مشيدة تعلق عبد الله بن أيوب ومجلسان للدعاوي والمشيخة وزمام أطيانها ألفان وخمسة وثمانون فدانا وكسر بها نخيل كثير وبها شجر الحناء بكثرة وعدد أهلها ألفان وخمسمائة وتسعة وثلاثون نفسا وتكسبهم من الزراعة وبيع الحناء وقبلي هذه الناحية مقام سيدي سليم أبي مسلم وعنده مقامات أولاده ولهم مولد سنوي تضرب فيه الخيام ويؤتى اليه من جميع جهات المديرية ويكون فيه دكاكين وتجار ويمكث ثمانية أيام ((صراوه)) قريتان بمصر الاولى من مديرية أسيوط بقسم منفلوط غربي ترعة الابراهيمية بنحو ألف وستمائة متر وفي الشمال الشرقي لبندر منفلوط بنحو ثلاثة آلاف متر وفي شرقي ناحية بني كلب بنحو ثلثمائة متر وبها جامع والثانية من مديرية المنوفية بقسم أشمون واقعة بين فرع دمياط ورياح المنوفية وفي شمال ناحية ذراوة بنحو ألفين وخمسمائة متر وفي جنوب ناحية النعناعية بنحو ألف وسبعمائة متر وبها جامع ((صهرجت)) بفتح الصاد وسكون الهاء وفتح الراء وسكون الجيم والتاء فوقها نقطتان وربما يكتبها بعضهم بالسين فيقول سهرجت قريتان معروفتان قرب منية غمر من الشرقية ينسب الى احداهما أبو الفرج محمد بن الحسن البغدادي الصهرجتي سكن احداهما هو وأبوه فنسب اليها وهو فقيه من فقهاء الامامية له كتاب سماه قبس المصباح ولعله اختصره من مصباح المتهجد للطوسي وله شعر وأدب انتهى من مشترك البلدان وكلتاهما من مديرية الدقهلية فالاولى صهرجت الكبرى بمركز منية غمر على الشاطئ الشرقي لترعة الساحل وفي الجنوب الشرقي لمنية العز بنحو ثلاثة آلاف وثمانمائة متر وفي الشمال الشرقي لناحية المعصرة بنحو ألف وثلثمائة متر بها جامع عمارة غير المساجد الصغيرة وجملة حدائق مشتملة على أنواع الفواكه وعمدتها الآن مفتش بشتمالك الدقهلية له محل ضيافة وقصر مشيد ووابور لسقي المزروعات وأطيانها خصبة جيدة المحصول وتكسب أهلها من زراعة القطن وباقي الحبوب والثانية صهرجت الصغرى بمركز منية سمنود في الجنوب الشرقي لناحية ابشلا بنحو ألف قصبة وفي الشمال الشرقي لناحية قنيشة بنحو ثلثمائة قصبة وبها ثلاثة جوامع ومنازل مشيدة ووابورات لسقي المزروعات لعمدتها حبيب افندي سالم مأمور مركز منية سمنود وقريبه الحاج أحمد سليم وبها أشجار وسواق معينة وزمامها نحو ثلاثة آلاف فدان ويزرع بها القطن والكتان وغيرهما من باقي الحبوب وأكثر أهلها مسلمون وأرباب يسار ويعتنون باقتناء المواشي والدواب من الغنم والبقر والابل والخيل والبغل والحمير

((حرف الضاد)) (الضبعية) قرية من قسم قوص بمديرية قنا وكانت سابقا من مديرية اسنا واقعة على الشاطئ الغربي للنيل ذات أبنية جيدة كثير منها على دورين ومساجد عامرة وسويقة دائمة ونخيل كثير وحدائق ذات فواكه ويقربها ترعة تسمى ترعة المريس والمريس قرية عندفمها قريبة من أرمنت وتلك الترعة حفرها فاضل باشا وقت ان كان مدير قنا مدة المرحوم سعيد باشا لري حيضان قولة ودنفيق ونقاده والخطارة طولها ستة آلاف قصبة في عرض ثمان قصبات والقصبة ثلاثة أمتار وخمسة وخمسون من مائة من المتر ويقابل تلك الناحية في البر الشرقي ناحية البياضة ومحجر السلمية الذي في الجبل الشرقي بين بياضة والسلمية على شاطئ البحر بلا فاصل وأحجاره زلط لا تستعمل في الابنية وفي زمن فاضل باشا أيضا عملت ترعة تمر من المحجر المذكور وتأخذ من مياه حوض السلمية سنة قلة النيل بسحارة مبنية بالآجر والمونة فتروي الاطيان العالية من أطيان البياضة والاقصر وأبي الحجاج فانصلحت تلك الاراضي وجاءها الطمي بعد أن كانت تتخلف عن الري في كثير من السنين وفي الضبعية للدائرة السنية ديوان تفتيش أطيان عشرة آلاف فدان تزرع قصبا وتسقى بالوابورات وبها فوريقة فرنساوية ذات عصارتين وآلات كاملة لعصره وعمل السكر منه وينقل اليها القصب بسكك حديد زراعية معمولة هنالك وشغلها دائم ليلا ونهارا كباقي الفوريقات بواسطة وابور نور تتفرق أنواره على العنابر والآلات والمخازن وجميع الاماكن اللازمة للشغل ويستمر شغلها كل سنة نحو خمسة أشهر كل يوم تعصر نحو ستة وستين فدانا وتحصل في اليوم من السكر الابيض المكرر فوق الثمانمائة قنطار سكر احيانا ومن السكر الاحمر فوق الاربعمائة قنطار أقماعا وينقل منها العسل نمرة ٣ الى ورشة الروم بفوريقة المطاعنة ليستخرج منه السبيرتو وقد عملت تجربة الفدان من هذا التفتيش فوجد متحصله من السكر بأنواعه اثنين وعشرين قنطارا ومما

جرب أيضا أن المائة وخمسين قنطارا من القصب يخرج منها من المصاص ٥٩٨٤ والباقى وهو ٩٠١٦ قنطارا هو محصولها من السكر وغيره هذا اذا كان القصب بكرا وأما محصول الخلفة فهو أكثر من ذلك ثم من النوبرية يخرج فرع من سكة الحديد يوصل الى البحر لنقل الآلات التى تأتى بطريق البحر

(حرف الطاء)

(طابنيسى) بشد النون هى بلدة مشهورة فى كتب القبط كانت فى الصعيد الأعلى على الشاطئ الشرقى من النيل فى جنوب قرية سنمه على نحو عشرة أميال وفى شمال قرية طنطريس وكانت داخلة فى أسقفيتها وكان لها دير عظيم قد عثر بقاياه الآب سيكار على شاطئ النيل فى شمال مدينة دندرا على مسافة يوم وقد ترجم بعضهم هذا الاسم بكلمة دوناسه وهى كلمة قبطية معناها فى الاصل محل النخيل الموقوف على المقدسة أزايس ثم جعل علما على مدينة صغيرة كانت هنالك وكان بها كنيسة باسم مارى بخوم وهى آخر الكنائس الموضوعة على الشاطئ الشرقى للنيل وكان بالقرب منها دير باسم مارى بشارة وظن كثيرون أن البلدة التى سماها المقريزى اتفوهى هذه المدينة ثم عدل عن ذلك وذهب الى أن اتفوهى قرية ادفو الواقعة بحرى اخميم وقال المقريزى ان بخوم أو بخوميوس كان راهبا فى زمن بوشنوده ويقال له أبو الشركة من أجل انه كان يربى الرهبان فجعل لكل راهبين معلما وكان لا يمكن من دخول الخمر واللحم الى ديره ويأمر بالصوم الى آخر التاسعة من النهار ويطعم رهبانه الحمص المسلوق ويقال له عندهم حمص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باتفو جهة اخميم

(طاروط) هى قرية من مديرية الشرقية بمركز مينا القمح واقعة على الشاطئ البحرى لخليج أبى الاخضر غربى منية بشارة على نحو خمسة آلاف متر أغلب بنائها باللبن وبها مسجد مشيد له منارة أنشأه الامير يعقوب بك صاحب الخان بالغورية بقرب جامع الاشرف وفيها مكاتب أهلية ومجلسان للدعاوى والمشيخة وضريح فى جنوبها الغربى لبعض الصالحين ودواير على ترعة أبى الاخضر وبها أشجار متنوعة وزمامها ألفان ومائتان واثنان وعشرون فدانا وكسر وأكثر أهلها مسلمون وتكسبهم من الزرع ومنهم أرباب حرف وفيها منزلان مشيدان لدائرة اسمعيل باشا المفتش وعندهما أطيان أبعادية لاحمد افندى البقلى اشتراها من حسن افندى صبرى بها منازل لسكنى مستخدميها وبجوار تلك المنازل من الجهة البحرية الى الغرب بئر قديمة اسطوانية الشكل وقطرها اثنا عشر مترا مركب عليها ثمان سواق تأخذ منها الماء ويرى فى داخلها سقوط بداخله بناء قديم وبمركز محور الاسطوانة فسقية اسطوانية مركزها هو محور الاسطوانة الاصلية التى هى مجمع مياه الثمان سواق تجتمع فيها ثم توزع الى الاراضى وهى الآن بدون عقودات وبين هذا المحل وبين الزقازيق نحو ألفى متر وسكة الحديد الواصلة الى مينا القمح فى شمالها الغربى بقدر خمسة آلاف متر وكذلك بأرض هربة رزنة عند كفر سيدى عبد العزيز شرقى الزقازيق وقبلى خط السكة الحديد الواصل الى ثغر السويس توجد بئر بهذا الوصف شكلها اسطوانى وقطرها نحو عشرة أمتار ويرى بها سقوط بناء قديم فى أصل عقوداته التى كانت مركبة عليه وهى مصرف لثمان سواق أيضا ويرى من هيئته انه كان عنده محور فسقية يجتمع فيها ماء الثمان سواق ويوزع على الاراضى وبينها وبين الزقازيق نحو خمسة عشر ألف متر

(طاشبرى) قرية من مديرية المنوفية بمركز مليج فى بحرى منية العز بنحو خمسمائة متر وفى شرقى منية سراج بنحو ستمائة متر وتعرف أيضا بطاوشليم وبها ثلاثة مساجد وفى جنوبها الشرقى مقام سيدى مسعود له مولد سنوى ومقام سيدى جودة وفى جنوبها الغربى ضريح الشيخ على البهى بوسط الجبانة وفى غربيها على نحو ثلثمائة متر ضريح سيدى على أبى النور

(طا النامل) يوجد من هذا الاسم قريتان فى مديرية الدقهلية طا النامل الشرقية وطا النامل الغربية بينهما نحو نصف ساعة وأرضهما خصبة جيدة المتحصل ويزرع بها قصب السكر بكثرة وبعد كل عن المنصورة نحو ثلاث ساعات وأولاهما على ترعة المنصورية من جهة الغرب وأطيانها فى البر الشرقى وأبنيتها بالآجر وبها جامع متين وأشجار على شاطئ المنصورية وعدة توابيت كذلك وكان بها جملة سواق معينة موزعة فى أراضيها حولها أشجار جميز عتيقة ويرى أرنمها من ترعتى المنصورية وأم جلاجل الكائنة قبلى قنطرة السنابط وقبلى هذه القرية قرية أجام قرية تقيطة ثم المنصورة وأما طا النامل الغربية فهى شرقى البحر الاعظم على ثلث ساعة من نوسة البحر وبها أشجار ويرى أرنمها من البحر والمنصورية وأم جلاجل بالتوابيت زمن الصيف وبالراحة زمن النيل وكان بها سواق معينة بطلت بحدوث ترعة المنصورية وكلتا القريتين كان يقال لهما قطائع العجوز ولما فى المقريزى ان

المأمون لما سار في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم في القرية يوما وليلة فمر بقرية طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وكان لا يمشي أبدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له أن القبطية قالت يا أمير المؤمنين نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعيرني بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته فاحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن أكثم والقاضي أحمد بن أبي دواد فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيأ كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءتكم القبطية بهدية الريف الكامخ والصحناة والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت لا والله لا أفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله أعجب ربما يعجز بيت المال عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا فقال ان في بعض ما صنعت لكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا وأشارت الى الذهب من هذا وأشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاها من قريتها طا النمل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كثرة مروءتها وسعة حالها انتهى وقد نشأ من هذه القرية الامير عبد الرحمن بيك على دخل أول أمره مكتب منية غمر سنة خمس وخمسين ومائتين وألف ثم انتقل الى تجهيزية أبي زعبل ثم الى مدرسة المهندسخانة ببولاق فاكتسب بها علوم الرياضة والطبيعة وغيرها تحت نظارة لامبير بيك الفرنساوي ثم الى مدرسة الطوبجية وفي سنة احدى وسبعين ترقى الى رتبة البكباشي ثم في سنة تسع وثمانين أنعم عليه برتبة القائمقام والى الآن هو بالمدارس الحربية ‹طاهرة حميد› قرية من مديرية الشرقية بمركز بلبيس واقعة في جنوب منية تركاب بنحو ألفي متر وفي شمال انشاص البصل بنحو ألفين وستمائة متر وبدائرها نخيل كثير ‹طاهرة العورة› قرية من مديرية الشرقية بمركز بلبيس في شرقي شوبك بسطة بنحو ألفي متر وفي غربي ناحية الشبانات بنحو ألفين وثمانمائة متر وبها جامع أنشأه سليمن باشا أباظه مدير الشرقية وبدائرها جنائن ونخيل وبعض أشجار ‹طما› قال في القاموس هو بالقصر والمد أربع قرى بمصر انتهى وقد عثرنا من هذا الاسم على خمس قرى وهي ‹طما بوش› قرية من مديرية بني سويف بقسم بوش في الجنوب الغربي لقرية بوش بنحو ثلاثة آلاف وثلثمائة متر وفي الشمال الشرقي لناحية بلبغيا كذلك وبها جامع ونخيل قليل ‹طما البيشا› قرية من مديرية بني سويف بقسم ببا على الشاطئ الغربي للنيل في جنوب قرية البرانقة بنحو ألفي متر وفي شمال ببا بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة متر وبها مسجد وحواليها قليل نخيل ‹طما العمودين› ويقال لها طما الاعمدة وهي بلدة كانت قديما من مدن الاقاليم القبلية متوسطة بين البحر الاعظم واليوسفي وتذكر كثيرا في كتب القبط وفي بعضها سميت كليوت وزيوبوليس وفي بعضها كانت تسمى طوحو وجعلت في أحد دفاتر التعداد من بلاد البهنسا وفي آخر من بلاد الاشمونين وهي غير مدينة طوه من أقاليم الاشمونين أيضا وقال أبو صلاح كان سكان طما في صدر الاسلام خمسة عشر ألف نفس كلهم نصارى ليس فيهم مسلم ولا يهودي وكانت تحتوي على ثلثمائة وستين كنيسة وهدمت في خلافة مروان أحد خلفاء بني أمية فانه أرسل من طرفه عاملا لجمع الخراج فطرده الاهالي ولم يدعوه يقيم عندهم فرجع الى الخليفة وقص عليه ما صار من أهالي طما فغضب وأرسل أحد أمرائه اليها فقتل ونفى كثيرا من أهلها وهدم جميع الكنائس الا كنيسة مارى منية كان أهلها اعاقدوه أن يدفعوا له في نظير ابقائها ثلاثة آلاف دينار ثم دفعوا له منها ألفين وعجزوا عن الباقي فجعل ثلثها مسجدا مشرفا على السوق وفي تاريخ البطارقة أنه كان بجوار طما دير في محل يسمى برجوا من فنهب

العرب مافيه وخربوه وذكر المقريزى ان بناحية طحا كنيسة على اسم الحواريين الذين يقال لهم الرسل وكنيسة باسم مريم العذراء وقال ابن حوقل كان فيها عدة أنوال لنسج الاقمشة وأسقفية وهى الآن قرية واقعة على تلول البلد القديمة بها جامعان بمنارتين وزاوية وفى جهتها الشرقية كنيسة للاقباط ومنها نصارى نحو الربع وحولها نخيل قليل وسوقها كل يوم اثنين وأطيانها نحو أربعة آلاف فدان وهى من أعمال المنية * واليها ينسب كما فى ابن خلكان الامام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الازدى الطحاوى الفقيه الحنفى انتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه بمصر وكان شافعى المذهب يقرأ على المزنى فقال له يوما والله لاجاء منك شئ فغضب أبو جعفر من ذلك وانتقل الى أبى جعفر بن أبى عمران الحنفى واشتغل عليه فلما صنف مختصره قال رحم الله أبا ابراهيم يعنى المزنى لو كان حيا لكفر عن يمينه وذكر أبو يعلى الخليلى فى كتاب الارشاد فى ترجمة المزنى ان الطحاوى كان ابن أخت المزنى وان محمد بن أحمد الشروطى قال قلت للطحاوى لم خالفت خالك واخترت مذهب أبى حنيفة فقال كنت أرى خالى يديم النظر فى كتب أبى حنيفة فلذلك انتقلت اليه وصنف كتبا مفيدة منها أحكام القرآن واختلاف العلماء ومعانى الآثار والشروط وله تاريخ كبير وغير ذلك وذكره القضاعى فى كتاب الخطط فقال كان قد أدرك المزنى وعامة طبقته وبرع فى علم الشروط وكان قد استكتبه أبو عبيد الله محمد بن عبدة القاضى وكان صعلوكا فأغناه وكان أبو عبيد الله سمعا جوادا ثم عدله أبو عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى عقيب القضية التى جرت لمنصور الفقيه مع أبى عبيد وذلك فى سنة ست وثلاثين وكان الشهود يتعسفون عليه بالعدالة لئلا تجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة وكان جماعة من الشهود قد حجوا ورابطوا فى هذه السنة فاغتنم أبو عبيد غيبتهم وعدل أبا جعفر المذكور بشهادة أبى القاسم المأمون وأبى بكر بن سقلاب وكانت ولادته فى سنة ثمان وثلاثين ومائتين وقال أبو سعد السمعانى ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح وزاد غيره فقال ليلة الاحد لعشر خلون من ربيع الاول وتوفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة ليلة الخميس مستهل ذى القعدة بمصر ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها ونسبته الى طحا بفتح الطاء والحاء المهملتين وبعدها ألف قرية بصعيد مصر والى الازد بفتح الهمزة وسكون الزاى وبالدال المهملة قبيلة كبيرة مشهورة من قبائل اليمن انتهى وفى تحفة الاحباب وروضة الطلاب للسخاوى قيل ان أمير مصر أبا منصور تكين الجزرى الشهير بالجبار دخل على الطحاوى يوما فلما رآه داخله الرعب فأكرمه وأحسن اليه ثم قال له يا سيدى أريد ان أزوجك ابنتى فقال له لا أفعل ذلك فقال له ألك حاجة بمال قال له لا قال فهل أقطع لك أرضا قال لا قال فاسألنى ماشئت قال وتسمع قال نعم قال احفظ دينك لئلا ينفلت واعمل فى فكاك نفسك قبل الموت واياك ومظالم العباد ثم تركه ومضى فيقال انه رجع عن ظلمه لاهل مصر انتهى وأما المزنى فهو أبو ابراهيم اسمعيل بن يحيى بن اسمعيل بن عمرو بن اسحق المزنى صاحب الامام الشافعى قاله ابن خلكان أيضا وقال انه كان من أهل مصر وكان زاهدا عالما مجتهدا محجاجا غواصا على المعانى الدقيقة وهو امام الشافعيين وأعرفهم صنف كتبا كثيرة فى مذهب الامام الشافعى منها الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب فى العلم وكتاب الوثائق وغير ذلك وقال الشافعى فى حقه المزنى ناصر مذهبى وكان اذا فرغ من مسئلة وأودعها مختصره قام الى المحراب وصلى ركعتين شكرا لله وقال أبو العباس أحمد بن سريج يخرج مختصر المزنى من الدنيا عذراء لم يفتض وهو أصل الكتب المصنفة فى مذهب الشافعى وعلى منواله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا وكان القاضى بكار بن قتيبة حنفى المذهب يتوقع الاجتماع بالمزنى مدة فاجتمعا يوما فى صلاة جنازة فقال القاضى بكار لاحد أصحابه سل المزنى شيأ حتى اسمع كلامه فقال له ذلك الشخص يا أبا ابراهيم قد جاء فى الاحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله فلم قدمتم التحريم على التحليل فقال له لم يذهب أحد من العلماء الى أن النبيذ كان حراما فى الجاهلية ثم حل ووقع الاتفاق على انه كان حلالا فهذا يعضد صحة الاحاديث بالتحريم فاستحسن ذلك منه وهذا من الادلة القاطعة وكان فى غاية الورع وبلغ من احتياطه انه كان يشرب فى جميع فصول السنة من كوز نحاس فقيل له فى ذلك فقال بلغنى انهم يستعملون السرجين فى الكيزان والنار لا تطهرها وقيل انه كان اذا فاتته الصلاة فى جماعة صلى منفردا خمسا وعشرين صلاة استدراكا لفضيلة الجماعة مستندا فى ذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس

ترجمة أبو جعفر الطحاوى الحنفى

ترجمة المزنى

وعشرين درجة وكان مجاب الدعوة وهو الذي تولى غسل الامام الشافعي وقيل كان معه الربيع وكان أحد الزهاد
في الدنيا ومن خير خلق الله عز وجل ومناقبه كثيرة وتوفي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين ودفن
بالقرب من تربة الامام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة الصغرى بسفح المقطم وذكر ابن زولاق في تاريخه الصغير انه
عاش تسعا وثمانين سنة وصلى عليه الربيع بن سليمن المؤذن المرادي والمزني بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون نسبة الى
مزينة بنت كلب وهي قبيلة كبيرة مشهورة انتهى وقال السخاوي في تحفة الاحباب قال المزني لما دخل الشافعي مصر
رأيت الناس يزدحمون عليه فقلت ما بال الناس يزدحمون على هذا الشاب الحجازي فقالوا العلم فقلت في نفسي ومالى
لا أقرأ العلم فقرأت العلم حتى اني كنت احفظ في اليوم والليلة مائة سطر قال القرشي كان المزني في صباه حدادا فمرت به
امرأة فقيرة وقالت له ان لى بنات سافر أبوهن ولهن ثلاثة أيام لم يجدن شيأ يتقوتن به فقضى فاشترى طعاما كثيرا وذهب
معها الى بيتها فخرج اليه ثلاث بنات فقالت له احداهن وقاك الله نار الدنيا والآخرة فكان يدخل يده في النار فلا تضره
شيأ قال ابن بنته ما رأيت جدي ضاحكا قط بل كان كثير البكاء ومناقبه كثيرة انتهى (طحا المرج) قرية من مديرية
الدقهلية بمركز ميت غمر في الجنوب الشرقي لقرية سنفا بألفي متر وفي شرقي اتميدة بنحو ألفين وثمانمائة متر وبها جامع
(طحانوب) قرية من مديرية القليوبية بقسم قليوب في شمال نوب طحا بنحو ألفي متر وفي غربي كفر سندوة كذلك
وبها جامع بمنارة وحواليها نخيل وسوقها كل يوم ثلاثاء ومنها شيخ العميان وخطيب جامع الامام الشافعي الشيخ أحمد
الطحاوي كان عالما جليلا مهيبا متقنا لتجويد القرآن على طريقة حفص جسيم الجسم جهوري الصوت توفي سنة
ألف ومائتين وخمسة وثمانين وفي الجنوب الشرقي لطحا هذه كفر يقال له كفر طحا (طحلى) بفتح الطاء وسكون الحاء
قريتان من قرى مصر كلتاهما في كورة الشرقية كذا في مشترك البلدان فالاولى طحلى بردين وهي من مديرية الشرقية
بمركز بلبيس على الشط الشرقي لترعة أباظه وفي الشمال الغربي لناحية بردين بنحو ثلاثة آلاف متر وفي الشمال الشرقي
لناحية سنفيطة بنحو ألفي متر وبها جامع والثانية من مديرية القليوبية بمركز بنها واقعة على الشاطئ الشرقي لفرع
رشيد في جنوب منية العطار بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة متر وفي شمال دجوة بنحو ألفين وخمسمائة متر وبها ثلاثة جوامع
بمآذن أحدها مال عليه البحر فأكله ولم يبق منه سوى المئذنة وبها سويقة على البحر فيها حوانيت وبعض قهاو وبها
أبراج حمام وبدائرها نخيل وأشجار وفي جهتها البحرية ثلاثة جناين وتكسب أهلها من الزرع وغيره واليها ينسب

ترجمة الشيخ عمر الطحلاوي المالكي

كما في تاريخ الجبرتي العلامة المحدث الشيخ عمر بن علي بن يحيى بن مصطفى الطحلاوي المالكي الازهري تفقه على
الشيخ سالم النفراوي وحضر دروس الشيخ منصور المنوفي والشهاب ابن النقيب والشيخ محمد الصغير الورزازي والشيخ
أحمد الملوي والشبراوي والبليدي وسمع الحديث عن الشهابين الشيخ أحمد البابلي والشيخ أحمد العماوي وغيرهما
وتمهر في الفنون ودرس بالجامع الازهر وبالمشهد الحسيني واشتهر أمره وطار صيته وأشير اليه بالتقدم في العلوم
وتوجه الى دار السلطنة في مهم طرأ لامراء مصر فقوبل بالاجابة وألقى هناك دروسا في الحديث وتلقى عنه أكابر
علمائها وعاد معززا مقضي الحوائج وكان مشهورا بحسن التقرير وعذوبة البيان وجودة الالقاء ولما بنى عثمان
كتخدا القازدغلي مسجده بالازبكية في سنة سبع وأربعين ومائة بعد الالف عينه فيه للتدريس وكان يطلع في كل
جمعة الى المرحوم حمزة باشا فيسمع عليه الحديث وكان للناس فيه اعتقاد حسن وعليه هيبة ووقار وسكون توفي ليلة
الخميس حادي عشر صفر سنة احدى وثمانين ومائة بعد الالف وصلى عليه بالازهر ودفن بتربة المجاورين انتهى (طرا)
هي قرية مشهورة في مديرية الجيزة على الشاطئ الشرقي للنيل قبلي معادي الخبيري وذكر الجغرافيون انها كانت
بسطة عسكرية في زمن الرومانيين وكانت تسمى سيني مندروروم وهو اسم رومي مركب من كلمتين احداهما سيني التي
معناها الخيام والثانية مندروروم التي معناها أخصاص وفي بعض الكتب سميت طروبا ينسب اليها الطروبيون
الذين أحضرهم منيلاس فسكنوا هذه البقعة كما قاله استرابون والجبل المجاور لها الى هذا الوقت يسمى بجبل
الطروبيين ثم تغير الاسم الى طروادة ثم الى طرا وأبنيتها الآن بالدبش والحجر ومنازلها ما بين دور ودورين وبها من الجهة
الجنوبية على شاطئ البحر جامع مقام الشعائر ولعله هو الموضع الذي ذكر المقريزي انه يستجاب فيه الدعاء حيث قال
ان المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر أربعة مواضع سجن نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ومسجد موسى

صلوات الله عليه وهو الذى بطرا ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبلة مسجد الاقدام بالقرافة فهذه المواضع لم تزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون الى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم مجرب ذلك انتهى وبجوار هذا الجامع من قبلى دير مارى جرجس به قسيس واحد وراهبان وذكر المقريزى ان هذا الدير يعرف بدير أبى جرج وهو على شاطئ النيل وابو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع الى دين النصرانية ونوع له العقوبات من الضرب والتحريق بالنار فلم يرجع فضرب عنقه بالسيف فى ثالث تشرين وسابع بابه وذكر أيضا انه كان فى جبل المقطم شرقى طرا دير نهى فى أيام الملك ارقديوس قال قال علماء الاخبار من النصارى ان ارقديوس ملك الروم طلب ارسانيوس ليعلم ولده فظن انه يقتله ففر الى مصر وترهب فبعث اليه أمانا وأعلمه ان الطلب من أجل تعليم ولده فاستعفى وتحول الى الجبل المقطم شرقى طرا وأقام فى مغارة ثلاث سنين ومات فبعث اليه ارقديوس فاذا هو قدمات فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من أجل انه كان له بغل يستقى عليه الماء فاذا خرج من الدير أتى الموردة وهنالك من يملأ عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير وفى رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام وذكر أيضا ان فى حدودها ديرا يقال له دير شعران وهو مبنى بالحجر واللبن وبه نخل وعدة رهبان ويقال انما هو دير شهران بالهاء وان شهران كان من حكماء النصارى وقيل بل كان ملكا وكان هذا الدير يعرف قديما بدير مرقوريوس الذى يقال له مرقورة أو أبو مرقورة ثم لما سكنه برصومة بن التبيان عرف بدير برصومة وله عيد يعمل فى الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطريك وأكابر النصارى وينفقون فيه مالا كثيرا ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دقلطيانوس فى تاسع عشر تموز والخامس والعشرين من أبيب وكان جنديا انتهى وفى الجبرتى فى حوادث سنة ثلاث ومائتين وألف ان اسمعيل بيك الارنؤدى لما أراد المحاربة مع الغز الذين كانوا فى الوجه القبلى اجتهد فى البناء عند طرا وبنى هنالك قلعة بحافة البحر وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل وأنشأ حيطانا وأبراجا وكرانك وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبل وأخرج اليها الجبخانة والذخيرة وغير ذلك وذكر أيضا فى حوادث سنة تسع عشرة ومائتين وألف ان العزيز محمد على قبل جلوسه على تخت مصر حضر عند الباشا وقبض منه خمسين كيسا وقيل ثمانين ورجع الى العسكر فجمعهم وفرق فيهم الدراهم واتفق معهم على الركوب على الامراء القبالى الذين هجموا على طرا وملكوا البرج الذى من ناحية الجبل وهم صالح بك الألفى وأتباعه وعثمان بك حسن ومن انضم اليهم فركب ومعه أربعة الاف فارس وكان ذلك ليلا فلما قربوا من الحرس ترجلوا وقسموا أنفسهم ثلاث فرق ذهبت فرقة منهم جهة الدير وفرقة جهة المتاريس والثالثة جهة الجبل وصالح بك الألفى ومن معه فى غفلتهم مطمئنين وكذلك حرسهم فلم يشعروا الا وقد صدموهم فاستيقظوا وبادروا الى الهرب فملكوا منهم دير طرا وأبراجها وأخذوا مدفعين وبعض أمتعة وثمانية هجن وثلاثة عشر فرسا وقتلوا منهم بعض أشخاص ورجع محمد على ومن معه من العساكر على النور من آخر الليل ومعهم خمسة رؤس فيهم واحدة لم يعلم رأس من هى والباقى رؤس عرب انتهى وكان بطرا مدرسة الطوبجية وهى مدرسة جليلة من انشاآت العزيز محمد على تربى بها جملة من الامراء برعوا فى فنون الطوبجية وقد تكلم عليها الدكتور أجوس فى سياحته فقال ان بها ثلثمائة وأحدا وتسعين تلميذا منقسمين الى فصول وفرق يتعلمون فنون العلوم والمعارف الطوبجية على أيدى ثمانية وثلاثين من الخوجات الماهرين منهم ثلاثة من الافرنج قال وقد امتحنتهم ووقفت على معارفهم فأعجبتنى حالتهم وشهدت لهم بالبراعة ما بين معلم ومتعلم وكان بطرا اذ ذاك ألايان من الطوبجية وواحد بيادة وآخر سوارى وكانت القرية بسبب كثرة من بها من العساكر ومن يلحق بهم من العائلات والاتباع عامرة آهلة كثيرة الحركة فى البيع والشراء تشبه المدن الكبيرة ثم جعل الآن محل المدرسة اسبتالية لمرضى العساكر المقيمين بها ولم تزل تلك القرية عامرة آهلة بها طواحين ومصابغ وقهاو ولها سوق صغير دائم يباع فيه أنواع العقاقير واللحم والخضراوات بسبب مجاورة العساكر لها وفى جنوبها وشمالها ورش بسكك حديد لقطع أحجار العمائر الميرية وبها أيضا ورش لأولاد تادرس جلبى وورش لاهاليها وفى بحريها ورشة لصناعة البارود وفى قبليها ورشة بوابور لحريق الصفصاف لتسويد البارود وفى جهتها الشرقية بحاجر الجبل طاحونة يديرها

الهواء لبعض اهالى المحروسة وفى بحريها منازل لمأوى الشغالة وبعض العساكر وأطيانها قائمة ممتدة على شاطئ البحر وبها نخيل قليل ومنها ابراهيم افندى عبد الرحيم برتبة ملازم تبع المدارس الحربية وحسين افندى ابراهيم وأخوه محمد افندى كلاهما ملحق بالجهادية برتبة ملازم وأغلب تكسب أهلها من صناعة قطع الحجر وقد بنى الخديوى اسمعيل باشا جملة فوريقات للمهمات الحربية بساحل النيل الشرقى من طرا الى مصر العتيقة ومنها الى ناحية المعصرة القريبة من حلوان فمنها فوريقة على بعد ألف متر من ناحية طرا وهى فوريقة المدافع وتعرف بالدكخانة جميع آلاتها بخارية وهى متسعة المساحة ضلعها الاصغر نحو مائة متر والاكبر نحو مائتين ويليها فوريقة البندق وتسمى بالدكخانة وآلاتها بخارية أيضا وهى أوسع من الاولى لان ضلعها الاصغر نحو مائة وخمسين مترا والاكبر أكثر من مائتين وفى بحر طرا أيضا قرية صغيرة يقال انها معادى الخبيرى على الشاطئ الشرقى للبحر تجاه قرية البساتين فيها قليل أشجار وبجوارها من قبلى دير العدوية بلصقه جبخانة عليها محافظة من العساكر الجهادية وبجوارها من جهة شرق قشلاق يسكنه العساكر الجهادية غالبا وفى قبلى طرا بقرب المعصرة وكان جدد معمل بارود غير معمل طرا وجرى الشروع فى تحصيل لوازمه واختيرت له قطعة أرض قبلى المعصرة بنحو أربعمائة متر على ساحل النيل مستطيلة ضلعها الاصغر نحو خمسمائة متر والاكبر نحو ألفين وستمائة متر (طلخا) بلدة من مديرية الغربية بمركز سمنود فوق الشاطئ الغربى لبحر دمياط أبنيتها باللبن على طبقة أو طبقتين وبها قليل حوانيت للعقاقير واللحم والدخان ونحو ذلك وبعض قهاو وخمارة صغيرة وفيها ثلاثة جوامع أحدها جامع المدرسة على البحر يقال أن الذى انشأه الصالح أيوب ورتب فيه تدريس العلوم الشرعية وقد صار ترميمه بعد نصف هذا القرن على طرف محمد الجوهرى السقعان الكبير والثانى جامع السادات كان أصله زاوية ويقال انها بنيت منذ سبعمائة سنة ثم فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف صار هدمها وبناؤها من طرف الحاج ابراهيم طه من تجار الناحية وجعلها مسجدا جامعا وأوقف عليه جملة دكاكين وقهاو والثالث الجامع الوسط به ضريح ولى يسمى الكنان ويقال انه مبنى منذ سبعمائة سنة وقد صار ترميمه من طرف الحاج ابراهيم أبى يونس من مشايخ البلد فى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف وأعد له أربعة حوانيت يصرف عليه منها وله منارة صغيرة وبها مكاتب لتعليم القرآن الشريف مكتب الحاج ابراهيم أبى يونس بجوار جامع الوسط ومكتب محمد أبى جلبى ومكتب أبى طالب كلاهما بحارة الباز ومكتب ابراهيم افندى بحارة مصطفى عواض ومكتب محمد الهجرسى بحارة الهجارسة وبها وابور على البحر بجوار المساكن للخواجه دانى اليونانى معد لحلج القطن وبجواره قصر للسكنى بداخله جنينة صغيرة ووابور لدائرة الخديوى اسمعيل باشا لحلج القطن وسقى المزروعات بنى فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف ووابور فى جهتها القبلية على بعد ربع ساعة للخواجه دكين الاوروباوى والحاج ابراهيم أبى يونس وبها ورشة تبع دائرة الخديوى أيضا لعصر بزر القطن بنيت فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف وفى جهتها البحرية بجوار محطة السكة الحديد جنينة عظيمة للخديوى اسمعيل باشا مساحتها تقرب من خمسة وعشرين فدانا فيها كثير من أصناف الفاكهة والرياحين وتزرع بها الخضر بكثرة وفى جهتها الغربية على بعد ربع ساعة جنينة ابراهيم السقعان وبها من المنازل المشهورة منزل الحاج ابراهيم طه بحارة المراكبية وهو من المشهورين بالكرم والصلاح ومنزل الحاج ابراهيم يونس بحارة أبى يونس ومنزل البيومى مشالى ومنزل ابراهيم السقعان ومنزل الحاج محمد السقعان الجوهرى ومنزل السيد فايد وتعداد أهلها ثلاثة آلاف نفس منهم نصارى أروام خمسة عشر نفسا ونصارى أقباط ثلاثون نفسا وعمدها ابراهيم أبو يونس وابراهيم السقعان رئيس المشيخة والبيومى مشالى ناظر زراعة الجفلك بالناحية والسيد فارس رئيس مجلس الدعاوى وزمام سكنها نحو أربعين فدانا وأطيانها ألفان وخمسمائة فدان منها للجفلك ٣٠٠ فدان وللاهالى ٢٢٠٠ فدان جميعها تروى من النيل ولها أربع جبانات جبانة الكنان وجبانة الدمياطى بوسطها وهى دارسة والثالثة تعرف بجبانة سيدى عمر البلتاجى شرقى البلد بنحو ست دقائق وهى المعدة الآن للدفن فيها والرابعة جبانة البازات شرقى البلد بجوار البحر وهى دارسة أيضا وبها جملة مقامات كمقام الشيخ عمر البلتاجى ومقام الشيخ سعيد بارض المزارع فى جهتها البحرية ومقام الشيخ العراقى ومقام الشيخ أحمد الدمياطى كلاهما بقرب المساكن ولها سوق كل يوم ثلاثاء يباع فيه نحو الجاموس والدجاج والحبوب ويزرع فى أطيانها القطن

والقمح والفول وغير ذلك ومحطة السكة الحديد في شمالها الشرقي وفي جهتها البحرية ناحية منية عنتر وفي جهتها القبلية ناحية منية الغرقى وفي جهتها الشرقية مدينة المنصورة وفي جهتها الغربية ناحية قصر الجرد ولها طريق في جهتها الغربية يوصل الى نبروه في مسافة ساعة ونصف * وينسب الى هذه البلدة كما في الضوء اللامع للسخاوي حسن
حسن أبو المجد الطخاوي ابن علي بن محمد بن عبد الله البدر أبو المجد الطخاوي ثم القاهري الشافعي ولد في ليلة الاحد مستهل رمضان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة بطخا من الغربية ونشأ بها فقرأ القرآن ومختصر أبي شجاع وتلقن الذكر من الشيخ يوسف الازهري أحد أصحاب الغمري الكبير ثم تحول مع خاله الى القاهرة في سنة ثلاث وخمسين فقطنها وأقام بالازهر فحفظ المنهاج وألفية النحو وألفية الفرائض لابن الهائم واللمعة في الطب وغالب جمع الجوامع والتلخيص وألفية الحديث وأخذ الفرائض والحساب والميقات والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة عن المحب ابن العطار ونور الدين النقاش والبدر المارداني وغيرهم وأخذ علم الحرف عن ناصر الدين ابن قرقماس والرمل عن محمد الحريري ولازم البدر بن القطان في الفقه والتفسير والمعاني والبيان والاصلين والمنطق والابناسي في الحديث والصرف وغير ذلك وأذن له في الافتاء والتدريس فدرس وناب في القضاء وحج وتكسب بالطب قليلا ثم أعرض عن ذلك ولزم التكسب بالشهادة ولم يتعاط من الاحكام الا القليل مع تواضعه وانطراح نفسه واقباله على ما يهمه وكتب بخطه أشياء مع ثروة وشدة حرص انتهى ولم يذكر تاريخ موته رحمه الله وايانا ‹ طرابنبه › قرية من مديرية البحيرة بمركز دمنهور وضعها قبلي ترعة الخطاطبة بنحو ألف وأربعمائة قصبة وبحري السكة الحديد كذلك أبنيتها بالآجر واللبن وبها جامع بمنارة جدده أحمد قرقر عمدتها ويكتنفها من الجنوب والغرب كثير من شجر السنط وتعداد أهلها اثنتان وتسع وعشرون نفسا وزمامها ألف وثلثمائة فدان وخمسة وأربعون فدانا وتكسبهم من الزرع المعتاد وبجوارها من جهة الشرق أبعدية اسمعيل بيك نجل المرحوم محمد علي باشا الصغير بها دوار مبني بالطوب اللبن وزمامها ثلثمائة فدان وأبعدية محمد بيك السنانكلي قبلي ترعة الخطاطبة وقد تجدد بتلك الابعادية كفر صغير أنشئ به جامع بمنارة بناؤه بالطوب الاحمر وقصر مشيد وجنينة صغيرة بها جملة من الثمار والفواكه ووابور مياه وبها أيضا جملة من الاشجار والنخيل وزمامها ثلثمائة فدان وفي بحري هذه الابعدية عزبة الحاج ابراهيم زربك بناؤها بالطوب النيء وزمامها عشرون فدانا ‹ طرافية › اسم لمدينة قبطية ترجمت بالعربي باسم بلقا وجعلها أبو الفداء خطا صغيرا تابعا لبلاد الشام والمقريزي عدها من ضمن الوجه البحري خط طرابيه وجعل به ثمانية وعشرين قرية من ضمنها قرية فاقوس وقال كترمير ان طرابيه هي كلمة طرافية القبطية وكلا الكلمتين معناهما بالعربية أي أرض العرب وهو اسم لخط ذكر بطليموس أنه واقع في شرقي الفرع البيلوزياقي أي فرع الطينة وكان كرسيه قرية فاقوسا ‹ الطرانة › مدينة تذكر كثيرا في كتب القبط وتعرف في الكتب القديمة باسم طرنوطيس وسماها ابن حوقل والادريسي ومؤرخو بطاركة الاسكندرية في كتبهم طرنوط وهي واقعة على الشاطئ الغربي لبحر رشيد ومنها الى القاهرة نحو أربعين ميلا والى الاسكندرية نحو خمسة أيام وكان فرع من النيل يجري في وسطها وقال ابن حوقل انه كان بها مسجد من أعظم المساجد وحمامات وأسواق محكمة البناء وعصارات قصب ومخازن غلال وكثير من الكنائس العامرة بالقسيسين والرهبان وأكثر أبنيتها من الآجر وقد تهدم معظمها بأمر والى مصر أبي القاسم بن عبد الله الشيعي حيث وجه اليها عرب كتامة سنة احدى وثلثمائة كما قاله أبو عبيد الله البكري الاندلسي وكانت دار اقامة حاكم تحت يده جماعة من الجنود الحافظين وقد صارت الآن قرية صغيرة بها سوق وجامع وخراب كثير وفي السابق كانت محطة للنطرون الذي يجلب من وادي النطرون وفي أول حكم المرحوم العزيز محمد علي باشا التزم بالنطرون رجل طلياني اسمه يافي وكان قبل ذلك مستخدما في بلاده بديوان ماليتها فهرب من هناك لفتنة حصلت وكان من أهل العلوم والمعارف فخذه العزيز بانظاره وأعطاه رتبة أمير الاي وعرف بين الناس باسم عمر بيك فأخذ في تدبير أمر مصلحة النطرون وتحسين طرق استخراجه وسكن تلك القرية ولاذ به جماعة من أبناء جنسه وسكنوا بها معه فحصل لتلك المصلحة رواج عظيم ورغبت التجار في التجر في النطرون وصار فرعا مهما من فروع الحكومة بعد أن كان غير ملتفت اليه كما ذكر ذلك الدولي دوراجوس في سياحته وقد تكلمنا على النطرون بأبسط عبارة في الكلام على وادي هبيب وقد وجدت في كتاب فرنساوي مترجم لكتاب أبي

عبيد

عبيد الله البكرى الاندلسى المؤرخ ولادته فيه بسنة ثمان وعشرين ومائة ووفاته فى سنة أربع وتسعين ومائة ذكر الطريق المسلوك فى ذلك الوقت من الطرانة الى بلاد المغرب فأردت ايراد ذلك لما فيه من الفائدة فحاصله أن من الطرانة طريقا توصل الى المنا وهو موضع فيه ثلاث بلاد خراب وبعض أبنيته باقية الى الآن منها جملة قصور فى صحراء من الرمل متسعة متينة البناء عالية الاسوار ويسكن بعضها الرهبان وبالمنا آبار عذبة الماء قليلته ومن المنا الى مينا وهى كنيسة كبيرة تشتمل على تماثيل وتصاوير كثيرة عجيبة ولا تطفأ قناديلها ليلا ولا نهارا وفيها قبة بها صورة رجل راكب على جملين واضع كل رجل على جمل واحدى يديه مفتوحة والاخرى مضمومة وكل ذلك من حجر مرمر ويقال انه تمثال أبى مينا وباحدى جهات الكنيسة جامع للصلاة وحولها كثير من أشجار الفاكهة مثل الخروب والجوز والكرم ويقال ان سبب بنائها أنه كان فى موضعها قبر بقربه قرية فيها رجل أعرج اتفق أنه ندله حمار فخرج يبحث عنه فمر بذلك القبر وبعد قليل وجد حماره ورجع الى منزله وقد شفى من عرجه فشاع فى القرية أن ذلك من بركة صاحب القبر فهرعت المرضى لزيارته فحصل لجميعهم الشفاء فلما بنيت الكنيسة انقطع ذلك ثم من هذا الموضع الى ذات الحمام وهو موضع به سوق وجامع بناه زيادة الله الاغلبى فى عوده من المشرق الى افريقية وتجاه الجامع بئر عذبة الماء كثيرته وفى ضواحى هذه القرية صهاريج وبساتين كثيرة وقلعة يقيم بها عسكر من طرف صاحب مصر ويقال ان ماء هذا الموضع يورث الحمى ولذلك سميت بذات الحمام والعرب الرحالة يقولون اللهم احفظنا من الحجاز وغلاها ومصر ووباها وذات الحمام وحماها وبين الاسكندرية وذات الحمام كما قال الادريسى ثمانية وثلاثون ميلا وقال برت السياح ان بئر الحمام فى الجنوب الغربى للاسكندرية على بعد أربعة وثلاثين ميلا من الاميال التى كل ستين منها درجة أرضية ثم من ذات الحمام الى الحنية وهى موضع آخر اسمه من اسم قبة قائمة هنالك فى وسط الرمل وينفصلها عن البحر تل ويقال انها كانت احد أبواب الاسكندرية فلذا ظن بعض الناس انها محل قرية بوصير المعروفة الآن ببرج العرب مع ان البعد بين الحنية والاسكندرية اثنان وسبعون ميلا وبين الاسكندرية وبوصير على ماذكره الادريسى عشرون ميلا فليست الحنية محل بوصير وحول الحنية عائلات من عرب مزاتة يسكنون فى أخصاص من النبات وبينها وبين ذات الحمام حجر من الرخام الاسود تقول العرب انه سفرة فرعون وهو الآن غطاء لصهريج يسمى التيس ثم من الحنية الى الكنائس وهو موضع يقال له رأس الكنائس وهى ثلاث متخربة بقربها جبل ابارقيس وهما بئران جيدتا الماء عميقتان جدا يسميان عرار قيس وقال بعضهم ان ذلك الجبل يقال له جبل العوسج والعوسج شجر صغير ومنه يتوصل الى قباب معنى بعد ثلاثين ميلا وتسمى أيضا خراب القوم وهى قباب تحيط بجملة صهاريج وقال محمد بن يوسف بن الوراق خراب القوم محل مدينة قديمة هدمها الروم وفيها جملة صهاريج وغربى هذا الموضع قصر يعرف بقصر أبى معد نزار بن خالد بن يحيى بن بابان حواله نحو عشرين عائلة من قريش منهم عائلة جبير بن مطعم وجبير هذا قرشى دخل فى الاسلام عند فتح مكة ومات بين الخمسين والستين من الهجرة وكان من المحدثين الاعلام ويقيم أيضا بهذا الموضع قبيلة بنى مدلج وغيرهم من بنى فضالة وبنى عقيدان من البربر ويقال ان هؤلاء الاعراب كثيرا ما ينقلب المولود عندهم اذا كان أنثى شيطانا أو غولة وتقع على الناس وتؤذيهم ولا يتخلص منها الا بربطها قال محمد بن يوسف قال لى محمد بن قاسم بعض أمراء استيجة وهى قرية قريبة من اشبيلية من بلاد الاندلس ان ذلك صحيح وقد شاهدته بنفسى ثم من قصر أبى معد الى الرمادة وهى بلدة قريبة من البحر مسورة وبها جامع وحولها جنات فيها أنواع أشجار الفاكهة وقال الادريسى الرمادة قريبة من شرق العقبة الكبرى ومن الرمادة الى قصر الشماس وهو قريب منها وبه ناس قليلون وبين خراب القوم والرمادة خمسة وثلاثون ميلا ثم الى خراب أبى حليمة وتعرف أيضا برأس حليمة شرقى العقبة الكبرى بينها وبين الصغرى ورأس حليمة قلعة مسكونة وبها سوق وخمسة آبار وبقربها جملة صهاريج ومنها يتوصل الى قصر الروم وهو عمارة تشتمل على جملة قباب من الطوب بقربها جبل عال فى أسفله جملة صهاريج أكبرها يسمى المطفلة وبعد قليل يتوصل الى وادى مخاتيل على بعد مائة وسبعة وعشرين ميلا من برقة على قول الادريسى وسماه برت فى سياحته وادى مخفى وفى هذا الوادى قصر وسوق عامر وبقربه جملة صهاريج وحيضان وليس به عيون ماء وهو موضع كثير الخير والاشياء فيه رخيصة ومنه الى الاجدابية خمسة أيام ومن هنالك يتوصل الى برقة وتسمى فى لغة الروم بنطابوليس يعنى الخمس مدن لان بنطا

معناها خمس مدن بوليس معناها مدينة ودخلها عمرو بن العاص سنة احدى وعشرين من الهجرة وصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار ولاجل تحصيل هذا المبلغ رخص لهم في بيع من شاؤا من أولادهم قال الليث بن سعد كتب عمرو بن العاص على لواتة في شرطه ان يبيعوا أبناءهم فيما عليهم من الجزية وسمع عمرو يقول على المنبر لاهل انطابلس عهد يوفى لهم به ووجه عمرو عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين ومدينة برقة واقعة في صحراء حمراء التربة والمبانى فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها وعلى ستة أميال منها الجبل وهى دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة وتنمو على مراعيها وأكثر ذبائح أهل مصر منها ويحمل منها الى مصر العسل والقطران وهو يعمل في قرية من قراها يقال لها مقنة فوق جبل وعر لا يرقأ اليه فارس بحال وهى كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل وأصناف الفواكه وبمدينة مقنة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحول مدينة برقة قبائل من لواتة والافارق واسمها بالرومية الاغريقية وفى الطريق من برقة الى افريقية وادى مسوين فيه قباب خربة يقال ان عددها ثمانمائة وستون وفيها بساتين وفى هذا الوادى التربة التى تستعمل في تخمير العسل وقد ذكرها ابن البيطار في مفرداته فقال انها تسمى بالفارسية جوزجندم وبالعربية شحم الارض وتسمى في مدينة برقة خرء الحمام وأهل الاندلس يقولون لها تربة العسل وقال اسحق بن عمران انها تربة تتركب من حبوب تشبه حب الحمص بيضاء ذات صفرة بها يخمر العسل وقال ابن جلجل جوزجندم كلمة فارسية معناها تربة العسل تستعمل في الصيف لعمل العسل مربى ويؤتى بها من قرية زاب من بلاد القيروان وتسمى أيضا تلك القرية زيبان وهى غير زاب الذى هو نهر يصب في بحر الدجلة وقال الرازى ان هذا الشراب أى هذا المربى حار رطب يزيد في المنى ويورث السمن وفى كتاب الطلاسم ان هذه التربة تسمى في مدينة برقة خرء الحمام وفى بغداد جوزجندم وان وضع منها أربع كيلجة وهى ثلاثة أرطال وثلاثة أرباع رطل على عشرة أرطال من العسل وثلاثين رطلا من الماء الحار وجعل في اناء وقفل عليه وحرك قليلا لا يتزج في الحال وصار مشروبا جيدا وقال بعض النباتيين من الافرنج انه يسيل من شجر يسمى اجراسينا مخروستانا ثم يجمد ويصير أصفر زجاجا وأنكر ذلك مترجم كتاب البكرى لعدم وجود هذه الشجرة في افريقية وقال انه ربما كان نوعا من المن ثم من برقة الى اجدابية وهى مدينة في الصحراء أرضها حجرية بها بعض آبار نقرت في الحجر جيدة الماء وبها عين عذبة ونخلها قليل وبساتينها صغيرة وبها شجر الاراك دون باقى الاشجار وجامع حسن بناه أبو القاسم ابن عبد الله منارته مثمنة الشكل وبها حمامات وفنادق وأسواق وأهلها أصحاب يسار وجميعهم أقباط وفيهم قليل من عرب لواتة ولها مينا في البحر تعرف بالمحور بعيدة عنها بثمانية عشر ميلا ولها ثلاث قلاع قال ومدينة اجدابية خراب الآن يعنى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة وألف مسيحية وقد تنوسى اسم ميناها وكانت سقوف منازلها اقبابا من الطوب لمقاومة الرياح الشديدة في هذه الجهة والاشياء بها رخيصة والتمر كثير يأتى اليها منه أنواع من مدينة عجلة ثم من اجدابية الى مدينة صرت بضم الصاد وكسرها الواقعة في داخل الصرت الكبير في نصف الطريق بين مسراتة وبنى غازى التى هى برينيس القديمة وقال أيضا ان مدينة صرت تسمى الآن مدينة السلطان وأن اسم صرت يطلق على ساحل الصرت الكبير الذى جزؤه الشرقى يسمى جون الكبريت وقال البكرى ان مدينة صرت واقعة على ساحل البحر يحيط بها سور من الطوب وبها جامع وحمام وبعض أسواق ولها ثلاثة أبواب القبلى والبحرى والثالث صغير يشرف على البحر ولها نخل وبساتين وآبار عذبة الماء وعدد كثير من الصهاريج ويذبح بها المعز ولحمه جيد أحسن ما يؤكل في طريق مصر وأهلها أخبث الناس أخلاقا ومعاملتهم سيئة جدا لهم أسعار مقررة بينهم فاذا رست سفينة بمرساهم وكان بها زيت مثلا وكانوا في أشد الاحتياج الى هذا الصنف فانهم يتخذون قربا فارغة ويسدون أفواهها بعد النفخ ويملؤن بها الدكاكين وحيشان البيوت ويوهمون أصحاب السفينة أنهم غير محتاجين الى هذا الصنف فاذا أطالوا المقام بهذا المرسى فانهم يبيعون بضاعتهم بالاثمان التى قرروها بينهم بلا زيادة ولدناءة طباعهم يقال لهم عبيد قرلى نسبة لطير صغير يضرب بشراهته وحرصه المثل فانه يكون في الجو كالشاهين ينظر بعين الى الماء وبأخرى الى السماء فان نظر سمكة انقض عليها كالسهم وان رأى طيرا جارحا يقصده هرب منه وقيل في المعنى شعر

يامن جفانى وملا * خشيت أهلا وسهلا
وما ترحبت لما * رأيت مالى قــلا
انى أظنك تحكى * بمافعلتوا القــرلى

ولسانهم ليس بعربى ولا فارسى ولا بربرى ولا قبطى ولا يفهمه غيرهم وأطوارهم تخالف أطوار أهل طرابلس أخلاقهم سهلة صادقون فى المعاملة مع الاعراب وغيرهم ومن صرت الى طرابلس عشرة أيام ومنها الى اجدابية ستة أيام ومن اجدابية الى برقة كذلك ومعنى طرابلس بالرومى ثلاث مدن فان طرا معناها ثلاثة و بلس معناها مدينة ويقال ان الذى بناها هو القيصر صوبرو وتسمى أيضا مدينة اياس وهو اسمها القديم وولاية طرابلس سميت فى مبدأ القرن الثالث من الميلاد بالاسم الذى لها الآن وكان بها ثلاث مدن كبيرة وهى لبتيس ما ينا واسبرته و و يه وأطلقت العرب على الاولى اسم لبده وعلى الثانية اسم سبرا وعلى الثالثة تريبولى وقال البكرى ان طرابلس مدينة على البحر لها سور من الحجر و بها جامع وأسواق وحمامات كثيرة و يسكن حولها كثير من القبط لباسهم كلباس البربر ولسانهم قبطى وقراهم شرقى المدينة وغربيها تمتد الى موضع بنى صابرى أو سابرى مسيرة ثلاثة أيام ومن قبلى الى أرض هوارة مسيرة يومين وفيها عدة رباطات و يتوصل منها الى مدينة مغمداو هى على مسيرة يوم من صرت ومغمدا فى الاصل اسم صنم على ساحل البحر يحيط به أصنام كثيرة و بها قصر بناه العربى متولى صرت من طرف بنى عبيد الله وفيها كانت الوقعة المشهورة بين أبى الاحوص عمرو العجيلى وأبى الخطاب عبد العلاء بن السامح رئيس فرقة العبيديين وكان وقوعها بقرب البحر وانهزم فيها ابو الاحوص وفر الى مصر وذلك سنة اثنتين وأربعين ومائة هجرية ومن مغمدا على مسيرة يوم يتوصل الى قصور حسن المسماة باسم حسن بن النعمان متولى افريقية سنة سبعين من الهجرة وسبب وضعه لهذه القصور أنه بعد موت الزبير بن قيس عين الخليفة عبد الملك بن مروان لولاية افريقية حسن بن النعمان الغاسانى فوصلها فى المحرم سنة ثمان وستمائة وتلاقى مع جيش الكاهنة فى أرض قابس وحصلت بينهم مقتلة قتل فيها رئيس خيالة حسن بن النعمان وكثير من جيشه وأسر تحت يد الكاهنة ثمانون رجلا وأما وفد فر باقى عسكره متفرقين واجتمعوا عند قصور حسن الواقعة على طريق مصر وأطلقت الكاهنة الاسرى بعد أن عاملتهم بأحسن المعاملة وأبقت يزيد بن خالد القيسى وعند عود الاسرى أخبروه بما حصل من اكرامهم فسر بذلك وكتب الى الخليفة عبد الملك يخبره بما وقع له مع الكاهنة وان عدة فكتب له عبد الملك ان يقيم بالموضع الذى هو به فبنى القصرين وآثارهما باقية الى الآن وكان بقربهما عدة بساتين و بئران ماؤهما مالح وأقرب محطة الى خراب أبى حليمة القصر الابيض الذى كان فوق العقبة المتخرب الآن و بقربه صهريج خرب وهو على كلام بعضهم آخر أرض لواتة وأما عرب مزاتة فتسكن تحت تلك العقبة ومدينة طرابلس كثيرة الفاكهة وأنواع المأكولات وفى شرقيها بعض بساتين لطيفة تمتد الى سبخة يعنى بركة مالحة قد جف ماؤها و يستخرج منها ملح الطعام وفى داخل المدينة بئر تعرف ببئر أبى الكنود يقولون ان شرب مائها ينقص العقل و بئر آخر عذبة الماء تعرف ببئر القبة وعن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص قصد طرابلس فى سنة ثلاث وعشرين هجرية ولما وصل الى القبة التى على الجبل شرقى المدينة حاصر المدينة شهرا ولم يبلغ منها اربه وفى ذات يوم خرج اعرابى من آل مدلج من المعسكر مع سبعة من رفقته بقصد الصيد فساروا فى الفضاء غربى المدينة وكان ذلك وقت شدة الحر فتبعوا فى عودتهم ساحل البحر وكان سور المدينة ممتدا الى البحر ولم يكن لها سور من جهته فكانت السفن تدخل فى الميناو تقرب من المنازل ورأى المدلجى و رفقته طريقا بساحل البحر قد تركها فى جزره فتبعوها الى أن وصلوا الكنيسة فأعلنوا هنالك بالتكبير فخافت الروم ونزلوا فى المراكب فحينئذ دخل عمرو بن العاص بجيوشه المدينة واستولى على جميع ما بها ثم لما تولى هرثمة بن أعين على القيروان سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة بنى السور الساتر لمدينة طرابلس من جهة البحر ومن ملحقات طرابلس أرض تعرف بسهل سجين لها شهرة بكثرة الحصول فان متحصلها فى السنة قدر بذرها مائة مرة قال المترجم كتاب البكرى ان هذه الارض لم تزل فى أعلى درجة من الخصب وهى واقعة قبلى طرابلس على بعد ستة وثلاثين فرسخا من المدينة وتسمى الآن بسقعين بالقاف بدل الباء الموحدة وعلى بعد ثلاثة أيام من طرابلس وستة أيام من

القيروان يوجد جبل يعرف بجبل نفوسة طوله من الشرق الى الغرب مسيرة ستة أيام تسكن بقربه عرب بنى زمور ولهم قلعة تسمى تيرقت بمثناة فوقية فى أوله وبالقاف أو بالفاء أو بيرقت بموحدة فى أوله وهى قلعة حصينة منيعة وبعدها عرب بنى تدميت ولهم ثلاث قلاع وفى وسط أرضهم مدينة كبيرة يقال لها جدو واقعة فى الجنوب الغربى لمدينة طرابلس على بعد أحد وتسعين ميلا وفيها أسواق وعدد كثير من اليهود وقال محمد بن يوسف ان مدينة شروس هى مركز جميع بلاد جبل نفوسة وهى مدينة لطيفة متسعة بها كثير من السكان ولم يكن بها جامع ولا بما حولها من البلاد وعددها ينيف على ثلثمائة بلدة كلها عامرة بالسكان وجميع أهالى تلك البلاد يزعمون ان الصلاة لا تصح الا خلف معصوم فلا يوجد من يصلح للامامة فهذا هو السبب فى عدم بناء المساجد وبين مدينة شروس وطرابلس خمسة أيام وقصر لبدة واقع بينهما وهو قصر عتيق مبنى بالحجر والجير وحوله مبان عتيقة أيضا أغلبها خراب وبه نحو ألف من العرب الخيالة يديمون المناوشة مع من جاورهم من البربر والبربر يخافونهم ويدخلون تحت حكمهم مع ان فى امكان البربر تهيئة عشرين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وفى وسط جبل نفوسة كثير من النخل والزيتون وشجر الفاكهة وقد غزا عمرو بن العاص أهالى ذلك الجبل وكانوا نصارى ثم خلى سبيلهم بمكاتبة وصلت اليه من سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن نفوسة الى زويلة من أرض فزان يقصد المسافر أولا مدينة جدو ومن هناك يسير فى صحراء ثلاثة أيام فى الرمل فيصل الى طبرى وهى موضع فى منحدر الجبل به كثير من الآبار والنخل فاذا صعد على الجبل يجد صحراء مستوية يسير فيها أربعة أيام بلا ماء فيصل الى بئر أبى ضرف ثم يسير فيصل الى جبل طرغين فيسير فيه ثلاثة أيام فيصل الى تمرماو وهى مدينة كثيرة النخل وأهلها من بنى جلدين وفزانة ومن عوائدهم انه ان حصلت عندهم سرقة يكتبون كتابة تنتقل من بعضهم الى بعض فيحصل للسارق اضطراب مستديم ولا يستريح حتى يقر بالسرقة ولا ينقطع اضطرابه حتى تمحى الكتابة وعلى بعد يومين من هذه المدينة توجد مدينة سباب وهى كثيرة النخل أيضا وأهلها يزرعون النيلة ومنها يكون السير فى صحراء مستوية ذات رمل دقيق خال من الحجر والتراب وبعد السير فيها يوما يتوصل الى مدينة زويلة وهى مدينة بلا سور واقعة فى وسط الصحراء وهى فى كبرها تشبه اجدابية وتليها بلاد العبيد السود وبمدينة زويلة جامع وحمام وعدة أسواق وتجتمع فيها قوافل جميع الجهات ثم تتفرق منها وفيها كثير من النخل وزرعها يسقى على الجمال وقال مترجم كتاب البكرى ان زويلة فزان تغيرت الآن عن أحوالها القديمة وخلفها مدينة مرزوق وقال البكرى ان عمرو بن العاص بعد أن استولى على برقة بعث عقبة بن نافع فاستولى على جميع البلاد الواقعة بين زويلة وبرقة وفى مدينة زويلة قبر الشاعر دعبل بن على الخزاعى وقال ابن خلكان ان دعبلا مات فى مدينة تيب الواقعة فى الجنوب الشرقى من بغداد على بعد أربعة وخمسين فرسخا وبين زويلة واجدابية مسيرة أربعة عشر يوما وأهل زويلة يستعملون طريقة حسنة فى خفارة مدينتهم وهى ان من عليه الدور فى الخفارة يأخذ حيوانا ويحمله من جريد النخل بحيث تجر أطراف الجريد على الارض ويدور به حول المدينة فيرسم الجريد دائرة فى الارض وفى الغد يخرج مع بعض الاصحاب على الجمال ويطوفون حول البلد فان رأوا أثر قدم فى الرمل تبعوه حتى يعرفوا صاحبه ومدينة زويلة واقعة فى الجنوب الغربى من طرابلس وقال بعض السياحين ان زويلة فى الجنوب الشرقى والجنوب الغربى وقال البكرى انها محل تجارة الرقيق ومنها تتفرق العبيد وفى جميع بلاد افريقية وغيرها والمعاوضة فيها بقطع من القماش الاحمر وبعد صحراء زويلة بمسيرة أربعين يوما تجد بلاد قانم وهم طائفة من العبيد وثنيون يعسر الدخول فى أرضهم ويقال ان هناك بعضا من الامويين الذين فروا فى وقعة العباسيين وبلاد قانم جعلها البكرى فى الشمال الشرقى لبحيرة تزاد وقال أيضا ان بين زويلة ومدينة صحة خمسة أيام وصحة واقعة فى شمال مرزوق على بعد اثنين وعشرين فرسخا وصحة مدينة كبيرة بها جامع وأسواق وبينها وبين مدينة حل خمسة أيام وتسميها السياحون حن وتجعلها فى الشمال الشرقى لمدينة صحة على بعد خمسة وأربعين فرسخا وقال أيضا ان مدينة حل بها كثير من السكان والنخل وجملة عيون ماء ومنها الى مدينة ودان يوم واحد وفى ودان قلعة وعدة حارات تقفل بأبواب وهى منقسمة قسمين يسكن بأحدهما قبيلة سهميد وتسمى مدينة دلباق ويسكن بالآخر قبيلة أصلها من حضرموت وتسمى مدينة بوصه أو بوسى وللبلدين جامع واحد متوسط

بينهما

بينهما ولا تنقطع المناوشة بينهما العداوة بينهم وعندهم فقهاء من ودّان ومؤنتهم التمر ويزرع بأرضهم قليل من البر يسقى على الجمال وبلدة تجرفت على ثلاثة أيام من ودّان وبها جامع وأصل سكانها من ودّان وهي كثيرة التمر سيما النوع المعروف بالبرني ومنها يتوصل الى مدينة تصرت وبين صرت وزويلة اثناعشر يوما كما بين صرت وودان فهي في الوسط بينهما وودان في الجنوب الغربي لصرت وزويلة قبلي ودان على بعد ثمانية وخمسين فرسخا فعلى هذا يكون ما بين تجرفت وزويلة مسيرة أربعة عشر يوما في الطريق الغربي ومن تجرفت الى القسطاط مسيرة تسعة وعشرين يوما وذكر البكري أيضا طريقا آخر بين زويلة وتجرفت فقال من زويلة الى تمسا يومان وتمسا مدينة كبيرة بها جامع وأسواق ومنها الى زلاء الواقعة في الشمال الشرقي لتمسا يكون السير في الصحراء ثمانية أيام وفي وسط الطريق محطة يسكنها ناس من ودان وزلاء مدينة كبيرة متسعة بها جامع وعين ماء ونخل كثير وأهلها من البربر من قبيلة مزاتة ومن زلاء الى سهل برقانة ستة أيام ومن برقانة الى قلعة الفروج وهي قلعة خراب واقعة في وسط سبخة وفيها صهريج ماء ومنها الى الصرت خمسة أيام ومن الصرت الى أجدابية يوم واحد ومن أجدابية الى قصر زيدان الفتى ثلاثة أيام ومن هذا القصر الى عجلا أربعة أيام وعجلا اسم لاقليم به قرى كثيرة ونخل وأشجار فاكهة ومدينته الشهيرة أرزقية وهي مدينة كبيرة بها عدة مساجد وأسواق ومنها الى تجرفت أربعة أيام ومن يريد السفر من طرابلس الى ودان يمر ببلاد هوارة ويكون سيره للجنوب ويمر في طريقه بجملة من نجوع العرب وأبراج بها جماعة مقيمون لخفر الدرب ثم يصل الى قصر ابن ميمون وجميع ذلك تابع لولاية طرابلس ثم على بعد ثلاثة أيام من قصر ابن ميمون يتوصل الى صنم على جبل يسمى ذلك الصنم جرزا والعرب تقرب له القرابين ويتضرعون اليه ويسألونه شفاء أمراضهم وتحصيل أغراضهم وقال مترجم البكري ان جرزا بلد على نهر يسمى بهذا الاسم في منتصف الطريق بين طرابلس وودان وعرضها الشمالي ثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة وألف مسيحية وصف هذه الجهة أحد السياحين فقال لما وصلت غرزا لم أجد بها الا بعض بيوت وبقربها على سفح الجبل رأيت بعض قبور قابلة الاعتبار وبعضها أعمدة غير متناسبة الاجزاء وعليها نقوش رديئة وتصاوير الانسان والحيوان غير متقنة الصنعة لم ينشأ رسمها عن ذي معرفة ثم قال مترجم البكري والقرابين المتقدم ذكرها جارية في بقعة في جنوب طرابلس على مسافة أيام قلائل ومن هذا الصنم الى ودان ثلاثة أيام وفي وقت محاصرة عمرو بن العاص لمدينة طرابلس في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة واستيلائه عليها أرسل بسر بن أرطاة الى ودان فاستولى عليها وضرب على أهاليها الخراج قال ابن عبد الحكم مؤرخ القرن الثالث من الهجرة انهم رفعوا لواء العصيان وأبوا دفع الخراج فتوجه عقبة بن نافع الفهري القرشي الى المغرب وكان قد سبقه اليه معاوية بن خديج وبسر بن أرطاة وشريك بن سهيم امراء من قبيلة مرادفسار واجمعا الى غدمس من أرض الصرت فنزل بها جزء من الجيش في امرة الزبير بن قيس من قبيلة بلي وسار الى ودان في أربعمائة فارس وأربعمائة جمل وثمانمائة قربة ماء فلما وصلوا الى ودان تغلبوا عليها وقبضوا على ملكها وقطعوا احدى أذنيه فسألهم عن سبب قطع أذنه مع انه معاهد للمسلمين فقال له عقبة هذا يذكرك كلما وضعت يدك على أذنك المقطوعة انك لا تطمع في حرب العرب ثم استولوا منه على ثلثمائة وستين رأسا من الرقيق التي ضربها عليهم بسر ثم ان عقبة سأل الاهالى عما بعدهم من البلاد فقالوا جرما تخت بلاد فيزان فسار اليها فوصلها بعد ثمان ليال واستولى عليها وأمرهم بالاسلام فقبلوا وخرج ملكهم لزيارة أمراء العرب وكانت محطتهم على ستة أميال من المدينة فقابله بعض فرسان من طرف عقبة حالوا بينه وبين أتباعه وأنزلوه عن ركوبته وجبروه على أن يمشى على قدميه فقعل وكان رقيق المزاج فتأثر من المشي وما وصل حتى صار يطفح دما فسأل عن سبب معاملته بهذه المعاملة مع أنه مطيع داخل في الاسلام وأتى اليهم مختارا فقال له عقبة هذا يذكرك ان لا تطمع في محاربة العرب وبعد أن ضرب عليه ثلثمائة وستين من الرقيق كل سنة سار بلا مهل الى قصور فيزان واستولى على جميعها وسأل عما بعدهم من البلاد فقيل له قلعة جوان على رأس جبل في حدود الصحراء وهي قصبة بلاد كوار فسار حتى وصل هذه القلعة بعد خمسة عشر يوما فحاصرها شهرا كاملا ولم يبلغ منها أربه فتركها وسار الى ما حولها من القلاع واستولى عليها واحدة واحدة وقد أتى اليه جيشه بملك كوار فقطع له اصبعا

فسأل عن السبب فقال له انك كلما نظرت الى اصبعك لا تطمع فى محاربة العرب ثم ضرب عليهم الجزية ثلثمائة وستين رأسا من الرقيق وسأل عما بعدهم من البلاد فقالوا لا علم لنا فرجع الى جوآن ولم يقم وسار منها مسافة ثلاثة أيام ونزل بجيشه فى موضع ليس به ماء وقد اشتد بهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك فصلى بهم صلاة الاستسقاء ودعا الله تعالى فما أتم صلاته ودعاءه الا وقد حفر الحصان برجله فظهرت صخرة تنبع منها ماء فأمر عقبة بحفر الارض فخرج ماء عذب جيد فشربوا واستقوا فسمى ذلك الموضع ماء الفرس الى اليوم ومن هنالك رجع عقبة الى مدينة جوآن من طريق غير التى سلكها ودخل ليلا والناس نيام فقتل الكفرة واستولى على النساء والاطفال والاموال ثم رجع الى زويلة واجتمع بباقى عسكره بعد أن غاب عنهم خمسة أشهر وقام بهم متوجها الى المغرب وكان لا يتبع فى سيره طريقا مطروقا ودخل أرض مزاتة واستولى على جميع قلاعها ثم سار الى قفصا وقسطيليا وبعد أن استولى عليهما عاد الى القيروان انتهى ‹(طرهونة)› منها شيخ العرب كريم بضم الكاف وفتح الراء وشد المثناة التحتية وفى آخره ميم وهو شيخ تلك الناحية وفى الجبرتى انه قبض عليه فى سنة تسع وعشرين ومائتين وألف وكان قد عصى على الحكومة ولم يقابل حكام الجهة فاحتال عليه المرحوم ابراهيم باشا وأمنه فحضر وأظهر الطاعة وبعد حضور العزيز من أرض الحجاز ذهب لمقابلته اعتمادا على تأمين ابنه واستصحب معه هدية فيها أربعون جملا فقبل هديته ثم أمر بضرب عنقه بالرميلة لتفرسه فيه الاصرار على الفساد وكان العزيز مشغوفا بازالة المفسدين وراحة البلاد والعباد من شرهم ‹(طليا)› قرية من مديرية المنوفية بقسم أشمون جريس موضوعة على ترعة النجار وفى غربى بحر العزب بمسافة خمسمائة قصبة أبنيتها بالآجر واللبن وبها جامع قديم متهدم وجملة زوايا مقامة الشعائر وبها دوّان تفتيش دائرتها ووابوران أحدهما السقى زراعة الدائرة والثانى لزراعة شريف باشا وورثة المرحوم سليمن باشا الفرنساوى وبها معمل فراريج وفى جهتها الغربية تل قديم يعرف بالكوم الاحمر بجوار أرض اسمعيل بيك مفتش دائرتها سابقا وعربة تبع زراعة تفتيشها أيضا ورى أرضها من ترعة النجار * وينسب اليها كما فى الضوء اللامع للسخاوى الشيخ عبد الرحمن بن سلام بن اسمعيل الصعيدى الاصل الطلياوى ثم القاهرى الشافعى ويعرف بالبدوى ولد بطليا من المنوفية وقدم القاهرة بعد السبعين والثمانمائة فجود القرآن وقرأ لابن كثير ثم اشتغل بالفقه عند ابن سولة وغيره واشتغل بالنحو عند الكورانى والعلاء الحصنى وصالح اليمنى وغيرهم وقرأ فى الصرف والمنطق والاصول كثيرا ولازم ابن قاسم وحسنا الاعرج وكذا أخذ عن الشمس البلبيسى الفرضى وعبد الحق ونزل فى المزهرية وقطنها وكان الغالب عليه الخير انتهى ولم يذكر تاريخ موته رحمه الله وايانا ‹(طما)› بلدة قديمة هى آخر مديرية جرجا من الجهة البحرية واقعة فى الجانب الغربى للنيل على مسافة قليلة وكانت قبل الآن مركز قسم واليوم هى مركز حاكم الخط من قسم طهطا وفيها خانات قليلة وقهاو وحوانيت كذلك وفيها نحو ثمانية مساجد أشهرها الجامع الكبير وهو جامع السوق به عمد كثيرة وله منارة وبها أبنية عظيمة بمناظر لبعض أهاليها خصوصا عمدتها عبد الرحمن أغا عثمان وأولاده وأقاربه فلهم فيها أبنية وآثار كثيرة والمذكور كان ناظر قسم زمن العزيز محمد على والآن ابنه عبد الرحمن حاكم خط وفيها قاض وبها تجار وأرباب حرف ونخيل كثير وفيها أشراف حسنيون ومنهم علماء ومنهم قاضيها وهو نائب من طرف ولاية أبى تيج وله بها أملاك ومنظرة جليلة وفيها معمل دجاج ومصابغ وبساتين قليلة الفواكه وفيها أقباط بكثرة ولهم فيها كنيسة وفيها أضرحة لبعض الصالحين مثل الشيخ زوين والشيخ نوير ولها سوق حافل كل يوم أربعاء يؤتى اليه من البرين ولها على شاطئ البحر نزلة تسمى الحبى عندها مرسى ترتاح فيها السفن وتشحن هنالك من هذه البلدة وما يجاورها من البلدان وفى جانبها البحرى على ربع ساعة قرية سلمون على شمال الخارج من طما الى الشمال وهى أول مديرية سيوط من الجهة القبلية وبحرى قرية سلمون قرية الوعاضلة كذلك فوق تل عال أيضا وفيها من النخل الكبير قليل ومن الصغير كثير ثم قرية أولاد الياس على شماله أيضا ثم قرية بنى فيز على يمينه وهى أيضا على تل عال وبها نخيل كبير ونخيل صغير ثم بعدها قرية صدفا على شماله ثم بعدها مدينة بوتيج وكلها على الطريق السلطانى ويخرج من طما أيضا طريقان صاعدان فى الجنوب ثم شرقيهما على قرية السوكة قبلى طما بربع ساعة ثم على كوم العرب ثم على مشطا وهى بلدة كثيرة النخل ويتبعها كفور كذلك وهى غربى البحر بقليل وكان أولا ملتصقا بها بل أخذ

ترجمة الشيخ عبد الرحمن الطلياوى

اكثرها

أكثرها وانتقلت الى الغرب ولم يبق من بيوتها التى على تلولها الا القليل وكان بها شونة غلال ميرية وبطلت منها مدة ثم جددت بها الآن شونة من زرابى الجريد وعزبة عزبتها على عزبة العرب ثم عزبة مشطا ثم قرية الوقفة ثم بنجا ويخرج من طما مغربا بجسر الى الجبل يمر على قرية ريانة المعلق (طماى الزهايرة) قرية بمديرية الدقهلية من قسم السنبلاوين واقعة فى بحرى ناحية قنبرة بنحو سبعمائة متر وفى شرقى ناحية توب طريق بنحو ثلاثة آلاف متر وبها جامع مقام الشعائر وهذه القرية من ضمن الجفالك الخديوية وبها محل لتفتيش زراعته (طملوها) ويقال لها طملاى قرية من قسم منوف بمديرية المنوفية واقعة فى منتصف الزاوية الحاصلة من تلاقى بحر الفرعونية مع بحر رشيد وفى شمال هذه القرية ناحية شبشير المسماة عندهم بشبشير طملاى وعلى نصف ساعة من قبليها ناحية جزى وفى جهتها الشرقية على نصف ساعة ناحية منوف العلا وأرضها منحصرة بين فرع العزب والفرعونية وريها من ترعة النعناعية التى فمها من الرياح ومصبها فى بحر الفرعونية وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف صار امتداد النعناعية وسقوطها فى ترعة السرساوية من جهة ناحية نادر ومن طملوها على أفندى حسنين شروده كان مهندس قسم فى مديرية بنى سويف وهو ممن تربى بمدرسة المهندسخانة ببولاق وفى الجبرتى ان مراد بيك ذهب الى طملوها فى سنة ألف ومائتين وطالب أهلها برسلان وباشا النجار وكان كل منهما شيخ عصبة من المفسدين قطاع الطريق وقال لهم انهم يأوون عندكم فتنكروا ذلك فأمر بنهب القرية فنهبت وسلبت أموال أهلها وسبيت نساؤهم وأولادهم ثم أمر بهدمها وحرقها عن آخرها ولم يزل ناصبا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدما وحرقا وجرفها بالجراريف حتى محا أثرها وسواها بالارض وفرق كشافه فى البلاد فى مدة اقامته عليها يجبى الاموال وقرر على القرى ما سولت له نفسه ومنع من الشفاعة وبث المعينين لطلب الكلف الخارجة عما يطاق فاذا استوفوها طلبوا حق طريقهم فاذا استوفوه طلبوا المقرر وهكذا فان امتثل الناس والا أحرقوا البلد ونهبوها ثم ذهب الى مدينة رشيد فقرر على أهلها جملة كبيرة من الاموال فهرب غالب أهلها وعين على الاسكندرية صالح أغا كتخدا الجاوشية وقرر له حق طريقه خمسة آلاف ريال وأمر بهدم الكنائس وطلب مائة ألف ريال من أهل البلد فلما وصلها هربت تجارها الى المراكب ولما رجع مراد بيك الى ناحية جججمون من قرى الغربية هدمها وهدم أيضا كفر دسوق وبلادا كثيرة وأتلف كثيرا من الزرع وكل ذلك بسبب رسلان وباشا النجار انتهى وقد أخبرنى الحاذق الماهر السيد أحمد أفندى خليل أحد رجال ديوان الاشغال برتبة بيكباشى نقلا عن بعض أسلافه بشئ من أخبار هذين الشيخين لمجاورة بلدته البتنون لبلدتيهما وانوع مصاهرة بينه وبين الشيخ رسلان فقال أما رسلان فهو من قرية تعرف بتلا من قرى المنوفية وكان شيخ نصف سعد وأما باشا النجار فهو من كفر السكرية من بلاد المنوفية أيضا وكان عمدة نصف حرام وكان لكل منهما عصبة ومنسر يقطعون الطريق ويفسدون فى الارض ويحارب بعضهم بعضا ولما جد مراد بك فى طلبهما هربا واختفى كل منهما فى بيت شيخ العرب الحنفاوى حبيب عمدة نصف سعد بناحية البتنون وبقيا عنده سنة كاملة لا يعلم احدهما بالآخر ولما حصل العفو عنهما صنع شيخ العرب الحنفاوى وليمة عظيمة جمع فيها مشايخ العرب مثل أبو ثوده وابن حبيب وغيرهما وحضرها رسلان وباشا النجار وسلم أحدهما على الآخر وهنأهما بالسلامة وأكل الجميع على سماط واحد وسأل رسلان باشا النجار أين كنت هذه المدة فقال فى بيت شيخ العرب الحنفاوى فقال الآخر وأنا كذلك فتعجب الحاضرون من حسن تدبير شيخ العرب الحنفاوى ولما مات رسلان ترك ذرية اشتهر منهم ابنه أبو العمائم ثم مات أبو العمائم وترك ابنه رسلان وهو الآن مأمور ضبطية مديرية المنوفية وكان قبل ذلك ناظر قسم انتهى (طمية) قرية بقسم أول من مديرية الفيوم واقعة فى نهاية المديرية من جهة الشمال بقرب الجبل الموصل الى دهشور ولها سوق كل أسبوع وبها خان ينزله المسافرون وسويقة دائمة يباع فيها نحو الخبز والجبن والبيض وبها جامع وأشجار كثيرة وأهلها مسلمون ومنهم من يتكسب من الزرع أو القبانة أو صباغة النيلة ونسج الحصر السمار وغيره وكانت قديما يزرع فيها صنف النيلة بكثرة فكان عمدتها محمد منسى يزرع نحو ألف فدان نيلة ويحصل من ذلك أرباحا جسيمة وكان رجلا كريما يحب الضيفان وبها من الجهة القبلية وابور لحلج القطن وفى بحريها باطن متسع قديم عرضه أكثر من مائتى قصبة وعمقه نحو خمسة وعشرين ذراعا معماريا ويظهر أنه حدث بعد قطوع حصلت فى جسر اليوسفى

فى الازمان السالفة لحفره انصباب المياه حتى وصل الحفر الى الحجر وأذهب جميع المواد الطينية والرمال التى كانت تراكمت فوقه وتلك القطوع هى قطع بلاما فى غربى هوارة على نحو ثلث ساعة وقطع السنط الواقع فى شرقى هوارة وقطع الكوم الاسود فى شرقى قطع السنط قريبا من الكوم الاسود الذى هو جرف بحر وردان وقطعان آخران بقرب هوارة بقدر نصف ساعة وفم بحر طمية والروضة واقع فى قبلى قحافة ويجرى صنوفر فى وسط مسافتهما تقريبا وبعد أن يسير فى الشمال الشرقى نحو ثلثى ساعة يصب فى ذلك الباطن ومن محل الاتلاق الى جهة الشمال يسمى ذلك الباطن البطس وعلى فمه سواقى هدير لارباب الاطيان العالية من ناحية قحافة وصنوفر وقبلى ناحية الروضة بنحو ثلث ساعة نصبة تقسم المياه بين الروضة وطمية لرى أطيانهما وفى البطس بجوار ناحية الروضة يوجد حائط قديم مبنى بالمونة والدبش والآجر قاطع للبطس ممتد فى الشمال والجنوب من طمية الى الجبل نحو خمسمائة ذراع طولا ويختلف عرضه من خمسة عشر ذراعا الى ثلاثين وارتفاعه نحو خمسة وعشرين ذراعا وهو معد لرد المياه وحجزها حتى تعلو فتروى أطيان الناحية وفى آخر ذلك الحائط من الجهة الشمالية بجوار الجبل عين متسعة توصل الماء الى قصر رشوان الذى هو من بقايا بلاد وردان لتروى الاراضى التى هنالك وفى نهايته القبلية بجوار البلد عند مستوى أرض الناحية قنطرة بعشر عيون توصل الماء الى بحرها ولما كانت مياه تلك العيون ربما تزيد عن كفاية تلك الاراضى عمل هنالك حائط عمودى يمتد من الشرق الى الغرب نحو مائة وخمسين ذراعا من ابتداء النهاية البحرية للعشر عيون وعمل فى وسطه هدار بمدرج من البناء الجسيم وجعل طوله مثل عرضه وجعل أوله مرتفعا عن آخره بقدر سبعة أذرع وجعل عرضه نحو عشرين ذراعا وطول المدرج مثل ذلك ووظيفته أن يصرف المياه الزائدة عن كفاية أطيان الناحية فى البطس وفى سنة خمس وأربعين ومائتين وألف هجرية انقطع جسر جاد الله المعروف هنالك وتسبب عن ذلك قطع اليوسفى فى بلاما والكوم الاسود فانصبت المياه فى البطس وعلت حتى مرت من فوق حائط طمية وهدمت منه قطعة يبلغ طولها نحو مائتى ذراع فبنيت سنة ١٢٤٧ وجعل سمكها نحو ستين ذراعا معمار يا فلم تغن شيأ وأزالتها المياه كما أزالت ما كان قبلها ثم بنى بعد ذلك ثانيا وجعل عرضه خمسة وعشرين ذراعا وكان اتمام ذلك سنة ١٢٥٥ وهذا البناء هو الباقى الى الآن ومابين الحائط الى قرب الروضة فى عرض نحو مائتى قصبة يعرف بخيران طمية وتبقى فيه المياه فى فصل الصيف تسقى منها المزروعات الصيفية ومساحته نحو ستمائة فدان ويزرع عليه نحو ستمائة فدان من أطيان طمية وقصر رشوان وأرض طمية منفصلة عن أرض الزرابى والمعصرة الواقعتين فى قبليها بجبل صغير على مسافة ساعة نهايته الغربية كفر محفوظ والشرقية خزان طمية

(طمويه) فى خطط المقريزى فى الكلام على الديور ما نصه قال ياقوت طمويه بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياء ساكنة قريتان احداهما فى كورة المرتاحية والاخرى بالجيزة انتهى فالتى فى المرتاحية كانت من أعظم مدن مصر وكان بها حاكم وأسقفية وظهر منها فى زمن النصرانية كثير من الاحبار كما ذكر ذلك أميلان مرسلان وتذكر كثيرا فى كتب القبط وكان يقال لها طموى أو طمويس وحقق دنو يل انها كانت فى محل طمية الموجودة فى اقليم المرتاحية والدقهلية وقال هيرودوط انها قاعدة اقليم وقال بطليموس انها من اقليم منديس بالوجه البحرى وهذا يوافق ماذكره بلين فانه لما ذكر أقسام مصر لم يتكلم على خط طمويه وتكلم على خط منديس ويمكن التوفيق بينهما باحتمال انهما كانا رأسى خطين ثم صار الخطان خطا واحدا رأسه مدينة طمويه وأما التى فى الجيزة ففى بعض الكتب القبطية تسميتها طاموه وفى بعضها طموه بشد الميم وفى موضع من خطط المقريزى سماها دموه بالدال وفى كتابه السلوك ما يفيد أنها كانت رأس خط فانه قال انه اقطع للامير طاز خط طمويه بالجيزة انتهى وفى آخر زمن النصرانية كانت عامرة وتذكر كثيرا فى كتب الاقباط خصوصا فى تاريخ بطاركة الاسكندرية وأسقفها معدود من ضمن أساقفة الصعيد ودير الشمع كان من أسقفيتها ثم أخذت فى التأخر قال بعض الافرنج معنى طمويه فى الاصل الجدى وقيل السبع أو اللبوة وقيل النور وقيل معناه المينا أو المدينة وفى زمن المقريزى كانت طمويه قرية صغيرة ونقل عن الشابشتى أن طمويه الجيزية فى الغرب بازاء حلوان وديرها راكب البحر حوله الكروم والبساتين والنخيل والشجر وهو نزه عامر آهل وله فى النيل

منظر حسن وحين تخضر الارض يكون بساط من البحر والزرع وهو أحد متنزهات أهل مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة ولابن أبي عاصم المصرى فيه من البسيط

واشرب بطموية من صهباء صافية * تزرى بخمر كراهيت وعانات
على رياض من النوار زاهرة * تجرى الجداول فيها بين جنات
كأن بنت الشقيق العصفرى بها * كاسات خمر بدت فى إثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدق * فى خفية يتناجى بالاشارات
كأنما النيل فى مر النسيم به * مستلئم فى دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا * وكن قدما مواخيرى وحاناتى
اذلا أزال ملما بالصبوح على * ضرب النواقيس صبا بالديارات

وهذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحى وذكر المقريزى أيضا من ضمن كنائس منية ابن خصيب كنيسة باسم انبابولى الطموبهى وذكر أبو صلاح أيضا انها كانت على الشاطئ الغربى من النيل فى مقابلة حلوان وبها دير باسم بوجرج يجتمع فيه نصارى البلاد المجاورة وكان موضوعا على لسان من الارض داخل البحر ويحيط به سور مستدير على وضع حسن وبيان مشيدة وكان به كثير من النصارى وكنيسة باسم أبى مرقورا وبقربها قصر يصعد اليه بسلم فى داخل الكنيسة ومن أعلاه يشاهد منظر فى غاية الحسن ومن كل جهة ترى الجنات والاشجار ونخل البلح وكروم العنب وأرض مزروعة وكان من أشهر متنزهات أهل الفسطاط وقد بنى هو والكنيسة فى زمن الخليفة الآمر بناه الشيخ أبو اليمن وابنه أبو المنصور وكان الوزير الافضل يأتى للنزهة فى هذا الدير وتارة يقيم به الايام وغرس بقربه بستانا شحنه بالنخل وأنواع الاشجار وحفر فيه آبارا ركب عليها السواقى وكان ايجار الجنينة عشرة دنانير تؤخذ للديوان ثم ترك هذا الايراد لرهبان الدير فأمكنهم بذلك انشاء معصرة للزيت ورمموا بعض المبانى وكان للدير سبعة وأربعون فدانا استولت عليها العساكر زمن صلاح الدين وقسمت بين الاكراد وغيرهم وكان فى الكنيسة جثة مارى بغنوس رئيس هذا الدير وفى كل سنة كان يعمل له عيد فى الخامس عشر من أمشير وكان به تمثال للعذراء وقد أهدى الشيخ أبو يمن للكنيسة جملة قضبات منها مجرة وصليب وشمعدانات وستارة من الحرير وفى ضواحى هذه المدينة كنيسة جميلة باسم بوجرج وأخرى باسم العذراء وكنيستان أخريان وفى خطط المقريزى فى الكلام على الكنائس مانصه ان كنيسة دموه أعظم معبد لليهود بأرض مصر فانهم لا يختلفون فى انها الموضع الذى كان يأوى اليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات الله عز وجل الى فرعون مدة مقامه بمصر منذ قدم من مدين الى ان خرج ببنى اسرائيل من مصر ويزعم يهود أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثانى على يد طيطش بيضع وأربعين سنة وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية بما ينيف عن خمسمائة سنة وبهذه الكنيسة شجرة زيزلخت فى غاية الكبر لا يشكون فى انها من زمن موسى عليه السلام ويقولون ان موسى عليه السلام غرس عصاه فى موضعها فأنبت الله هنالك هذه الشجرة وانها لم تزل ذات أغصان نضرة وساق صاعد فى السماء مع حسن استواء وثخن فى استقامة الى ان أنشأ الملك الاشرف شعبان بن حسين مدرسة تحت القلعة فذكر له حسن هذه الشجرة فأمر بقطعها لينتفع بها فى العمارة فضوا الى ما أمروا به من ذلك فأصبحت وقد تكورت وتعقفت وصارت شنيعة المنظر فتركوها واستمرت كذلك مدة فاتفق أن زنى بها يهودى بيهودية تحتها فتهدلت أغصانها وتحاتت ورقها وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء وهى باقية كذلك الى يومنا هذا ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهاليهم اليها فى عيد الخطاب وهو فى شهر سيوان ويجعلون ذلك بدل حجهم الى القدس انتهى (طنبارة) بفتح الطاء وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وراء وهاء قريتان بمصر احداهما بناحية المرتاحية والاخرى فى كورة الغربية انتهى من مشترك البلدان فالاولى من مديرية الدقهلية بقسم نوسا الغيط فى شرقى شبرى هور بنحو ألفى متر وفى غربى ناحية شبرى قبالة بنحو ألف وخمسمائة متر وهى من شنالك الدائرة السنية أطيانها بالقرب من ناحية السنبلاوين والسكة الحديد وبها زاوية صغيرة للصلاة وتكسب أهلها من الفلاحة والثانية من مديرية الغربية بمركز المحلة الكبرى غربى

بحر دمرو على نحو ثلثمائة متر وفى الجنوب الغربى لناحية بشبيش بنحو خمسة آلاف متر وفى شرقى ناحية دخميس بنحو خمسة آلاف متر (طنبول) بفتح الطاء وسكون النون وضم الباء وسكون الواو ولام كذا فى مشترك البلدان ويقال لها طنبوق بالقاف وهى بليدة من مديرية الدقهلية بقسم السنبلاوين واقعة فى الشمال الشرقى لناحية قرقيرة بنحو ألفين وخمسمائة متر وفى غربى ناحية دروه بنحو ألفين وستمائة متر مبانيها بالآجر واللبن وبها جامع وتكسب أهلها من الزراعة وغيرها وفى كتاب نزهة الناظرين للشيخ على الشمالى المالكى أن كاشف المنصورة عبد الرحمن كاشف نزل على هذه القرية فى السابع والعشرين من رجب سنة تسع وتسعين بعد الالف ونهبها وقتل منها نحو خمسة عشر شخصا أكثرهم أشراف فجاء الاشراف وطلعوا جميعا الى الديوان واشتكوا من الكاشف فاحضر على يد قاضى العسكر فحكم عليه بالتعزير ثم القتل فلما سمعت طائفة الاسباهية وهم يومئذ شربجية الاقليم امتنعوا من هذا الحكم وحموا عبد الرحمن كاشف من حضرة المرافعة وخرجوا به وقامت المتفرقة مع الشربجية قومة واحدة وقالوا ان عبد الرحمن كاشف ما كبس الا ناحية منية العامل بالاقليم المذكور وذلك بموجب بيورلدى شريف من طرف سليمن افندى كاتب الينكشارية سابقا وهو ملتزم ناحية منية العامل وقد فر المفسدون من أهل هذه الناحية واختفوا بناحية الصنبوق وصدقهم على ذلك سليمن افندى واختيارية الينكشارية وقالوا نحن الذين قطعنا البيورلدى بأخذ المفسدين الذين بها ثم بعد طول المداولة حصلت المصالحة واعطى للاشراف فى المصالحة ثلاثون ألف نصف فضة وخلع الوزير على عبد الرحمن كاشف وأعطاه التصرف فى تلك الولاية كما كان (طنبدا) قريتان من قرى مصر الاولى قرية من قسم ابا الوقف بمديرية المنية على جسر الجرنوس فى حوض سلنوس غربى ناحية مغاغة بنحو ساعة وهى بلدة قديمة واقعة على تلول وكانت قديما تسمى طغنوت كلمة قبطية وكان أغلب سكانها نصارى يتعاطون صنائع مختلفة وذكر المقريزى ان بها كنيستين قديمتين احداهما باسم مريم العذراء والاخرى باسم ميخائيل وهى كنيسة كبيرة ثم قال وكان هناك كنائس كثيرة خربت وكان بها فى بعض السنين راهب واحد انتهى وأبنيتها بالآجر واللبن وبها مسجدان عامران ونخل وابراج حمام ومصبغتان ولها سوق كل اسبوع تباع فيه الحيوانات وغيرها وأغلب أرضها تزرع قصب السكر وهى الآن تابعة للدائرة السنية والظاهر ان من هذه القرية الظهير الطنبداوى صاحب ديوان المعاملة الذى ذكره عثمان بن ابراهيم النابلسى فى كتاب لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية عند ذكر خيانة المستخدمين قال انه انساق فى حسابات الحبس الغربى ما يزيد على أحد عشر ألف اردب قمحا وفولا طلب منها ديوان الاهراء للمختار خمسين اردبا فما وجدت ولا شئ مما انساق حاصلا وظهر انها بيعت فى المقس والسواحل وبلغ ذلك الملك الكامل وكان بثغر دمياط فعز عليه وقال يساق لى جميع حاصل غلال التى تحت قلعتى وأنا أنظر من القلعة الى الحبس الغربى وأمر ان يسلك صاحب ديوان المعاملة الظهير الطنبداوى ووالى الحبس ومستخدموه ورسم بتغريمهم واشتغل بكلات المصالح فأمر نور الدين بن فخر الدين عثمان أن يوالى العقوبات على الظهير الطنبداوى الى أن يموت فعاقبه معاقبة من يمتثل ما رسم له فسبحان من قدر الآجال فلا تموت نفس الا بارادته والا ففيما فعل به ما يموت ببعضه خلائق وشهره على الجمالين فى أسواق مصر والقاهرة فى قفص يجى عليه الى آخر النهار ويبيت فى حبس القلعة وغير ذلك مما الموت خير منه انتهى * ومنها أيضا نجم الدين محمد الطنبدى كان متولى الحسبة بالقاهرة فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة ومتولى الامر بديار مصر يومئذ الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور وأمير حاج المعروف بحاجى بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ذكر ذلك المقريزى عند ذكر الاذان بمصر وقال ان الاذان لم يزل بمصر على مذهب القوم الى ان استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية فى سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وعقيدة الشيخ أبى الحسن الاشعرى رحمه الله فأبطل من الاذان قول حى على خير العمل وصار يؤذن فى سائر أقاليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين فاستمر الامر على ذلك الى أن بنت الاتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه فى مصر وصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضا على رأيهم وما عدا ذلك فعلى ما قلنا الا أنه فى ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شئ أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسى بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر الى ان كان فى شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه فقال لهم أتحبون ان يكون هذا السلام فى كل أذان قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه وانه أمره ان يذهب الى المحتسب ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أذان فمضى الى محتسب القاهرة نجم الدين محمد الطنبداوى وكان شيخا جهولا وأبلهاً مهولا سيئ السيرة فى الحسبة والقضاء متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء لا يحتشم من أخذ البرطيل والرشوة ولا يراعى فى مؤمن الا ولا ذمة قد ضرى على الآثام وتجسد من أكل الحرام يرى أن العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة ويحسب أن رضا الله سبحانه فى ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة لم تحمد الناس قط أياديه ولا شكرت أبدا مساعيه بل جهالاته شائعة وقبائح أفعاله ذائعة أشخص غير مرة الى مجالس المظالم وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين يدى السلطان من أجل عيوب فوادح حقق فيها شكاته عليه القوادح ومازال فى السيرة مذموما ومن العامة والخاصة ملوما وقال رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا فى كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يارسول الله كما يفعل فى ليالى الجمعة فأعجب الجاهل هذا القول وجهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعد وفاته الا بما وافق ماشرعه الله على لسانه فى حياته وقد نهى الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فأمر بذلك فى شعبان من السنة المذكورة وتمت هذه البدعة واستمرت الى يومنا هذا فى جميع ديار مصر وبلاد الشام وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الاذان الذى لا يحل تركه وأدى ذلك الى أن زاد بعض الملحدين فى الاذان فى بعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * واليها ينسب كما فى الضوء اللامع محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الحميد بن ابراهيم الشرف بن الشمس بن الفخر بن البدر القرشى الطنبدى ثم القاهرى الشافعى ويعرف بالشرف الطنبدى ولد ظنا سنة ثمان عشرة وثمانمائة ونشأ فحفظ القرآن والمنهاج وجمع الجوامع وألفية الحديث والنحو وأخذ الفقه عن الشرف السبكى والقاياتى والونائى والبدر بن الخلال والمجد البرماوى والزين القمنى وأخذ العربية عن ابن عمار والحديث عن الحافظ بن حجر واختص بقاضى الحنابلة البدر البغدادى وقرأ عنده الكثير من كتب الحديث وسافر معه الى مكة وتخلف عنه للمجاورة وقرأ هناك على أبى الفتح المراغى والمحب المطرى وكتب بخطه بمكة شرح المنهاج للزركشى ونقل من خطه واجتمع بعد موت البدر الحنبلى عن الناس وتجرع فاقة زائدة مع فضيلة وتواضع وتودد واستمر على ذلك حتى مات سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة رحمه الله واياناً انتهى (والثانية) طنبدى قرية من مديرية المنوفية بمركز مليج غربى ترعة البتنونية بنحو خمسمائة متر وفى شمال ناحية شبين الكوم بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة متر وفى غربى ناحية مليج بنحو أربعة آلاف وخمسمائة متر وبها جامع وأشجار (طندتا) بمهملة مفتوحة فنون ساكنة فدال مكسورة فمثناة فوقية مقصورا كذا سمع من بعض الفضلاء والعامة يقولون طنطا وهى مدينة كبيرة هى رأس مديرية الغربية ولها شهرة واعتبار قديما وحديثا ففى تاريخ بطاركة الاسكندرية انها كانت ذات أسقفية وكان من أساقفتها ميخائيل وجبريل واسمها القبطى القديم طنيطاو وقال ابن حوقل ان طندتا قرية كبيرة لطيفة بها جوامع وأسواق ويلحق بها جملة قرى وهى محل اقامة الحاكم مع فرقة من العساكر وكان حاكمها ضحة تحت امرته جنود من المشاة والخيالة ويقام فيها فى كل عام وقت الاعتدال الربيعى والانقلاب الصيفى سوق جامع يعرف بمولد السيد البدوى يجتمع فيه خلق كثيرون لا يحصى عددهم الا الله من جميع بلاد القطر وليس اجتماعهم لمحض التجارة بل لها وللتبرك بولى الله تعالى سيدى أحمد البدوى المتوفى بها وله فيها قبة عظيمة وجامع فاخر انتهى وهى وان كانت من قديم الزمان عامرة كثيرة المتاجر والاسواق سيما بحلول سيدى أحمد البدوى فيها فانه هو السبب فى زيادة شهرتها الا أنها كانت عديمة الانتظام ضيقة الحارات غير محكمة البناء فكانت كثيرة العفونات والرطوبات بسبب عدم تمكن الهواء والشمس من الدخول فى خلالها فلذا كانت كل سنة تكثر بها الامراض ويتراكم فيها الوخم

ترجمة الشيخ الشرف الطنبدى

بعد فراغ الموالد في أثنائها ولما أنعم الله تعالى على هذه الديار بجلوس الجناب الخديوى اسمعيل باشا على تختها اشمل تلك المدينة بعنايته وحفها برعايته كما شمل غيرها من بلاد القطر وأمر باجراء التنظيمات فيها بتوسعة الحارات وفتح الشوارع المستقيمة ورتب لها مهندس تنظيم وحكيم صحة وفتحت فيها عدة شوارع وحارات ذات اتساع واعتدال فتمكنت دواعى الصحة من أزقتها وبيوتها وحسن حالها وازدادت الرغبة في سكناها فسكنها كثير من أهل الوطن والاغراب من شوام وأروام وفرنساوية وانكليز وطليانية ونمساوية ومالطية ويهود حتى صار عدد أهلها كثيرا وكثرت فيها أنواع المتاجر وقد صدر الاذن من طرف الخديوى المذكور لديوان الاوقاف بتقسيم الفضاء الواقع في غربيها بجوار ديوان المديرية الجديد على الراغبين وتحكيره وعمل لذلك الرسومات اللازمة وجرت العمائر فيه بالفعل على طبق الاوامر الخديوية فبنيت هنالك أبنية فاخرة وعمائر جليلة وكان تقسيم ذلك ورسمه وبيان كيفية الاجراء على يدنا وبمعرفتنا مدة نظارتنا على الاوقاف المصرية ولاشك أن ذلك يزيد في بهجة المدينة وعماريتها وكثرة سكانها وقد بلغ محيطها الآن نحو مائة وثمانين فدانا واحتوت على عدة قيساريات في وسطها وجميع جهاتها بحوانيت وخانات وفنادق وكلها مشحونة بالمتاجر والبضائع الخارجية والداخلية من كل ما يرد على القطر أو ينتج منه وبالصنائع والحرف التى لاتقف عند حد وعلى عدة وابورات وبساتين وسواق وأسواق وأضرحة لكثير من الاولياء وقصور مشيدة بالمونة والبياض ذات شبابيك من الحديد والزجاج والخشب المخروط الى غير ذلك مما لو استقصى قصا ٭ وأعظم مساجدها مسجد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فانه لايفوقه في التنظيم وحسن الوضع والعمارية من المساجد الاقليل وهو في وسط البلد تقريبا يحيط به أربعة شوارع وفي ضلعه القبلى مقام قطب الاقطاب سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وعلى ضريحه مقصورة من النحاس الاصفر في أحسن شكل وقبة عالية مثل قبة الامام الشافعى وبداخله أيضا مقام تلميذه سيدى عبد المتعال ومقام سيدى مجاهد وبه نحو ستين عمودا من الرخام الابيض وله في تدريس العلوم به شبه بالجامع الازهر ففيه نحو ألفى طالب غير المدرسين ولهم شيخ كشيخ الازهر وقد تداول مشيخة العلماء بالجامع الاحمدى قديما وحديثا جملة وافرة من أجلاء العلماء وفضلائهم ومن آخرهم العالم العلامة الاديب والحبر الفهامة الاريب الكاتب الشاعر المجيد اللطيف الظريف السيد امام القصبى الشافعى ابن العارف بالله تعالى الولى الصالح ذى الكرامات الظاهرة والخوارق الباهرة السيد حسن القصبى الكبير أخذ طريق الخلوتية عن شيخ الاسلام الشيخ عبد الله الشرقاوى رضى الله عنه وانتفع الناس بكراماته حيا وميتا رضى الله عنه مكث المترجم رحمه الله طويلا في مشيخة العلماء بالجامع الاحمدى وكان متفردا في وقته وله من المصنفات ورقائق الاشعار وجلائل القصائد طويلة وغيرها في مدح سيدى ابراهيم الدسوقى وسيدى أحمد البدوى رضى الله عنهما وغير ذلك مما لايحصى وله من الثروة وسعة الايراد والشهرة التامة والحظوة والوجاهة عند الحكام وعظماء الناس ما لايقدر قدره توفى رحمه الله ودفن ببلده طندتا وخلفه في مشيخة العلماء بالجامع الاحمدى ولده العلامة السيد محمد القصبى وحصل له من الشهرة والوجاهة عند العظماء والاعيان ما كان لوالده وهو الآن اعنى سنة ثلثمائة وخمسة بعد الالف على ماهو عليه أطال الله بقاه ووفقه لما فيه رضاه ٭ وللمسجد أربع منارات في زواياه الاربع اثنتان كاملتان واثنتان مزمع على تكميلهما وله سبعة أبواب واحد بالضلع القبلى وآخر بالشرقى وثالث بالبحرى وأربعة بالضلع الغربى وله ميضأة متسعة جدا أكثر من عشر في عشر وحنفية حسنة ومرافق كثيرة وبينه وبين الميضأة أبنية متسعة ذات أود كثيرة معدة لاقامة المجاورين بها وله ساقية معينة بعد مائها عن سطح الارض في زمن الصيف عشرون مترا وتحت المرافق مجرى بمواسير من الرصاص لصرف الفضلات الى ترعة جعفرية القاصد تمتد نحو أربعمائة متر ومسطح الجامع بمرافقه أكثر من فدان ونصف وهو جامع عتيق وقد حصل هدمه والشروع في تجديده من مدة المرحوم عباس باشا الى أن تم على أحسن نظام في زمن الخديوى اسمعيل باشا وكان رسمه على هذا الوضع الجليل بنظر وملاحظة صاحب العلوم والمعارف والمحاسن واللطائف البالغ في فنون الرياضة منتهاها سعادة المرحوم بهجت باشا عامله الله بالاحسان وتغمده بالرحمة والرضوان وجميع مصارفه في البناء وغيره من أوقافه فان له أوقافا جمة لاتحصيها الا الدفاتر ٭ ثم مسجد البوصة وهو جامع عتيق يقال انه من زمن الصحابة له منارة وبابان ويقيم

بهجلة من طلبة العلم وفيه درس دائم وبه ضريح الشيخ محمد البهي فلذا يسمى شارعه بشارع البهي ومسجد الشيخ مرزوق بشارع سيدى مرزوق له منارة وبابان ومسجد الشيخ امام القصبي بدرب سيدى سالم بناه المذكور في أحسن نظام وجعل له ثلاثة ابواب بمنارة ومسجد عز الرجال وهو مسجد قديم بشارع دائر الناحية بالقرب من القنطرة ومسجد الشيخ مسعود بدرب سيدى مسعود ومسجد سيدى نوار شرقى البلد بجوار الجبانة ومسجد الشيخ حمزة بدرب الابشيهى ومسجد الغمرى في طرف البلد من الجنوب الشرقى وهو مسجد قديم به قبر سيدى سنبل ومسجد سيدى محمد البابلى وهو زاوية قديمة في درب الأثر وقد جدد الآن ومسجد الجبارين وهو زاوية صغيرة بدرب الجبارين ومسجد الصول وهو زاوية بالمنشأة الشرقية بقرب فرع دمياط من السكة الحديد جددها محمد غريب عمدة طندتا سابقا ومسجد سيدى مجاهد وهو زاوية بالمنشأة البحرية جددها خضر أفندى ناظر زراعة شفلك دار البقر ومسجد الشيخ على الفقيه وهو زاوية بدرب الغلال جددها محمد بيك المنشاوى * وبها كنيستان احداهما للاقباط جددت في هذا العهد وكان الصرف عليها من طرف الاقباط القاطنين هناك والمترددين عليها والثانية للأروام بنيت عام ألف ومائتين وأربع وتسعين وكان الصرف عليها من طرف الأروام المقيمين بها والمترددين عليها أيضا ومن أعظم قصورها ومنازلها الفاخرة كشك للخديوى ثم قصر لاسمعيل باشا صديق ناظر المالية سابقا في وسط منتزه من الرياحين وأشجار الفاكهة وقصر المرحوم حسين باشا صبرى ويتبعه جنينة ذات رياحين وفواكه أيضا وقصر المرحوم فاضل باشا وقصر هلال بيك وقصر عبد العال بيك وقصر محمد بيك الصيرفى وقصر محمد بيك جوده وقصر مصطفى بيك صبحى وقصر ديوان المديرية في جنوبها الغربى بشارع الدائر قريب من محطة السكة الحديد يحتوى على ديوان المديرية بجميع فروعه وعلى مجلس استئناف الوجه البحرى ومجلس الزراعة ومفتش الصحة وباشمهندس الغربية والمنوفية والمحكمة الشرعية الكبرى و بشارع الدائر أيضا ديوان الضبطية وفيه المجلس البلدى ومجلس الدعاوى وما يتبع ذلك ومنزل عمارة العشرى ومنزل ابراهيم أفندى عبد الحليم وهو انسان لطيف ظريف كامل الاخلاق على الهمة كريم النفس يحب العلماء ويكرمهم يميل بطبعه الى الادب علما وحالا وبعظم أهله متوسط الامر في الثروة منتظم في معيشته وحاله أكثر الله في المسلمين من أمثاله ومنزل الاستاذ الامام القصبي ومنزل حسن أفندى خطاب ومنزل مصطفى أفندى محمود الحكيم ومنزل الست مباركة ومنزل الخواجه أنطون الحلى ومنزل الشيخ مصطفى الخادم ومن أشهر بيوتها وأقدمها بيت الخادم وهم عائلة ينسبون لخدمة مقام سيدى أحمد البدوى من عدة أجيال وقد وقع لهم كما في تاريخ الجبرتى أن على بيك أرسل فقبض عليهم في ثامن عشر صفر سنة اثنتين وثمانين ومائة بعد الالف وصادرهم وأخذ منهم أموالا عظيمة وأخرجهم من البلدة ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الاحمدى وأرسل للحاج حسن عبد المعطى وقيده بالسدنة عوضا عنهم وشرع في بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسرية العظيمة وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحل واللصوص والسراق وضمان البغايا وغير ذلك وقد حصل لبيت الخادم في مدة الفرانساوية سنة ألف ومائتين وأربع عشرة ما هو أشد من ذلك وذلك أنه لما حضرت العثمانية وشاع أمر الصلح نزلت طائفة من الفرنسيس الى المنوفية وطلبوا من أهلها الكلفة لرحيلهم ومروا بالمحلة الكبيرة فتعصب أهلها واجتمعوا الى قاضيها وخرجوا لحربهم فكمن لهم الفرنسيس وقتلوا منهم ما ينيف على ستمائة ومنهم القاضى وكذا وقع لاهل طندتا لما دخل بعض الفرنسيس البلدة وتحزبهم أهلها وآذوهم أذى شديدا وطردوهم فغابوا ثلاثة أيام ورجعوا اليهم بجمع من عسكرهم فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليها المدافع والبندق ثم هجموا على البلد ودخلوها وبأيديهم السيوف مسلولة وطلبوا خدمة الضريح الاحمدى الذين يقال لهم أولاد الخادم وهم يومئذ ملتزمون بالبلدة ومتهمون بكثرة الاموال من قديم الزمان وكانوا قبل ذلك بثلاثة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة فأخذوهم الى خارج البلد وقيدوهم وأقاموا كذلك نحو خمسة أيام يأخذون كل يوم نحو ستمائة ريال سوى الاغنام والكلف ثم ارتحلوا وأخذوهم معهم وحبسوهم أياما بمنوف ثم نقلوهم الى الجيزة ولما انقضت أيام حرابتهم بمصر نزلت طائفة منهم الى طندتا وأخذوهم معهم وجعلوا عليهم احدا وخمسين ألف ريال وعلى أهل البلد مثل ذلك أو أزيد وأطلقوا بعضهم وحجزوا مصطفى الخادم لكونه صاحب الاكثر في الوظيفة والالتزام وطالبوه بالمال

مصطفى الخادم

ونوعوا عليه العذاب بالضرب حتى على كتفيه وربطوه فى الشمس وقت شدة الحر وهو رجل جسيم فخرجت له نفاخات ثم أخذوا الخليفة أيضا الى منوف ثم ردوه وولوه رآسة جمع الدراهم ووزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك واستمروا الى انقضاء العام حتى أخذوا عساكر المقام وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف درهم وفى الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان عشرة بعد المائتين والالف كان جاهين كاشف المرادى متعينا على مديرية الغربية لجمع الفرضة فجعل على أولاد الخادم ثمانين ألف ريال فحضروا ومعهم مفاتيح مقام سيدى أحمد البدوى وتشكوا من ذلك وقالوا لابراهيم بيك لم يبق عندنا شئ فان الفرانساوية نهبونا وأخذوا أموالنا وبعد ذلك حضر المحروقى من طرف محمد باشا العزتلى ونهب دارنا وأخذ منا نحو ثمانمائة ألف ريال ولم يبق عندنا شئ جملة كافة ذكر ذلك الجبرتى ولم يبين ما ترتب على تلك الشكوى وأشهر خاناتها التجارية خان المرحوم يعقوب بيك وأشهر وكالاتها التى تنزل بها الاعراب وكالة المرحوم محمد العجيزى بجوار حلقة القطن وابوراتها فوق اثنى عشر وابورا منها وابور لدائرة المرحومة والدة الخديوى اسمعيل ووابور الخواجة حص الانكليزى على ترعة جعفرية القاصد لحلج القطن وطحن الحبوب وسقى المزروعات ووابور الحاج محمد العجيزى لحلج القطن ووابور الخواجة نصر كذلك ووابور أحمد بيك المنشاوى ووابور الخواجة الارداحى ووابور الخواجة اسكندر مرسيناو ووابور الخواجة بخرنتوو ووابور الخواجة معوض ووابور الخواجة الضامانى ووابور اسمعيل باشا صديق وجميع هذه الوابورات مجعولة لحلج الاقطان ووابور الخواجة بلانط لحلج القطن وطحن الغلال ووابور الخواجة بستريه للطحن فقط وبساتينها نحو ستة فمنها بستان الحاج محمد العجيزى فيه أغلب أصناف الفواكه وبستان محمد بيك الصيرفى وبستان محمد الغريب وبستان الاستاذ القصبى وبستان الشيخ محمد أبى النجا شيخ الدلائل وبستان المعلم عبد الملك أفندى نسيم القبطى وكلها تشتمل على أنواع الفواكه والخضر وسواقيها معينة عذبة الماء نحو اثنتى عشرة ساقية عمقها من ثمانية أمتار الى تسعة فمنها ساقية محمد العجيزى وساقية محمد الغريب وساقية محمد بيك الصيرفى وساقية ورثة مصطفى أبى سنجر وساقية الامام القصبى وساقية الشيخ محمد أبى النجا وساقية الحاج أحمد البدراوى وساقية الجامع الاحمدى وساقية عبد الملك نسيم وساقية عبد الحق النجار وساقية رزق عبده القبطى وفيها حامان أحدهما تابع الوقف الاحمدى والآخر للشيخ مصطفى الخادم وفيها ثمانية صهاريج أعظمها صهريج الجامع الاحمدى عند بابه الغربى ثم صهريج على بيك عند الباب القبلى لذلك الجامع ثم صهريج الست مباركة فى شارع الدائر وفيها مقامات كثيرة من أولياء الله تعالى فمن ذلك مقام الشيخ سالم والشيخ العراقى الكبير والعراقى الصغير والشيخ الحولى وسيدى فريج وسيدى مضيها وسيدى نافع وسيدى خليل وسيدى عبد الحق وسيدى أبى الغيط وسيدى نوح وجميعهم من داخل البلد وحواليها غير من بجانبها وسوقها العمومى كل يوم اثنين يباع فيه الكثير من أصناف السلع كالانعام والخيل والبغال والحمير والملبوسات الحرير والقطن والجوخ والصوف وفروع العطارة وأصناف الحبوب والطيور والسمك وغير ذلك * ولنذكر لك طرفا من مناقب سيدى أحمد البدوى ومناقب تلميذه سيدى عبد المتعال تبركا وان كانت شهرتهما مغنية عن ذلك فنقول هو أبو الفتيان الملثم الشريف العلوى أبو العباس سيدى أحمد البدوى بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر بن اسمعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على الهادى بن محمد الجواد بن حسن العسكرى بن جعفر بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الامام على بن أبى طالب بن عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

وأمه فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله بن مدين بن شعيب من أكابر أهل الحسب كان مولده رضى الله عنه بمدينة فاس بالمغرب لان جده الشريف محمد الجواد بن حسن العسكرى انتقل اليها مع جمع من بنى عمه ومن يعز عليه من قومه أيام الحجاج حين أكثر القتل فى الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع ابوه قائلا يقول له فى منامه يا على انتقل من هذه البلاد الى مكة المشرفة فان لنا فى ذلك شأنا وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة وكان سيدى أحمد أصغر اخوته وهم ثلاثة ذكور هو ثالثهم وثلاث اناث قال الشريف حسن أخو سيدى أحمد رضى الله عنه فمازلنا ننزل على عرب ونرحل من

ترجمة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه

عرب فتلقونا بالترحيب والاكرام حتى وصلنا الى مكة المشرفة فى أربع سنين فتلقانا اشرافها كلهم وأكرمونا ومكثنا عندهم فى أرغد عيش حتى توفى والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة ودفن بباب المعلاة (وقبره هنالك ظاهر يزار فى زاوية) فأقمت أنا واخوتى وكان أحمد أصغرنا سنا وأشجعنا قلبا وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوى فأقرأته القرآن فى المكتب مع ولدى الحسين ولم يكن فى فرسان مكة أشجع منه وكانوا يسمونه فى مكة العطاب فلما حدثت عليه حالة الوله تغيرت أحواله واعتزل عن الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس الا بالاشارة ثم انه فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى فى منامه ثلاث مرات قائلا يقول له قم واطلب مطلع الشمس فاذا وصلت الى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر الى طندتا فان بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور أهله وسافر الى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيدى عبد القادر وسيدى أحمد الرفاعى قال سيدى حسن فلما فرغ من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدى بن مسافر والحلاج واضرابهما خرجنا قاصدين الى ناحية طندتا ومضينا الى أم عبيدة ثم ان سيدى حسن رجع الى مكة وذهب سيدى أحمد الى فاطمة بنت برى فسلبها حالها وكانت تسلب الرجال فتابت على يديه وكان يوما مشهودا ثم انه رأى الهاتف فى منامه ثانيا يقول له يا أحمد سر الى طندتا فانك تقيم بها وتربى رجالا وأبطالا عبد المتعال وعبد الوهاب وعبد المجيد وعبد المحسن وعبد الرحمن رضى الله عنهم أجمعين وكان ذلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة فدخل رضى الله عنه مصر ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعا دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط وذلك فى رابع عشر ربيع الاول سنة ستمائة وسبع وثلاثين فصعد الى سطح غرفته وكان طول نهاره وليله قائما شاخصا ببصره الى السماء وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر وكان يمكث الاربعين يوما وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ثم نزل من السطح وخرج الى ناحية فيشى المنارة فتبعه الاطفال فكان منهم عبد المتعال وعبد المجيد فورمت عين سيدى أحمد رضى الله عنه فطلب من سيدى عبد المتعال بيضة يعملها على عينه فقال وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك قال نعم فاعطاه اياها فذهب الى أمه فقال هنا بدوى عينه توجعه فطلب منى بيضة واعطانى هذه الجريدة فقالت ما عندى شئ فرجع فاخبره فقال اذهب فائتنى بواحدة من الصومعة فذهب سيدى عبد المتعال فوجد الصومعة قد ملئت بيضا فأخذ له واحدة منها ثم ان سيدى عبد المتعال تبع سيدى أحمد رضى الله عنه من ذلك الوقت ولم تقدر أمه على تخليصه منه فكانت تقول يا بدوى الشوم علينا وكان سيدى أحمد اذا بلغه ذلك يقول لو قالت يا بدوى الخير لكان أصدق ولم يزل سيدى أحمد على السطوح مدة اثنتى عشرة سنة وكان فى طندتا سيدى حسن الصائغ الاخنائى وسيدى سالم المغربى فلما قرب سيدى أحمد من مصر أول مجيئه من العراق قال سيدى حسن الصائغ ما بقى لنا اقامة صاحب البلاد قد جاء فخرج الى اخنا وضريحه بها مشهور الى الآن وأما سيدى سالم فسلم لسيدى أحمد وقبره فى طندتا مشهور وكان بطندتا صاحب الايوان العظيم المسمى بوجه القمر فنار عنده الحسد لسيدى أحمد فسلب وموضعه الآن بطندتا مأوى للكلاب وكان سيدى أحمد رضى الله عنه طويلا غليظ الساقين عبل الذراعين أكحل العينين كبير الوجه عظيم الوجنتين ولونه بين البياض والسمرة وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر الجدرى واحدة فى خده الايمن واثنتان فى الايسر اقنى الانف على أنفه شامتان من كل ناحية شامة أصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى جرحه به ولد أخيه الحسين فى الابطح حين كان بمكة فى صغره وكان فى حياته معظما معتقدا عند الناس محبوبا فيهم مشهورا فى الآفاق تعلوه هيبة ووقار وكان الملك الظاهر أبو الفتوحات بيبرس البندقدارى يعتقده ويبالغ فى تعظيمه وكان السيد قد أخذ طريق الصوفية عن الشيخ عبد الجليل ابن الشيخ عبد الرحمن النيسابورى فالبسه خرقة التصوف فأخذ عليه العهد كما تلقاه عن مشايخه واحدا عن واحد الى أنس بن مالك الصحابى رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان يأخذ الشيخ على مريده العهد والبيعة على الطاعة والمتابعة لكتاب الله وسنة رسوله والمحبة لله ولرسوله ويكون له عونا مرشدا فى الاعمال والاخلاق وسائر الاحوال فيكون الشيخ للمريد كالوالد الناصح الشفيق للولد المطيع وقد اتخذ سيدى أحمد الخرقة الحمراء شعاره وشعار أتباعه وقال لخليفته سيدى عبد المتعال اعلم انى اخترت هذه الراية الحمراء لنفسى فى حياتى وبعد مماتى وهى علامة لمن يمشى على طريقتنا من بعدى فقال له سيدى عبد المتعال فما شروط من يحملها قال شرطه ان لا يكذب ولا يأتى بفاحشة وان يكون غاض البصر عن محارم الله طاهر

الذيل عفيف النفس خائفا من الله تعالى عاملا بكتابه ملازما للذكر دائم الفكر وقد ورد في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس حلة حمراء وورد أيضا انه قدم لواء بني سليم يوم فتح مكة على الالوية وكان أحمر ومما روى عن سيدى أحمد عن الحسن البصرى قال ست مسائل من جواهر الحكمة أولها من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة في الدنيا ولا في الآخرة الثانية من لم يكن عنده حلم لم ينفعه علمه الثالثة من لم يكن عنده سخاء لم يكن له في ماله نصيب الرابعة من لم يكن عنده شفقة على عباد الله لم يكن له شفاعة عند الله تعالى الخامسة من لم يكن عنده صبر فليس له في الامور سلامة السادسة من لم يكن عنده تقوى فليس له منزلة عند الله تعالى وكان له رضى الله عنه امامان يصليان به وكان اذا جن الليل يقرأ القرآن الى الصباح ولم يزل كذلك الى ان توفي رضى الله عنه يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وستمائة وعمره عدد جمل قولنا (المدد) أعنى تسعا وسبعين سنة قال في الجواهر السنية لما توفي السيد رضى الله عنه عظموا قبره وبنوا عليه وسترووقام بأمر تلامذته من أصحابه الشيخ عبد المتعال فسموه خليفة السيد وعمر بعده طويلا نحو سبع وخمسين سنة واشتهر اتباعه الذين اجتمعوا به على السطح بالسطوحية وهم كثيرون جدا أكبرهم خليفته سيدى عبد المتعال وهو صاحب الثوب الاحمر الذى يلبسه الخليفة في المولد في كل سنة وهو الذى بنى مقام سيدى أحمد البدوى المنارة ورتب السماط وشيد اركان البيت وقصده الناس للزيارة من الاقطار البعيدة الى ان توفي يوم السبت الموافق لعشرين خلت من شهر ذى الحجة سنة سبعمائة وثلاث وثلاثين ودفن قريبا من قبة السيد في داخل المسجد وقال في الجواهر أيضا لما توفي السيد رضى الله عنه أحدث لهم بعد مدة عمل المولد النبوى عنده وصار يوما مشهودا يقصد من النواحى البعيدة انتهى ويؤخذ من كلامه ان أصل مولد السيد مولد النبى صلى الله عليه وسلم كان يعمل عنده ويدل لذلك ان وفاة السيد كانت في ثاني عشر ربيع الاول وهو وقت عمل المولد النبوى واعلم ان الليالى المعظمة في الملة الاسلامية سبع يقال لها الليالى المباركة وهى ليلة مولده عليه السلام وهى ليلة اثنى عشر من ربيع الاول على الصحيح وليلة الرغائب وهى ليلة الحمل به صلى الله عليه وسلم وهى ليلة أول جمعة من رجب وليلة المعراج وهى ليلة سبع وعشرين منه وليلة النصف من شعبان التى يفرق فيها كل أمر حكيم وتسلم المقادير فيها للملائكة الموكلين بالتصرف وليلة القدر التى يعبد الله فيها جميع المخلوقات حتى الجمادات وهى ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة عيد الفطر وهى أول ليلة من شوال وليلة عيد الاضحى وهى ليلة العاشر من ذى الحجة وسمعت من بعض المشايخ ان أصل عمل ذلك المولد أن أتباع السيد لما سمعوا بوفاته حضروا باتباعهم الى طندتا ليعزوا فيه خليفته سيدى عبد المتعال وكانوا كثيرين جدا متفرقين في البلاد وكانت طندتا وقتئذ قرية صغيرة لا تسع هذه الجموع فضربوا خيامهم خارجها حيث يعمل المولد الكبير وأقاموا في تلك الخيام ثلاثة أيام فلما أرادوا الرحيل شيعهم الشيخ عبد المتعال فقالوا له هذه عادة مستمرة نحضر ههنا كل عام في هذا الميعاد ان شاء الله تعالى الى ماشاء الله واستمرت هذه العادة فنشأ من ذلك المولد الكبير وكان في الاصل ثلاثة أيام ولم يزل يزداد الى ان وصل الى ما هو عليه الآن كما ان منشأ ركوب الخليفة الذى يكون في آخر المولد هو ركوب الشيخ عبد المتعال لتوديع هؤلاء المشايخ وأما منشأ المولد الصغير فهو أن الشيخ الشرنبلالى أحد مشايخ الطائفة الاحمدية حضر للزيارة مع تلامذته وأتباعه في غير وقت المولد فأقام هنالك لبالى في الاذكار والعبادات فاتخذ ذلك عادة كل سنة لان عادة أصحاب الطرق أنهم متى وقع لهم شئ مرة تخذوه عادة فلذا كان ذلك المولد يعرف في أول أمره بالمولد الشرنبلالى وأما المولد الرجبى فهو منسوب الى الشيخ الرجبى أحد مشايخ الطريقة الاحمدية حيث بدا له ان يجدد العمامة التى على مقام السيد فاتخذ لها مقدارا كافيا من الشاش المصبوغ باللون الاخضر وحضر به مع جماعته ومريديه ودخلوا طندتا في موكب من المشايخ والمريدين والفقراء فصار ذلك عادة الى الآن ويعرف ذلك المولد أيضا بمولد لف العمامة وتجدد فيه العمامة كل عام فصارت موالده ثلاثة وقررت مواعيدها بالشهور القبطية رعاية لاوقات النيل والرى ولا تتغير مواقيتها الا بأوامر من الحكومة حسب مقتضيات المصالح والذى عليه العمل الآن أن المولد الكبير في أول شهر مسرى والصغير في أول برمودة والرجبى قبل الصغير بنحو شهرين انتهى مختصرا بعضه من طبقات الشعرانى وبعضه من كتاب اعلام الدين وقد طارصيت المولد الكبير والصغير في الآفاق وهرعت اليهما الناس من كل فج فلا يفوقهما في الاحتفال والجمع غير موسم الحج الشريف بل لا يساويهما

مولده من موالد الدنيا فيما نعلم مع ما اشتملا عليه من أنواع المتاجر وكثرة الانفاق سيما بعد حدوث السكة الحديد فلها هناك محطة مزدحمة الى الغاية وفى أوقات الموالد يكون ازدحامها فوق الطاقة وأما المولد الرجبى فهو مولد مختصر بالنسبة لغيره كما يعرفه من رأى هذه الموالد * وممن نشأ من هذه المدينة من العلماء الاعلام وفضلاء الانام الحسن بن

ترجمة الشيخ حسن بن احمد الطنتدائى

احمد الذى ترجمه السخاوى فى الضوء اللامع حيث قال الحسن بن احمد بن محمد بن عثمان البدر أبو على الطنتدائى ثم القاهرى الشافعى المقرئ الضرير والد البهاء محمد وشقيقه أحمد ثم يحيى ولد فى سنة اثنتين وثمانمائة تقريبا بطنتدا وحفظ بها القرآن ثم تحول منها فى سنة تسع عشرة الى القاهرة فحفظ العمدة والشاطبية والفية مالك وعرض بعضها على شيخنا وعلى البساطى وابن مغلى والتلوانى وجمع للسبع على الشمس العاصفى وحضر فى الفقه عند القاياتى والونائى وأخذ عن الشمس ابن هشام فى العربية وقرأ على شيخنا فى البخارى حفظا الى أول الجنائز وكان يطلع الى الظاهر جقمق أحيانا لصحبة بينهما قبل السلطنة وميله اليه بحيث عمل له راتبا على الجوالى وربما أحسن اليه بغير ذلك وكان خيرا سليم الصدر منعزلا على التلاوة قانعا باليسير سيما بآخره متعففا انقطع ببيته مدة طويلة حتى مات فى شعبان سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وصلى عليه بباب النصر ودفن هناك رحمه الله وايانا انتهى * وممن نشأ منها أيضا الشيخ نور الدين

ترجمة الشيخ نور الدين الطنتدائى

الطنتدائى الذى ترجمه الشعرانى فى ذيل الطبقات فقال ومنهم الاخ الصالح العالم الزاهد الكامل الراسخ المحقق الشيخ نور الدين الطنتدائى رضى الله عنه صحبته نحو سبع وأربعين سنة فما رأيت عليه شيأ يشينه فى دينه وهو أول من صحبته بالجامع الازهر من أهله لم يزل من حين صحبته بحضرة الشيخ محمد الشناوى على تقوى وورع واشتغال فى العلم والعمل يأمر اخوانه بالمعروف وينهاهم عن المنكر لا يداهن أحدا منهم أخذ الطريق عن سيدى على المرصفى وعن الشيخ محمد الشناوى وغيرهما وأخذ العلم عن جماعة من مشايخ الاسلام كالشيخ ناصر الدين اللقانى والشيخ شهاب الدين الرملى حتى تبحر فى علوم الشريعة وأجازوه بالافتاء والتدريس فافتى ودرس فى جامع الازهر فى حياة أشياخه وكانوا يرسلون اليه الاسئلة فيجيب عنها بأحسن جواب وكان الشيخ شهاب الدين الرملى يقول بتحقيق المسائل الواقعة فى الدرس للشيخ نور الدين الطنتدائى وجمع أشتات المسائل للشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى وكان شيخنا الشيخ نور الدين الشونى يحبه ويجله ويكرمه أكثر من سائر أصحابه وأقرانه ولما افترى على بعض الحسدة أنى ادعيت الاجتهاد المطلق لاثنى غالب أصحابى وتكلموا فى عرضى الاهو وبعض المتورعين من طلبة العلم وكذلك لما دس بعض الحسدة فى مؤلفاتى كلمات تخالف ظاهر الكتاب والسنة بادر غالب الناس الى الكلام فى عرضى الاهو والشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى وبعض جماعة فجزاه الله عنى خيرا وعن المسلمين ولم يزل يحمل كلام الناس على أحسن المحامل ويقول اذا بلغوه عن أحد كلاما مرديا هذا كذب على فلان وحاشا فلانا أن ينطق بذلك وأعطاه محمد بن بغداد مالا جزيلا بحضرتى فلم يقبله فقلت له فرقه على الايتام والمجاورين بالازهر ففعل وما سمعته مدة صحبتى له يذكر أحدا من المسلمين بسوء ولا يحسد أحدا من أقرانه على وظيفة حصلت له فاسأل الله تعالى أن يزيده من فضله آمين انتهى ببعض حذف ﴿طهطا﴾ بطاءين مهملتين بينهما هاء وفى آخر الف لينة هكذا يستعملها العلماء فى كتبهم قديما وحديثا وتستعملها العامة والعلماء أيضا فى كلامهم بالحاء المهملة بدل الهاء وهو اسم لمدينة شهيرة بمديرية جرجا فى غربى البحر الاعظم بنحو نصف ساعة وهى رأس القسم الذى يلى مديرية سيوط وبها قاضى ولاية وضبطية وحكيم ومهندس وكان بجهتها البحرية وورشة أقمشة متسعة يبيع أكثرها للاهالى زمن المرحوم سعيد باشا وبنى فى محلها قصور وفى بعضها ديوان القسم والتلغراف بجميع لوازمه وكان فى شمالها الغربى قصر متسع للحكومة كانت تنزل فيه الصناجق بعساكرها بيع أكثره وجعل خانات وعصارات للزيت ومنازل وكان حواليها تلال شامخة أزيلت زمن العزيز محمد على وبنى الآن محلها قصور مشيدة ومنازل وخانات وقيساريات وأبنيتها من أعظم أبنية مدن الصعيد الآن حاراتها ضيقة ذات اعوجاج وفى وسطها قيساريات فى أحسن وضع وخانات كذلك وفيها أغلب أنواع البضائع المصرية وغيرها وأكثر أهلها تجار لا سيما فى الغلال فانهم يسلمون فيها قبل الحصول أهل البلاد المجاورة نحو الثلاثين قرية وفيها كثير من الجوامع المشيدة العامرة ذات المنارات وأشهرها وأعظمها مسجد سيدى أبى القاسم الحسينى وهو مسجد جامع عتيق متسع بمنارة مقام الشعائر دائما عامر بالصلاة واقراء العلم وقد هدمه

هدمه وأعاده سعادة الامير عبد اللطيف باشا بعد سنة سبعين ومائتين بعد الالف فجعله من أحسن مساجد الصعيد وجعل عمده من الآجر المنحوت الاسود وفرش أرضه بالبلاط النفيس وجعل ميضأته أكثر من عشر في عشر مغطاة بسقف من الخشب المخروط وعمل به حنفية على شكل جميل وجعل فوقها مكتبا ومئذنة توقد في رمضان فيثبت بها الصوم على البلاد المجاورة ويليه الجامع العتيق في جهتها الشرقية جددته الآن الاهالى وهو جامع متسع مقام الشعائر ثم الجامع الانى بجبانتها وهو أيضا متسع مقامة شعائره من طرف السيد رفاعة عنبر أحد مشاهيرها ثم جامع الشيخ موسى وفيه ضريحه ثم جامع الشيخ طه وفيه ضريحه أيضا ثم مسجد ابن الرضى كذلك وجامع الكشكى وجامع الشيخ نصير وفيه ضريحه وغير ذلك وأكثرها يقرأ فيه دروس العلم سيما في العشر الاواخر من رمضان فلهم عادة ان يقرأ في كل ليلة من افرادها درس في مسجد وأكثر وبها حمام أنشأه سعادة الباشا المذكور وله فيها أيضا قصر يشبه قصور المحروسة وأبنية كثيرة للوازم دائرته التى بها وفي شرقيها على الجسر الموصل الى ساحلها طاحونة بآلة بخارية وقصر يشبه قصور القاهرة كلاهما من انشاء موسيو بيودوه الفرنساوى وشركائه وفيها كثير من الاشراف من ذرية سيدى أبى القاسم وهم أكابرها من عدة أجيال ولهم فيها منازل مشيدة ومضايف وكانت لهم مرتبات من بيت المال واسعة نحو الالف اردب كل سنة وكان منهم السيد على عابدين رئيس عرب هوارة بلاد طهطا وداره بجوار مشهد جده أبى القاسم وهى دار متسعة مشيدة فى أجمل هيئة وهى أول بناء شيد فى هذه المدينة ومن ذريته نقيب أشرافها الآن حضرة السيد أحمد عابدين ومنهم الآن الاجل الفاضل السيد محمد عبد العزيز رافع من أقارب المرحوم رفاعة بك الآتى ذكره قد اجتمع له الدين والدنيا ومكارم الاخلاق وتولى الافتاء مدة ببندر اخميم ثم طهطا ثم اقتصر على اشتغاله بشأن نفسه من أمر دينه ودنياه مع وظيفة نظر جامع جده أبى القاسم وضريحه فله التكلم على خدمته وايراداته من نذور وخلافها وله ايضا من احد هماله وظيفة نقابة أشراف تلك الجهة بعد أن جاور بالازهر مدة والآن منهمك فى طلب العلم مع النجابة الزائدة وفيها أشراف من غيرهم أيضا وبيت من الانصار كلهم علماء من عدة أجيال من أهل التدريس والتأليف كالشيخ عبد العزيز الانصارى ناظم متن القطر وأخيه الشيخ فراج العالم الربانى الورع الزاهد كان يواسيه ابن أخيه الشيخ على القاضى بماله فيرده لما فيه من الشبهة ولا يقبل منه الا الوقود ويقول هو من النار الى النار وكالشيخ عبد الصمد أخيه أيضا كان يقرأ بطهطا كبار الكتب كجمع الجوامع ومختصر السعد وقد ماتوا جميعا فى أوائل هذا القرن ومنهم القاضى وأبوه من قبله الشيخ على ابن الشيخ محمد الفرغلى كان قرين الشيخ ابراهيم البيجورى شيخ الازهر توفى قبيل سنة ثمانين من هذا القرن وفيها علماء من غيرهم أيضا وفيها بيت من مشايخ عرب جهينة يسمى بيت الكشكى وهو بيت عمدتها الى الآن وبيت أولاد عنبر افندى قاضى مدينة سيوط سابقا وله مضيفة مشهورة وتنزل عندهم الحكام والامراء وأحدهم رفاعة عنبر من نواب الشورى وفيها عائلة تسمى القلتية اشتهر أكثرها بافادة العلوم واستفادتها جيلا بعد جيل وكان الواحد منهم اذا كتب اسمه على صك شرعى أعقبه قاضيا او مفتيا بقوله المشهور نسبه الكريم بابن القلتى ولهم ما ترجمة منها عدة من المساجد المعمورة بذكر الله تعالى الى الآن وخزانة كتب وكانوا يتعيشون من محصولات رزقهم المعطاة لهم من قبل ملوك عصرهم بمقتضى فرمانات سلطانية تناولتها أيدى الضياع أو مما عاد اليهم من الميراث الشرعى عن أسلافهم ومنهم المرحوم العلامة الشيخ مسعود شارح خمرية ابن الفارض التى مطلعها * شربنا على ذكر الحبيب مدامة * الخ ونجله المرحوم الفاضل الشيخ عبد الرحيم مفتى السادة الشافعية ونائب الاحكام الشرعية بها والمرحوم الفاضل الشيخ أحمد الرفاعى مفتى السادة المالكية بها أيضا ❁ ومنهم نابغة عصره ونادرة مصره العلامة الفاضل والرحلة الكامل الشيخ أحمد عبد الرحيم ولد بطهطا فى السادس والعشرين من شهر ذى الحجة ختام سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف من هجرة خير الانام صلى الله عليه وسلم وتربى فى حجر والده المرحوم الشيخ عبد الرحيم السابق ذكره وحفظ القرآن وهو ابن تسع وفى هذه المدة لم يخل من استفادة أحكامه مع تعلم الاملاء والخط فى اللوح ثم اشتغل بحفظ المتون مستصحبا الاستفادة فوائد عربية وقواعد ابتدائية حتى جذ والده الريح الاصفر فى سنة سبع واربعين فانتقل الى الرفيق الاعلى وسيرته يعبق منها المسك الاذفر فنظمه قاضى طهطا المرحوم السيد سليم فى سلك محكمتها

حسابي والديه عليهم اصحاب الرحمة حتى تعلم صناعة الكتابة وانشاء الصكوك ومعرفة الاحكام الشرعية والرقوم الحسابية ثم دخل في كفالة عمه المرحوم الشيخ أحمد الرفاعي المتقدم ذكره فبعث به الى الازهر ولم يأل جهدا في تحصيل العلوم حتى عاد الى بلده بسبب طاعون بعد ان تلقى أغلب الكتب المتداول قراءتها في مذهب سيدنا ومولانا الامام الشافعي رضي الله تبارك وتعالى عنه وربما أفتى في ذلك الوقت من استفتاه باقرار مفتي بلده ثم عاد الى الازهر وقرأ فيه صعاب الكتب كالعقائد النسفية بحواشيها وآداب البحث في علم المناظرة وغيرهما من العلوم النقلية والعقلية بعد اجازة أشياخه له بجميع مروياتهم وكتابتهم له على ثبتي خاتمة المحققين الشيخ الامير والشيخ الشنواني وفي سنة خمس وخمسين اندرج في مدرسي المدرسة التجهيزية لتعليم النحو والصرف وربما قرأ فيها آخر السنة رسالة كلامية ونظم منظومته الصرفية المشروحة بشروح أكبرها شرح المرحوم الامام الشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالديار المصرية ثم التحق بمدرسة الالسن وقرأ فيها للتلامذة الانجاب النحو والبيان والبديع والمنطق والعروض والقوافي والتوحيد وجمعوا منه أدبيات نثرية وشعرية كانشاء العلامة الشيخ العطار والشيخ مرعي ودواوين ابن معتوق والصفي وابن الفارض وحال قراءته لهم شرح الشيخ عبد السلام على جوهرة أبيه في علم الكلام أفرد قولة الدور والتسلسل التي في حواشي الامير المشهورة بالصعوبة على كل نحرير بشرح لطيف سماه نهاية القصد والتوسل في فهم قولة الدور والتسلسل طبع في المطبعة العامرة الاميرية ببولاق وله ديوان مدائح نبوية مترتب على حروف المعجم يسمى درّ الشرف المنظم في مدح النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم كل قصيدة منه زهاء خمسين بيتا ومن مؤلفاته المفيدة رسالة في علمي العروض والقوافي وله مقطعات كثيرة ثم انتقل الى مدرسة المهندسخانة فألف فيها جملة من الرسائل النحوية أخصرها النقطة الذهبية في علم العربية ثم التحق بمدرسة الحربية وألف فيها شرحا لطيفا على الآجرومية ثم قلد بوظيفة محرر أول للوقائع المصرية مع مباشرة أعمالها في منزله بمشاركة شقيقه الفاضل العلامة الكامل الشيخ محمد عبد الرحيم محررها الثاني وأحد المدرسين بالازهر ثم لزم بيته الى أن انتقل الى الرفيق الاعلى وهو صائم في ضحى يوم الاثنين السابع عشر من رمضان سنة ١٣٠٢ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية وكان علي الهمة عفيف النفس شريفها سخي اليدين طلق الوجه يؤثر من قصد بيته على نفسه مع شدة اضطرار رحمه الله رحمة واسعة * ومنهم العلامة الاكمل والنهامة الامثل الشيخ أحمد ابن المرحوم الشيخ احمد الرفاعي قاضي مديرية جرجا الآن وهو أول من تقلد بوظيفة القضاء من هذه العائلة وأصل هذه العائلة من أشراف ساقية قلتة في بحري اخميم ونسبهم من جهة الام ينتهي الى سيدي أبي القاسم الطهطاوي عمت بركاته وتوالت امداداته وبها مشايخ طرق وسجادات وفيها كثير من الاقباط والافرنج ولهم فيها كنائس ومكاتب وأشهر تجارها وأكثرهم مالا وأملاكا عائلة الخواجه بيبي رزق الله فان لهم قصورا مشيدة تشبه قصور مصر في دائر البلد ودواخلها سيما في محل الفورية و وكائل ودكاكين وقهاو ومعاصر ولهم جنات وبساتين شرقي البلد بكثرة ولغيرهم أيضا بساتين كذلك وفيها كثير من مقامات الاولياء التي تزار وأكثرها في جبانتها في الجهة الجنوبية وهي جبانة متسعة مسورة وممن بها من الاولياء الشيخ رفاعة رئيس الالف وأشهر الجميع سيدي أبو القاسم مقامه في وسط جامعه المتقدم ذكره ومناقبه أشهر من ان تذكر وقد ذكر نبذة منها الامام محيي الدين يحيى الدمياطي في كتابه الذي ذكر فيه مناقب الاولياء بالوجه القبلي وله مولد يعمل كل سنة مع مولد النبي صلى الله عليه وسلم فيمكث اثني عشر يوما يجتمع فيه ما يجتمع في الموالد المشهورة أحدثه سعادة عبد اللطيف باشا

ترجمة رفاعة بك

* ومن ذريته الامير الجليل المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوي ناظر مدرسة الالسن سابقا ولد رحمه الله سنة ١٢١٦ هجرية ونشأ في عز والده الى أن أخذت الالتزامات من العلماء والاشراف فاضطر والده الى المهاجرة من طهطا الى بلد أقاربه بمنشأة النيدة المعروفة ببيت أبي قطنة وهناك حفظ أكثر القرآن الشريف ثم توفي والده رحمه الله السيد بدوي فرجع الى طهطا وهناك قام بتربيته أخواله وهم بيت علم من الانصار الخزرجية فحفظ المتون وحضر بعض الكتب عليهم فقها ونحوا وأغلب تربيته الازهرية كانت على العلامتين الفاضلين الشيخ الفضالي والشيخ حسن العطار فتخرج عليهما في سائر العلوم العربية حتى صار أهلا للتدريس فدرس في الازهر مدة نحو السنتين وكان له

رحمه الله تعالى منزلة خاصة عند الشيخ حسن العطار فكان يشترك معه فى الاطلاع على الكتب الغريبة التى لم تتداولها أيدى علماء الازهر وقد اتفق ان المرحوم محمد على باشا صاحب الديار المصرية عليه سحائب الرحمة بعث بجملة من أبناء أكابر الحكومة المصرية وغيرهم لتعلم العلوم الاوروباوية بمدينة باريس وطلب من الشيخ العطار ان ينتخب لهم اماما من علماء الازهر فيه الاهلية واللياقة فاختار تعيين صاحب الترجمة لتلك الوظيفة فتوجه مع تلك الارسالية الى باريز وأوصاه شيخه المومى اليه قبل سفره بان يفيد بلاده بعمل رحلة تجمع ما عليه المملكة الفرانساوية عموما وتضبط أحواله خصوصا فعمل رحلته المشهورة المسماة تخليص الابريز المطبوعة مرارا وشرع حين ركوب الباخرة من الاسكندرية فى تعلم مبادئ اللغة الفرانساوية بهمة عالية وعزيمة صادقة واتخذ له بعد وصوله الى باريز معلما خاصا على نفقته ومالبث فى هذه البلاد حتى عرفه أعاظم العلماء وأكابرهم وكان للعالم الشهير موسيو جومار عليه فضل التعهد بالارشاد والتعليم والمحبة الخصوصية وقد ساعده مساعدات جمة فى هذه البلاد وكذلك حاله مع العالم الشهير البارون دساسى هذا وفى مدة اقامته بباريز التى هى من سنة ١٢٤١ الى سنة ١٢٤٦ كان قد نبغ فى العلوم والمعارف الاجنبية وعلى الخصوص فى فن الترجمة فى سائر العلوم على اختلاف اصطلاحاتها من حيث الاستعمال والمفردات وأكب كل الاكباب على ادامة النظر واستعمال الفكر والحرص على التحصيل والاستفادة ولم تؤثر اقامته بباريز أدنى تأثير فى عقائده ولا فى أخلاقه وعوائده واستمر على اجتهاده وترجم فى مدة اقامته جملة رسائل وكتب منها قلائد المفاخر فى غريب عوائد الاوائل والاواخر المطبوع بمطبعة بولاق ونستغنى فى هذا المقام عن استقراء حالته فى باريز بما ذكره فى رحلته السالف ذكرها وبعد انتهاء رحلته وحصول بغيته استقدمه المرحوم محمد على باشا الى مصر مع رفقته وعند وصوله الاسكندرية حظى بمقابلة المرحوم ابراهيم باشا أكبر أنجال المرحوم المشار اليه وسأله عن بيت آبائه بطهطا بعد أن عرف انه من ذريتهم وكان للمرحوم ابراهيم باشا معرفة بهم ولهم به انتماء خاص فوعده بادامة الالتفات اليه واستمر الى أن توفى المرحوم ابراهيم باشا وقد أقطعه فى خلال هذه المدة حديقة نادرة المثال فى الخانقاه تبلغ ٣٦ فدانا وتوجه صاحب الترجمة من ثغر الاسكندرية الى القاهرة فتشرف بمقابلة المرحوم محمد على باشا ورأى من ميله اليه ما حمله على الثقة بنجاح المبدا والنهاية وعين بأمره العالى مترجما فى مدرسة طرا تحت رياسة ناظرها كلوت بك الفرانساوى فترجم كتبا عديدة وفى أثناء ذلك حل وباء فى القاهرة فسافر صاحب الترجمة الى بلده ثم رجع وقابل الجناب العالى بترجمة جزء ضخم من جغرافية ملطبرون ترجمه فى تلك المدة فانعم عليه بمبلغ جزيل من النقود ثم عرض للجناب العالى أن فى امكانه أن يؤسس مدرسة ألسن يمكن أن ينتفع بها الوطن ويستغنى عن الدخيل فاجابه الى ذلك ووجه به الى مكاتب الاقاليم لينتخب منها من التلامذة ما يتم به المشروع فأسس المدرسة وفى المدة المعينة امتحنت فى اللغة الفرنساوية وفى غيرها من العلوم المدرسية فظهرت نجابة تلامذتها ثم تشكل بها قلم ترجمة وترقت فيه التلامذة الى الرتب السنية وترجم فيه كثير من الكتب على اختلاف العلوم والفنون والمواضيع وكان لهذه المدرسة معلمون أفاضل أجنبيون ووطنيون فمن الوطنيين العلامة الشيخ محمد الدمنهورى والعلامة الشيخ على الفرغلى الانصارى (ابن خال صاحب الترجمة) والعلامة الشيخ حسنين حريز الغمراوى والعلامة الشيخ محمد قطة العدوى والعلامة الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوى والشيخ عبد المنعم الجرجاوى ولا يحضرنا من الاجانب غير اسم موسيو أوزير وكان مقر تلك المدرسة بالسراى المعروفة ببيت الدفتردار حيث لوكاندة شبرد الآن بالازبكية وكان لهذه المدرسة مدرسة تجهيزية هى أيضا تحت رياسته وكان خوجاتها من تلامذته من مدرسة الالسن وأحيل عليه تفتيش مكاتب الاقاليم عموما وتفتيش مدارس الخانقاه وأبى زعبل أى مدارس الانجال وغيرهم وكان دأبه فى مدرسة الالسن وفيما اختاره للتلامذة من الكتب التى أراد ترجمتها منهم وفى تأليفاته وتراجمه خصوصا أنه لا يقف فى ذلك فى اليوم والليلة على وقت محدود فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء أو عند ثلث الليل الاخير ومكث نحو ثلاث أو اربع ساعات على قدميه فى درس اللغة أو فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الاجنبية وله فى الاولى مجاميع لم تطبع وكذلك كان دأبه معهم فى تدريس كتب فنون الادب العالية بحيث أمسى جميعهم فى الانشاآت نظما ونثرا أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم ومع ذلك كان هو بشخصه لا ينترعن الاشتغال بالترجمة

أو

أوالتأليف وكانت مجامع الامتحانات لاتزهو الابه وقد ذكر العالم الفاضل المرحوم السيد بك صالح مجدي أحد تلامذته في ترجمة أحواله التي سماها حلية الزمن بسيرة خادم الوطن نسبه الحسيني الشريف وذكر كثيرا من أحواله وعدد تلامذته وقسمهم الى ثلاث طبقات كانوا رجال العصر وغرة الدهر فضلا ونبلا فمن شاء فليراجع أسماءهم هناك وقد أمضى مدة حياته الى آخر مدة المرحوم سعيد باشا في سبيل التعليم ادارة وعملا هو وتلامذته ثم من بعد تلك المدة واقتصاره على نظارة قلم الترجمة وعضوية قومسيون المعارف في عهد حضرة الخديو اسمعيل باشا قام في كثير من المدارس بهذه الخطة عينها وله في المرحوم محمد علي ونجله الاكبر ابراهيم باشا المدائح التي سارت بها الركبان منها قصيدته اللامية التي مطلعها

ملا الكون بشرا عدله واعتداله * وأغنى البرايا بره ونواله

وهي التي يتوزن فيها تلو يحا بلد الممدوح

منازل منها اسكندر فاتح الورى * اذا لم يكن عم الامير فخاله

وقصيدته النونية التي قالها وهو في باريس ومطلعها

ناح الحمام على غصون البان * فأباح شيمة مغرم ولهان

ومنها يتذكر أولاده وعائلته

أبكي بعيني مهجتي لفراقهم * وأود أن لاتشعر العينان

ومنها وقد كان قائما باعباء الحروب اذذاك نجل الممدوح المشار اليه

في كفه سيفان سيف عناية * والشهم ابراهيم سيف ثاني

ثم ألغيت المدرسة في مدة المرحوم عباس باشا واستقر رأى المجلس الخصوصي على انشاء مدرسة في السودان للاحتياج لها هناك فاختير المترجم ناظرا عليها وعينت ضباطها وخوجاتها وجميع مايلزم لها وصدر الامر العالي بالتنفيذ وان يكون محلها مدينة الخرطوم فلما وصل اليها أنشأ المدرسة ورتبها أحسن ترتيب وأدارها أحسن ادارة وكان ذلك أواخر سنة ١٢٦٥ هجرية وقد ترجم هناك كتبا منها كتاب تلماك المطبوع في الشام وأنشأ قصيدته التي مطلعها

ألا فادع الذى ترجو وناد * يجبك وان تكن في أي ناد

بنو الآداب اخوان جميعا * واخدان بمختلف البلاد

وهي مطبوعة في كتابه مناهج الالباب وخمس قصيدة من قصائد سيدي عبد الرحيم البرعي وهي التي مطلعها * خل الغرام لصب دمعه دمه * ومطلع التخميس

تبدى الغرام وأهل العشق تكتمه * وتدعيه جد الامن يسلمه

ماهكذا الحب يامن ليس يفهمه * خل الغرام لصب دمعه دمه

* حيران توجده الذكرى وتعدمه *

ولم يزل مكبا على شغله الى أواخر عام ألف ومائتين وسبعين فعاد الى مصر بامر من المرحوم محمد سعيد باشا حين ولايته على مصر وبعد رجوعه من السودان جعل عضوا ومترجما في مجلس المحافظة تحت رياسة المرحوم أدهم باشا ثم جعل ناظرا ثانيا للمدرسة الحربية التي كانت بالحوض المرصود تحت نظارة سليمن باشا الفرنساوي وبعد قليل أمر بعمل قوانين ونظامات لمدرسة مستقلة أريد انشاؤها وجعل مقرها بالقلعة العامرة تكون كافلة للعلوم الادبية وافية بالفنون المدنية فبذل همته في ذلك وراعى في نظاماتها مايجذب خواطر الاهلين الى تلك المدرسة ورتب لها من المعلمين كل من له به ثقة من أهل العلم والمعرفة التامة المتدربين على تعليم العلوم وافادتها ومن الموظفين ذوي الاجتهاد مافيه الكفاية وأدارها ادارة جيدة حتى ظهرت نجابة تلامذتها واستفادتهم استفادة جيدة في أقرب وقت ولرغبته في نشر العلوم وسعة دائرتها وحبه عموم النفع بها استدعى مع بعض أمراء الحكومة المصرية من المرحوم سعيد باشا وكان له ميل الى المترجم رحمه الله صدور الامر بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة عم الانتفاع بها في الازهر وغيره منها تفسير الفخر الرازي ومعاهد التنصيص وخزانة الادب والمقامات الحريرية وغير ذلك من الكتب

التى كانت عديمة الوجود فى ذلك الوقت فطبعت ولده ترجم فى مدح المرحوم سعيد باشا من القصائد والمربعات والمخمسات والتواشيح والادوار الكثير الطيب مما هو محفوظ فى الصدور ومرقوم فى السطور وقد أنعم عليه المرحوم محمد على باشا بجملة من الاطيان قدرها ٢٥٠ فدانا ببلده طهطا وانعم عليه المرحوم سعيد باشا بمبلغ ٢٠٠ فدان والخديوى اسمعيل باشا بمبلغ ٢٥٠ جملة ذلك ٧٠٠ فدان واشترى هو ٩٠٠ فبلغ جميع ما فى ملكه من الاطيان الى حين وفاته ١٦٠٠ فدان غير ما اشتراه من العقارات العديدة فى بلده وفى القاهرة وقد زاد على ذلك انجاله فبلغ مجموع أطيانهم ٢٥٠٠ فدان غير ما جددوه من الاملاك وكانت له رحمه الله عناية كبيرة باقتناء الكتب فاشترى الكثير النادر منها حتى ان كتبه تبلغ بما اشتراه أولاده نحو ٤٥٠٠ كتاب وفيها من الكتب العربية الغربية ما ليس فى غيرها توفى الى رحمة الله تعالى عام نيف وتسعين ومائتين وألف بالمحروسة ودفن بالقرافة الكبرى فى بستان العلماء وقد اعقب ابنين جليلين غير الاناث لازما الازهر مدة واقتبسا من معارف والدهما فكانا على غاية من المعارف والادبيات ومحاسن الشيم مع الكرم الزائد كوالدهما وأحدهما وهو على بيك فهمى أنعم عليه بالرتبة الثانية أعنى رتبة بيك وكان قد تقلد وكالة نظارة المعارف العمومية المصرية وقد أكمل ما تركه والده من التاريخ على اسلوبه وله اقتدار على النثر والنظم البليغين فينشئ على الارتجال من غير تكلف على أسلوب والده وتلوح عليه امارات الترقى الى رتبة والده وأما ابنه الآخر وهو بدوى بيك فقيم بطهطا فى ملاحظة دائرتهم التى هناك مع ادامة مطالعة العلوم

* ومنها جملة من مستخدمى الميرى أرباب الرتب فى مصر وغيرها مثل أحمد بك عبيد أحد قضاة مجالس الحقانية سابقا وعبد الجليل بك أحد رجال المعية الخديوية سابقا وجميعهم بسبب نعمتهم السيد رفاعة بك فانه أدخلهم المكاتب أول انشائها ثم أدخلهم المدارس فتربوا بها وسافر أحمد بك عبيد الى بلاد أوروبا مرارا * وممن نجب منها الامام الهمام السيد الطهطاوى محشى الدر المختار وقد ترجمه الجبرتى فقال هو الامام العلامة والحبر الفهامة السيد احمد الطحطاوى ابن محمد بن اسمعيل من ذرية السيد محمد الدوفاطى الطحطاوى الحنفى والده رومى حضر الى مصر متقلدا القضاء بطحطا بلدة بالقرب من سيوط بالصعيد الادنى تزوج بامرأة شريفة فولدله منها المترجم وأخوه السيد اسمعيل ولم يزل مستوطنا بها الى أن مات وترك المترجم وأخاه وأختا لهما حضر المترجم الى مصر فى سنة احدى وثمانين ومائة وألف بعد أن حفظ القرآن ببلده وقرأ شيأ من النحو فدخل الازهر ولازم الحضور على أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الحماقى والمقدسى والحريرى والشيخ مصطفى الطائى والشيخ عبد الرحمن العريشى وتوجه مع الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن أمر على بك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف وتلقى الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوى والشيخ محمد الامير والشيخ العدوى وتصدر للتدريس والافادة وكان مسكنه بناحية الصليبة وجلس للاقراء بالمدرسة الشيخونية واحتف به سكان تلك الناحية من الاكابر والاعيان ولازم الحالة المحمودة من الافادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة فنودى لوقف الشيخونية وايرادها واستخلاص أماكنها وشرع فى تعميرها وساعده على ذلك كل من كان يحب الاصلاح فجدد عمارة المسجد وأنشأ بالمدرسة صهريجا وفى أثناء ذلك انتقل باهله الى دار مليحة بجوار المسجد بالدرب المعروف بدرب الميضأة ووقفها بانيها على المسجد ولما عمر محمد افندى الودنلى الجامع المجاور لمنزله تجاه القنطرة المعروفة بقنطرة عمارشه والمكتب قرر المترجم فى درس الحديث بالجامع المذكور كل يوم بعد العصر وقرر له عشرة من الطلبة ورتب له وللطلبة معلوما وافرا يقبض من الديوان ولما مات الشيخ ابراهيم الحريرى تعين المترجم لمشيخة الحنفية فتقلدها على امتناع منه فاستمر بها الى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا لما كتب المشايخ فى شأنه عرضحالا الى الدولة نسبوا اليه فيه أشياء منها انه أخذ من الالفى فى السابق مبلغا من المال ليملكه مصر فى أيام فتنة أحمد باشا خرشد ومنها انه كاتب الامراء المصرية فى وقت الفتنة بينهم وبين العزيز محمد على باشا حين كانوا بالقرب من مصر ليحضروا على حين غفلة فى يوم قطع الخليج وحصل لهم ما حصل ونصر الله عليهم سعادة الباشا ومنها انه أراد ايقاع الفتن لينقض دولة الباشا ويولى خلافه ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة وأخلاط العوام وغير ذلك وكتبوا عليه أسماء كثير من المشايخ فامتنع البعض وحصل بينهم منافسات ومخالفات وكان المترجم من الممتنعين فزادوا فى التحامل عليه خصوصا الشيخ السادات والشيخ الامير وخلافهما

ترجمة السيد احمد الطهطاوى محشى الدر

واتفق انه دعى الى وليمة عند الشيخ الشنوانى بحارة حوش قدم وتأخر حضوره عن المشايخ فصادفهم حال دخوله خارجين فسلم عليهم ولم يصافحهم لما سبق منهم فى حقه من الايذاء فتطاول عليه ابن الشيخ الامير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه لم يقبل يده والده ثم اتفق بعد ذلك الاشياخ وانتصدرون على عزله من افتاء الحنفية وأحضروا الشيخ حسين المنصورى وركبوا وصحبته بعد أن مهدوا القضية فألبس القائم مقام الشيخ حسينا فروة ثم نزلوا وطافوا وللسلام عليه وخلعوا عليه الخلع فلما بلغ المترجم ذلك طوى الخلع التى كانوا ألبسوها له عند تقليده بالافتاء بعد موت الشيخ ابراهيم الحريرى وأرسلها لهم وكان الشيخ السادات ألبسه حين ذاك فروة فلما ردها عليه احتد واغتاظ وأخذ يسبه ويذكر بلسانه جرمه ويقول انظروا الى هذا الخبيث كأنه جعلنى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه واعتكف المترجم فى داره لا يخرج منها الا الى الشيخونية بجواره واعتزلهم وترك الخلطة بهم وتباعد عنهم وهم يبالغون فى ذمه والحط عليه لكونه لم يوافقهم ثم لما مات الشيخ حسين المنصورى أعيد الى مشيخة الحنفية وذلك غرة شهر صفر سنة ثلاثين ومائتين وألف ولبس الخلع من الشيخ الشنوانى شيخ الازهر ولم يختلف عليه اثنان ومات ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف وله من المآثر حاشية على الدر المختار شرح تنوير الابصار فى أربع مجلدات جمع فيها المواد التى على الكتاب وضم اليها زيادات وحاشية على شرح مراقى الفلاح فى مجلدين انتهى وأقاربه الآن بطهطا مشهورون ومنهم علماء وفى الجبرتى أيضا ان محمد افندى الودنلى المار الذكر هو الاجل

ترجمة محمد افندى الودنلى

المكرم المهذب فى نفسه النادرة فى أبناء جنسه محمد أفندى الودنلى الذى عرف بناظر المهمات ويعرف أيضا بطبل أى الاعرج لانه كان به عرج قدم الى مصر فى أيام قدوم الوزير يوسف باشا وولاه محمد باشا خسرو كشوفية أسيوط وفى ولاية العزيز محمد على باشا جعل ناظرا على مهمات الدولة وسكن بيت سليمان أفندى ميسو بعطفة أبى كلبة بناحية الدرب الاحمر فتقيد بعمل الخيام والسروج والبيارق ولوازم الحرب فضاقت عليه الدار فاشترى بيت ابن الدالى بالعبودية وهى دار واسعة متخربة هى وماحولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ورتب بها ورشات للاشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف طوائف العسكر الطوبجية والرماة وعمر ماحول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ومكتبا لاقراء الاطفال ورتب فى المسجد تدريسا قرر فيه الشيخ أحمد الطهطاوى المذكور ومعه عشرة من الطلبة ورتب لهم ألف عثمانى تصرف لهم من الرزنامة خلاف ماللاطفال من الكسوة وغيرها وفى عيد الاضحى يشترى جواميس وكباشا يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين ويرسل الى أصحابه كباشا يذبحونها فى بيوتهم على قدر مقاديرهم من كبش أو كبشين ويرسل كل ليلة من رمضان عدة قصع مملوأة بالثريد واللحم الى فقراء الازهر واتفق ان الباشا قصد تعمير المجراة والسواقى التى كانت تنقل الماء من النيل الى القلعة وكانت قد تهدمت وبطل عملها سنين فهول عليه المعمارجية أمرها وقالوا انها تحتاج الى خمسمائة كيس فى عمارتها فعرض ذلك على المترجم فقال أنا أعمرها بمائة كيس بل بثمانين وشرع فى عمارتها فاتمها على ماهى عليه الآن وعمر أيضا عدة سواق وأجرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها فرخص الماء وكثر فى تلك الاخطاط وكانوا قد قاسوا الشدة من عدم الماء عدة سنين ومن مآثره الحميدة أنه سعى عند الباشا بابطال ما كان يفعله الفلفات المتقيدون بالمراكز وأبواب المدينة من المظالم والسلب فانهم كانوا يأخذون من الواردين والخارجين والمسافرين من الفلاحين على جميع مامعهم ولو حطبا أو برسيما أو تبنا أو سرجينا دراهم وفلوسا حتى ماتبيعه المرأة الفقيرة على رأسها فى المقاطف من رجيع البهائم فيحجزونها ولا يدعونها تمر فى الشوارع حتى تدفع نصف فضة واذا اشترى شخص من بولاق أو مصر القديمة اردب غلة أو حملة حطب أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون فاذا خلص منهم استقبله القاعدون بالباب الحديد وهكذا سائر الطرق التى يمر بها الداخلون والخارجون كباب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وباب العدوى والازبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة وكان لهؤلاء المقيدين علائف يقبضونها من الباشا ويأخذون تلك الاشياء زيادة عليها ويقتسمونها بينهم وكانوا يجمعون من ذلك مبلغا من الفضة العددية خلاف ما يأخذونه من الاشياء المحمولة كالجبن والزبد والخيار والقثاء والبطيخ والفاكهة والبرسيم والحطب والخضراوات وغير ذلك فابطل جميع ذلك وكتب

الباشا يورلديا بمنع المذكورين من التعرض لاخذ جليل أو حقير ومن محاسنه أيضا انه تسبب فى منع ما كان يفعله الجاويشية والقواصة الاتراك الذين يختصون بخدمة الباشا والكتخدا من سلب الاموال من الاعيان وأرباب المظاهر وذلك انهم كانوا كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم ويتشرون بالمدينة فيطوفون على بيوت الاعيان وأرباب المناصب والمظاهر ويأخذون منهم البقاشيش يسمونها الجمعية فيأتى مجلس أحد ممن ذكر فى مجلسه الا واثنان أو ثلاثة منهم قبالة وجهه وبأيديهم العصى المفضضة فيعطيهم القرشين أو الثلاثة أو الاكثر فاذا ذهبوا جاءه خلافهم وهكذا ولا يرون فى ذلك ثقلا ولا رذالة بل يرونه من الواجبات اللازمة فلا يكفى أحد المقصودين خمسون قرشا أو أكثر يصرفها عليهم فى ذلك اليوم واذا تغيب واحد منهم وصادفوه مرة أخرى طالبوه بما فاتهم فسعى المترجم عند الباشا بابطال تلك العادة القبيحة ومع ذلك فقد كان هو أول من فتح باب الزيادة فى محصل الضربخانة حتى تنبه الباشا من وقتئذ لاهل الضربخانة وأوقع بهم ما أوقعه وهو أيضا الذى أحدث المكس على اللبان والحناء والصمغ فهو كما قيل

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

فقد صدق عليه ما قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد وقال له يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم فقال له أما صلاح أمر زراعتها وجدبها وخصبها فبالنيل وأما صلاح أحكامها فمن رأس العين يأتى الكدر فقال له صدقت ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى الرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية وبالجملة فكان المترجم الى الخير أقرب منه الى الشر مواظبا على الصلوات فى أوقاتها ومطالعة الكتب والممارسة فى الفنون الدقيقة واقتنى كتبا كثيرة فى الفنون واستنباط الصنائع حتى انه صنع الجوخ الملون الذى يعمل ببلاد الافرنج ويلبسه الناس للتجمل وكان قد قل وجوده بمصر فعمل عدة أنوال ومناسج غريبة الوضع وأحضر نساجين فنسجوا الصوف بعد غزله فى مدة أتت حددها لهم طولا وعرضا ثم يستلمه رجال أعدهم لتخميره وتلبيده بالقلى والصابون منشورا ومطويا بكيفيات فى أوقات وأيام بمباشرته لهم فى العمل ثم يضعونه مطويا فى أحواض من خشب ثخين مزفت تمتلئ من ساقية جعلها لخصوص ذلك وعلى تلك الاحواض مدقات كدقات الارز تتحرك فى صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية وما يفيض من ماء الاحواض يجرى الى بستان زرعه حول ذلك فلا يذهب الماء هدرا ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردحونه ويصبغونه بأنواع الصباغات ويضعونه فى مكبس كبير يقال له التخت صنعه لذلك وعند ذلك يتم عمله فكان الناس يتفرجون على ذلك لغرابته عندهم ثم حضر اليه شخص فرنساوى وأشار عليه باشارات فى تغيير المدقات وبعض المهمات فتكاسل عن اعادتها ثانيا وبطل ذلك وكان مع كثرة أشغاله واتساع دائرته يكتب ويحسب بنفسه وبين يديه عدة دفاتر لكل شئ ولا يشغله بعض الاشياء عن بعض ولما اتسعت دائرته وكثرت حاشيته واجتمعت فيه عدة مناصب مضافة لنظر المهمات مثل معمل البارود وقاعة الفضة ومدابغ الجلود حقد عليه كتخدا بك فى الباطن وجرت بينهما أمور حتى قيل ان نفسه طمعت فى الكتخدائية فكان يتصدر فى الامور والقضايا ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويدخل عليه من غير استئذان فلم يزل الكتخدا يلقى فيه الدسائس ويعمل معدل الاشغال التى تحت يده ويعرف الباشا بما يتوفر من ذلك حتى نزعه من نظارة جميع المهمات وقلدها لحاج كتخدا الرزاز وحضر الكتخدا لزيارة المشهد الحسينى فى عصر يوم من رمضان ورجع الى داره قبل الغروب فصادف فى طريقه عدة قصاع كبار مغطاة تحملها الرجال فسأل عنها فقيل له ان الودنلى يرسلها كل ليلة من رمضان الى فقراء الازهر وبها الثريد واللحم فحقد عليه ووسوس للباشا انه يؤلف الناس ويتودد اليهم بأموالك ولزم المترجم بيته بطالا نحو السنتين ولم يتضعضع أمره ومطبخه على حاله ورواتبه جار وطعامه مبذول وفى تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب وعانى الحسابيات وصناعة التقويم حتى مهر فى ذلك وعمل الدستور السنوى وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة وتداخل التواريخ والاهلة والاجتماعات والاستقبالات وطوالع التحاويل والمنصات ويصنع بيده أيضا الصنائع الفائقة مثل الظروف التى يضع فيها الكتبة محابرهم وأقلامهم فيصنعها أولا من الخشب الرقيق والقرطاس المقوم المتلاصق ويصبغها وينقشها بانواع الليق ويعيد على النقوشات بالسندروس المحلول ويضعها فى صندوق من الزجاج صنعه لخصوص تلك الاشياء ويجفف دهانها بحرارة الشمس المحجوبة بالزجاج من الهواء والغبار فعند تمامها تكون فى غاية من الحسن والبهجة لا يشك

من

من يراها انها من صناعة الهند أو الفرنج المتقنين وكان كلما سمع بصاحب معرفة فى فن اجتهد فى الاجتماع به والاخذ عنه ولو يبذل الرغائب وعنزله أماكن معدة لارباب المعارف ينزلهم فيها ويجرى عليهم النفقات والكساوى حتى يجتنى ثمار معارفهم وكل ليلة يجتمع عنده الفقراء فيذكر الله معهم حصة من الليل ثم يفرق فيهم الدراهم ولما طال به الاهمال والباشا كثير الغياب ولا يقيم بمصر الا القليل خطر بباله أن يذهب الى بلاده فاستأذن الباشا عند وداعه وهو متوجه الى ناحية قبلى فأذن له وأخذ فى أسباب السفر فارسل الكتخدا الى الباشا ودس اليه كلاما فارسل بمنعه من السفر وكان زوج بنته حلف بالطلاق الثلاث وحنث ففرق بينهما وطرده فشكاه الى الكتخدا فكلمه فى شأنه فلم يقبل وقال لا أحال الحرم لاجلك واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقى اليه فى حقه النميمة ويقول له انه يجمع أناسا كل ليلة جمعة يقرؤن ويدعون عليك وعلى الباشا وان قصده السفر الى اسلامبول ليجتمع على مخدومه الاول قبطان باشا ويذكر هناك فى حق الباشا أفاعيل وذكر له أيضا انه استخرج من أحكام النجوم التى يعانيها أن الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قليلة ويحصل ما يحصل من الفتن وانه يريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك فلما رجع الباشا من سفره توسل المترجم بالكتخدا فى أن يستأذن له الباشا ومازال يتردد فى طلب الاذن والكتخدا يلقى الى الباشا فى حقه حتى أوغر صدره منه وأذن له وأضمر قتله بعد خروجه من مصر فعند ذلك باع داره وما استجده حولها والبستان الذى بخارج قناطر السباع ومازاد عن حاجته واشترى عبيدا وجوارى وقضى لوازمه وسافر الى رشيد ليسافر من الاسكندرية الى بلاده فكتبوا خلفه بعد ثلاثة أيام الى خليل بك حاكم الاسكندرية مرسوما بقتله فبلغه خبر ذلك وهو بثغر رشيد فلم يصدقه وقال أى ذنب أستوجب به القتل وما الذى منعه من قتلى وأنا عنده بمصر وما سافرت الا باذنه وودعته وقبلت يده وهو مبشوش معى كعادته فلما حضر بالاسكندرية ونزل السفينة أرسل اليه خليل بك يدعوه فاجابه وخرج من السفينة فاحتاطت به العساكر وتحقق ما كان بلغه برشيد فقال أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى ركعتين وألقى نفسه فى البحر من حلاوة الروح فضربوا عليه بالرصاص وأخرجوه وتمموا قتله وأخذوا ما بصناديقه من الكتب وكان الباشا قد طلبها وأخذ خليل بك ما معه من المال والدراهم وأعطى ولده جانبا وأذن له بالسفر مع عياله وكان قتله فى أواخر شهر صفر من سنة سبع وعشرين بعد المائتين والالف انتهى

ولمدينة طهطا غير السوق الدائم سوق حافل جدا كل يوم خميس يباع فيه الحيوانات وغيرها ويتفرع منها ثلاثة جسور أحدها من الجهة الشرقية يوصل الى ساحلها وهو مرسى عظيم يجتمع فيه مراكب بكثرة وعنده قرية عامرة تسمى ساحل طهطا فيها شونة لغلال الميرى وفيها أبنية متينة ومساجد وكنيسة يجتمع فيها نصارى البلاد المجاورة لها وأهلها مسلمون ونصارى وفيها بساتين نخيل وفواكه ويتفرع من هذا الجسر جسر الى جهة بحرى يوصل الى ناحية السوالم بحرى الساحل وهى قرية صغيرة فيها جنينة رفاعة بك وجنات أخر وفيها نخيل بكثرة وأكثر أهلها مسلمون ويجرى هذه القرية قرية الشيخ زين الدين والجسر الثانى يمتد فى جهة الجنوب فيصل الى بنى عمار ثم يميل الى الغرب فيوصل الى ناحية عنيس ثم الى السوهاجية ثم يعتدل الى جهة الجنوب فيوصل الى نزلة الدقيشة ثم جهينة حتى يصل الى سوهاج والجسر الثالث يمتد فى جهة الشمال فيوصل الى ناحية بنجا ثم يتفرع منه فرع الى الشرق فيوصل الى ترعة شطورة وفرع الى جهة الغرب يسمى عود كوم بدر يوصل الى بنى حرب وتقطعه السوهاجية ثم غربى بلاد الهلة غربى السوهاجية الى الجبل ويحيط ببندر طهطا عدة قرى كناحية القسطات فى غربيها فوق شاطئ السوهاجية الشرقى وناحية الطايحات فوق السوهاجية أيضا من غربيها وهى ثلاث قرى وناحية الصوامعة فى شمال طهطا الشرقى غربى البحر الاعظم وناحية بنجا والسوالم والشيخ زين الدين وغير ذلك وأكثر تلك القرى بل جميعها يجلب الى هذا البندر أنواع الخضر واللبن والوقود ونحو ذلك على عادة البنادر والارياف ومن بندر طهطا أيضا بسلوس بك وأخواه طوبية ودوس الذين كانوا من العزيز من رجال المعية وترقوا الى الرتبة البيكوية وقبل ذلك كان بسلوس بك رئيس الكتاب فى عموم القطر وهو ابن المعلم غالى رئيس الكتاب والمباشرين بالديار المصرية الذى قتله المرحوم ابراهيم باشا فى ناحية منية القمح فى مبدا فتح المساحة سنة ١٢٣٦ وكان ابتداء توليته ذلك المنصب فى سابع عشر جمادى الاولى سنة مائتين وعشرين بعد الالف وكان قبله المعلم جرجس الجوهرى

القبطى كبير المباشرين بالديار المصرية فقبض عليه الباشا وعلى جماعة من الاقباط وبحبهم ببيت كتخدائه وطلب حسابه من ابتداء سنة خمس عشرة وكان المعلم غالى كاتب الالفى فاحضره وألبسه المنصب وفى ذلك الوقت خلع على السيد محمد المحروقى خلع الاستمرار على ما كان عليه أبوه من أمانة الضربخانه وغيرها وجرجس الجوهرى هو أخو المعلم ابراهيم الجوهرى تعين مكان أخيه بعد موته فى زمن رياسة الامراء المصريين رئيسا على المباشرين والكتبة وبيده حل الامور وربطها فى جميع الاقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم فى ايام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند مجىء الوزير والعثمانيين فقدموه بسبب ما يسد به البهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى ويجلس بجانب العزيز محمد على باشا وبجانب شريف أفندى الدفتردار ويشرب بحضرتهم الدخان ويراعون جانبه ويشاورونه فى الامور وكان عظيم النفس ويعطى العطايا ويفرق على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوى والبن ويعطى ويهب ويبنى عدة بيوت بحارة الوندية والازبكية وانشأ دارا كبيرة وهى التى كان يسكنها الدفتردار ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة وكان يقف على أبوابه الحجاب والخدم ولم يزل على ذلك حتى ظهر المعلم غالى وتداخل فى الامور فكان اذا طلب الباشا طلبا واسعا من المعلم جرجس يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فيأتى المعلم غالى فيسهل الامور ويفتح أبواب التحصيل فضاق خناق المعلم جرجس وخاف على نفسه فهرب الى قبلى ثم حضر بأمان وانحط قدره ولازمته الامراض حتى مات

(طهنة) بليدة قديمة من قسم منية ابن خصيب واقعة فى شرقى النيل بنحو ربع ساعة وفى الشمال الشرقى لمنية ابن خصيب بنحو أحد عشر ألف متر وكانت تسمى قديما اكوريس كما فى بعض كتب الاقباط وكانت بين الجبل وأراضى المزارع ولم يكن بها زمن الفرنسيس وبه سوى بعض تيجان أعمدة وحجارة ضخمة وباقى أبنيتها مدفون تحت التراب وكلما حفر فيها ظهرت أبنية وربما ظهر من الحفر بيوت كاملة ويوجد بالجبل مغارات كثيرة بها آثار تدل على بلد قديم كان فى هذا الموضع والغالب أنها هى التى كانت تسمى اكوريس وبعض هذه المغارات عليه نقوش وكثرة الدخان الحاصلة من ايقاد النار داخل المغارات سودت وجوهها واضاعت كثيرا من نقوشها وهنالك مغارات أخر مجردة عن النقوش يظهر أنها كانت محاجر ونقل لطرون عن العالم لوت الفرنساوى الذى ساح فى مصر فى زمن العزيز محمد على واطلع على النقوش التى فى المغارات ان لفظ اكوريس فى الاصل اسم لاحد المقدسين عند المصريين وكان هو المقدس فى هذه المدينة ووجد ويلكنسون مكتوبا على أحدشق فى صورة ضفدعة وفى شقها الآخر رسم صورة مقدسين جالسين رأس أحدهما رأس ضفدعة ورأس الآخر رأس باشق ويعلوهما صقر ناشر جناحيه ومن ذلك استنبط لطرون ان اكوريس كانوا يجعلونه ثالث ثلاثة اجتمعت فى اقنوم واحد ويقدسونه فى ثلاث صور واستنبط أيضا ان هذا الاسم كان لقب الاحد ملوك العائلة التاسعة والعشرين وعلى ما ذكره مانيتون والافريقى وأزيب وشنسيل ان هذا الملك هو الذى اتحد مع ابواجوراس على العجم انتهى وابواجوراس هذا كما فى قاموس الجغرافية هو أحد ملوك جزيرة قبرص كان قبل المسيح بأربعمائة وعشر سنين وحارب العجم ومات سنة ثلثمائة وأربع وسبعين وأما شنسيل واسمه جرجس فهو مؤرخ يونانى كان ملازما لبطرك استانبول وكتب تاريخه فى سنة سبعمائة وثمانين مسيحية ومات سنة ثمانمائة والافريقى ينقلون عنه كثيرا وهذه القرية الآن من قسم المنيا وسكانها من عرب العطيات ويزرع فى أرضها قصب السكر كثيرا ولها جزيرة يزرع فيها البصل والدخان والاصناف المعتادة وفى بحريها على أقل من نصف ساعة قرية صغيرة يقال لها وادى الطير فى فجوة من الجبل وكان فى السابق يقال طهنة ووادى الطير وربما أفاد هذا انهما كانتا فى الاصل بلدة واحدة ثم افترقتا بأسباب حدثت وزمامهما الى الآن واحد والجبل الذى فوقهما يقال له جبل الطير لكثرة الحمام الاسود البرى الذى يجتمع فيه وهو اسم لجزء من جبل المقطم يمتد مشرقا من قرية وادى الطير الى دير البكرة ويمتد فى الشمال والجنوب نحو ساعة من ناحية السريرية الى وادى الطير وفى الجبل طرق توصل الى ناحية طهنة وسوادة والمطاهرة وغيرها ويقال ان هنالك طريقا يوصل الى البحر الاحمر وفى الجبل أيضا ورش لاستخراج الحجر والدبش قريبة من ناحية السريرية وتجاه وادى الطير جدار عظيم ان من الآجر من بقايا مبانى المصريين وتسميها الاهالى حائط العجوز وهذا الاسم يطلق عندهم على جميع المبانى التى من هذا النوع ويظهر أن

المصريين كانوا يسدون أفواه الوديان بجدران من هذا القبيل لمنع مياه الامطار عن أرض المزارع وعن المساكن ولمنع سيلان الرمال فى زمن الصيف على أرض المزارع وربما جعلوها وقاية لبعض المبانى المقدسة وما أشبهها وتوجد كثيرا فى مواضع من جهات الصعيد فوق الوديان من الجبل الشرقى والغربى وعرضها فى الغالب متران وشئ وارتفاعها يختلف بحسب ما يراد منها ودير البكرة المذكور من الديورة المنيعة وأبنيته بالطوب الاحمر ويسكنه عدد وافر من النصارى الذكور والاناث وجميعهم يتعيشون من الصدقة وعادة ذكرانهم أنهم متى وجدوا فى البحر سفينة ولو بجارية سبحوا اليها بطلب الصدقة من أهلها ولهم فى ذلك مهارة تامة ويسمى دير البكرة لبكرة موضوعة فى أعلاه يتناول بها الرهبان المياه والاشياء التى يجلبونها من البلاد المجاورة ﴿طهويه﴾ يوجد من هذا الاسم قريتان فى بلاد مصر احداهما من مديرية المنوفية بمركز اشمون جريس فى شرقى فرع رشيد بنحو خمسمائة متر وفى غربى ناحية شما بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة متر وفى شمال دلهمو بنحو ثلاثة آلاف متر وبها أربعة مساجد تقام الجمعة فى اثنين منها وبها دكاكين يباع فيها العقاقير وثياب القطن وبها سواق تنوف على الستين ساقية وبها كثير من ابراج الحمام ومعمل فراريج وأضرحة لبعض الصالحين عليها قباب وبعضها بأرض المزارع وفيها نخيل بكثرة ويزرع فى أرضها القلقاس والسمسم وقصب السكر والقطن وأنواع الحبوب وأكثر أهلها مسلمون والثانية قرية من بلاد الشرقية بمركز مينا القمح واقعة غربى كفر الشرفاء على نحو ألفين وخمسمائة متر وفى شمال جزيرة بلى وأبنيتها باللبن وبها مسجد بدون منارة ومكاتب أهلية ومجلسان أحدهما للدعاوى والآخر للمشيخة وفيها مقام سيدى أبى الوفاء وتكسبهم من الزرع ﴿الطوابية﴾ يوجد من هذا الاسم قريتان بصعيد مصر احداهما فى الصعيد الأعلى من اعمال قنا واقعة على الجانب الشرقى للنيل فى شمال مدينة قنا بنحو ساعتين وبها مسجد ونخيل واشجار منها شجرة سدر تعتقد العامة انها مسكونة بولى ويزورونها وينذرون لها النذور ويحلفون بها الايمان الوثيقة واذا مرض أحدهم يذهب اليها ويدق فيها مسمارا ليشفى من مرضه ومنهم من يسميها نبقة الله ويزعمون ان من حلف بها كاذبا يصاب بمكروه والثانية الطوابية بمديرية اسيوط من قسم شرق اسيوط واقعة فى شرقى النيل بحرى ناحية بنى زيد بنحو ألف وخمسين مترا وغربى ناحية أبنوب بنحو خمسة آلاف متر وبها زاوية للصلاة وبدائرها نخيل ﴿طوبه﴾ اسم لمدينة قديمة ظن بعضهم انها من بلاد الصعيد وانها هى مدينة انصنا وحقق كترمير غير ذلك وجعلها من الوجه البحرى وانها كانت على النيل لان فى بعض الكتب القديمة ان حاكمها ركب النهر مع الشهيد اسحق حتى أوصله الى مدينة ابشاى وفى الترجمة العربية ترجمت مدينة طوبه بمدينة طوه وقال بطليموس انها كانت بين فرعى فرموطياق واتريبس فى طول احدى وستين درجة واربعين دقيقة وعرض ثلاثين درجة وخمس وعشرين دقيقة وكانت قاعدة خط فطمبوطى وفى خطط انطونان ان طوه بين مدينتى سينو واندروو وبعدها من الاولى ثلاثون ميلا ومن الثانية اثنا عشر ميلا وكانت محل اقامة الحاكم وكان فى غربيها تياترو ﴿طوبصطوم﴾ بلد قديمة اندرست كانت من البلاد الواقعة فى صحراء السويس فى شمال مدينة السيرابيوم على ثمانية كيلومتر ويوافق محلها الآن المحل المعروف بجبل القهر أو جبل مريم وكانت فى حدود أرض الزراعة وكان بها قلعة ومنها الى بابلون ثلاثة أيام على الطريق التى بين السيرابيوم ومدينة الطينة وبها كان ينفى الامراء المغضوب عليهم فى الازمان القديمة وربما سمى جبل القهر من ذلك ﴿طوخ﴾ فى القاموس هو بالضم أربعة عشر موضعا بمصر انتهى والذى عثرنا عليه منها اثنا عشر وهى هذه ﴿طوخ الاقلام﴾ قرية من مديرية الدقهلية بمركز السنبلاوين واقعة فى جنوب السنبلاوين بنحو ألفين واربعمائة متر وفى الشمال الشرقى لطنبول الكبرى بنحو ثلاثة آلاف متر ﴿طوخ البراغة﴾ قرية من مديرية المنوفية بمركز منوف فى الشمال الغربى لناحية شبين الكوم وفى الجانب الغربى لبحر سيف على مسافة خمسمائة متر تقريبا وفيها جامع بلا منارة وعندها طريق يوصل الى ناحية شبين الكوم وتكسب أهلها من الزرع وغيره وممن نال الرتب الشريفة من أهل هذه البلدة فى ظل العائلة المحمدية حضرة أحمد افندى علام دخل الجهادية البيادة من بلده مدة المرحوم عباس باشا وترقى الى رتبة الملازم وفى زمن المرحوم سعيد باشا ترقى الى رتبة البكباشى ﴿طوخ البلاص﴾ قرية من مديرية قنا بقسم قفط على الشط الغربى للنيل فى جنوب البلاص بنحو خمسة آلاف متر وفى شمال نقادة بنحو أربعة آلاف متر وبها جامع بمنارة

وأبراج حمام وبدائرها نخيل وأشجار وفي بعض التواريخ أن الامير طرنطاى توجه الى الجهات القبلية في شهر الله المحرم سنة تسع وثمانين وستمائة ومعه جملة من العساكر بسبب قيام عرب الصعيد ولما وصل الى طوخ وهي قرية من عمل قوص قتل من بها منهم البعض بالسيف والبعض أحرقه بالنار ووضع يده على خيلهم وسلاحهم ثم عاد الى مصر برهائن من العرب ومائة ألف رأس من البهائم ومائتي حصان وألف جمل وأسلحة لا تعد من أنواع مختلفة انتهى

(طوخ الخيل) قرية من قسم منية ابن خصيب غربي البحر اليوسفي على بعد مائة وخمسة وعشرين مترا وفي غربي ناحية بهدال بنحو ثلاثة آلاف متر وفي جنوب ناحية ادفو بنحو خمسة آلاف متر وبها جامع وأبراج حمام وبدائرها نخيل (طوخ دلكه) قرية من مديرية المنوفية بمركز تلا على الجانب الغربي لبحر سبك بمسافة ثمانمائة متر وفي الجنوب الغربي لناحية تلا وأغلب أبنيتها بالآجر والمونة وبها جامعان لكل منهما منارة أحدهما جامع سيدى خالد وله ضريح في داخله غير ثلاث زوايا للصلاة وفي شمالها الغربي كنيسة شهيرة بناؤها بالآجر والمونة وبها معملان للدجاج ومضيفتان احداهما العبد الله افندى هلال من أهاليها وقد ترقى الى وظيفة ناظر قسم والثانية لحسين افندى غراب وبها أربع جنات واحدة للامير قاسم باشا وواحدة لمحمد أفندى بلال وأخرى لرضوان أفندى بلال والرابعة لبعض عمدها وحولها جملة أشجار متنوعة وعدد أهلها خمسة آلاف نفس ربعهم نصارى ورى أرضها من ترعة الباجورية وبحر سبك الصيفي ولها طريق يوصل الى ناحية شبين الكوم (طوخ سنجرج) قرية من مديرية سيوط بقسم ملوى في الجنوب الشرقي لناحية سنجرج على بعد ثلاثة آلاف متر وشرقي ناحية تنده بنحو ثلاثة آلاف وثمانمائة متر وبها جامع بمنارة وأبراج حمام (طوخ طنبشا) قرية بمديرية الغربية من مركز الجعفرية غربي السكة الحديد الطوالى بنحو أربعمائة متر وفي جنوب ناحية بركة السبع بنحو أربعة آلاف متر وفي شرقي طنبشا بنحو ثلاثة آلاف متر وبها جامع بمئذنة وكنيسة قديمة للاقباط قد رممت في عهد قريب (طوخ العسيرات) قرية بمديرية جرجا بقسم المنشأة موضوعة على البحر الاعظم من جهة الغرب وفي الشمال الشرقي لاولاد حمزة بنحو ألفين وخمسمائة متر وفي جنوب المنشأة الكبرى بنحو ثلاثة آلاف ومائتي متر وبها زاوية للصلاة وبعض نخيل وهي من ضمن قرى العسيرات (طوخ القراموص ويقال لها طوخ الحرامية) قرية من مديرية الشرقية بمركز هيها موضوعة شرقي بحر مويس بنحو نصف ساعة وقبلي ناحية هيها بنحو نصف ساعة أيضا وجميع أبنيتها باللبن وبها أربعة جوامع بغير منارات وبدائرها نخيل بكثرة وتكسب أهلها من الفلاحة وغيرها منها العالم الفاضل والورع الكامل الشيخ علي الالفي أخذ عن الشيخ الدمهوجي والعلامة البيجوري والمحدث الشيخ مصطفى المبلط حتى أجزوه وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الدمهوجي ثم بعد ذلك أقام ببلده يقيم شعائر العلم بالافادة مراعيا نظام معاشه ومعاده وأنجب أولادا الفاضل الشيخ محمد الالفي أحد المصححين بالمطبعة الميرية ببولاق وأخبر عن والده أنه ولد سنة سبع وعشرين بعد المائتين والالف (طوخ مدين) قرية من مديرية الغربية بمركز محلة منوف في غربي محلة روح بنحو نصف ساعة وقبلي سكة الحديد الموصلة الى ثغر دمياط بنحو عشر دقائق وبها زاوية للصلاة وتكسب أهلها من الزرع وغيره (طوخ مزيد) قرية بمديرية الغربية بمركز طنتدا في الجنوب الشرقي لمنية يزيد بنحو ثلاثة آلاف متر وفي غربي البندرة كذلك وأغلب مبانيها بالآجر والمونة وبها جامع يقال له جامع سيدى فخر الدين صاحب الابريق وضريحه بداخله وله مولد سنوي بعد المولد الكبير لسيدى أحمد البدوى وهي شفلك للخديوى اسمعيل باشا وبها دوار للاوسية وجنينة ووابورمياه وفي الضوء اللامع للسخاوى أن الشيخ محمد بن عمر الكناني الطوخي ولد بطوخ من الغربية انتهى ولم أدر أي طوخات الغربية أراد وقد ترجمه فقال انه تحول بعد حفظه القرآن الى القاهرة عند ناظر السابقية وولي واقفها فحفظ التنبيه وجود القرآن وسمع على ابن المعين قيم الكاملية وابن الملقن وغيرهما وحج ودخل الاسكندرية واجتمع فيها بالشهاب الفرنوى وسمع عليه وتكسب بالشهادة بحانوت الحنابلة امام البشرية ثم كف بصره وحدث باليسير وكان خيرا كيسا ذا فضيلة ونظم حسن فن نظمه يرثي أخاه

مذ غاب شخصك عنا يا أبا الحسن * غاب السرور ولم تنظر الى حسن
وأقفرت بعدك الاوطان واندرست * وحال حالى مذ أدرجت في الكفن

ومنه

رب خود جاءت لنا بمساء * في خفاء تمشى على استحياء

فتوهمت أن ليلي نهار * عندما أسفرت لدى الظلماء

مات في أواخر رمضان سنة تسع وأربعين وثمانمائة وعمره نحو أربع وثمانين سنة انتهى ((طوخ الملق)) قرية بمديرية القليوبية من مركزبنها واقعة شرقي جسر السكة الحديد الطوالى المتجهة الى الاسكندرية بناؤها بالآجر واللبن وبها زاويتان للصلاة ووابور لطحن الحبوب في الشمال الغربي للسكة الحديد وآخران لحلج القطن والطحن معا وهما قبلي المساكن في مقابلة محطة السكة الحديد ولها سوق كل يوم خميس * وفي جهتها القبلية جنينة صغيرة ومن علمائها الافاضل العلامة الزاهد والولي المتواجد

ترجمة العلامة الشهير الشيخ محمد الطوخي

الشيخ محمد الطوخي اخذ عن الشيخ الدمهوجي والشيخ جاد المولى وغيرهما حتى درس وأفاد ثم أخذ طريق الخلوتية عن العارف بالله السيد مصطفى المنسي السعدوني الشهير أمره في بلده مدينة بلبيس المدفون في جامعها الكبير وهو من أكبر السالكين على يد العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الازهر فتجرد المترجم رحمه الله وعكف على العبادة ملازما للخشونة حتى لقي الله تعالى ودفن بقبة عمه الشيخ سيدأحمد الطوخي خارج البلد ويعمل له مولد سنوي حافل وكان السبب فيه الفاضل المرحوم الشيخ زين المرصفي أحد العلماء بالازهر وزوجة حسين باشا كامل أحد أنجال الخديوي اسمعيل باشا ((الطويلة)) من هذا الاسم قريتان ببلاد مصر احداهما الطويلة قرية صغيرة من مديرية الشرقية بمركز العرين في غربيها من جهة العرين الى الشمال وفي شمال جسر السلاطين بقدر خمسمائة متر ويبتدئ ذلك الجسر من الرمال المرتفعة في شرقي العرين على بعد ستمائة متر وينتهي الى جسر ام الشيلابي بعد أن يمر في شمال ناحيتي العرين والاسدية وقبلي الطويلة وطوله نحو خمسة آلاف متر وعرضه من الاعلى سبعة امتار وارتفاعه ثلاثة وهو مجعول لحجز المياه الواردة من مصرف بلبيس على الاراضي القبلية مدة الفيضان لري نواحي العرين والاسدية وكفر الفزاري والقطاوية وبعض أطيان الشبانات المحدودة بالجسر البحري من ترعة الوادي وفي هذه القرية نخيل أكثره من الصنف العامري وبناؤها باللبن والرمل وأغلب بيوتها قباب تعرف عندهم بالقيعان ومن عاداتهم أن يجعلوا أبوابها قصيرة ويجعلوا بها أفرانا للخبز والدفء في زمن الشتاء ويفتحوا في قبة عقدها كوة مستديرة قطرها يقرب من ثلث متر تفتح لتصرف الدخان ثم تسد ويكون في القاعة مصطبة للنوم وكوات غيرنافذة توضع فيها الاشياء وذلك عادة جميع الفلاحين وسكان القرى وغيرها من بلاد مصر وفي أيام التحاريق يشرب أهلها من آبار معينة قليلة العذوبة بعضها مبني بالآجر والمونة والبعض بالدبش والاخشاب يركب عليها شواديف لسقي المزروعات الصيفية التي من ضمنها الدخان المعروف بالقريني والحشيشة وبينها وبين القرين نحو ثلث ساعة ويتسوق أهلها من سوق القرين كل يوم أربعاء واكتسابهم من الزرع وأكثرهم مسلمون ومنهم علماء وكفاها فخرا ان منها شيخ الجامع الازهر

ترجمة شيخ الاسلام العلامة الشيخ عبد الله الشرقاوي

(الشيخ عبد الله الشرقاوي) ففي الجبرتي من حوادث سنة سبع وعشرين بعد المائتين والالف أنه ولد بها الامام الفاضل والعلامة الكامل شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشافعي الازهري الشهير بالشرقاوي شيخ الجامع الازهر كانت ولادته في حدود الخمسين بعد المائة وتربى بالقرين ولما ترعرع وحفظ القرآن قدم الى الجامع الازهر وسمع الكثير من الشهابين الملوي والجوهري والشمس الحفني والشيخ الدمنهوري والسيد البليدي والشيخ عطية الاجهوري والشيخ محمد الفارسي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ علي بن العربي الشهير بالسقاط ثم أخذ الطريق عن الشمس الحفني ثم عن الشيخ محمود الكردي ولازمه وحضر معه في أذكاره ودرس الدروس بالجامع الازهر وبمدرسة السنانية بالصنادقية وبرواق الجبرت والطيبرسية وأفتى في مذهبه وتميز في الالقاء والتحرير وله مؤلفات دالة على سعة فضله منها حاشية على التحرير وشرح نظم الشيخ يحيي العمريطي ومتن العقائد المشرقية مع شرحها وشرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد ومختصر الشمائل مع شرحه ورسالة في لا اله الا الله ورسالة في مسئلة أصولية وشرح الحكم لابن عطاء الله وشرح الوصايا الكردية في التصوف وشرح ورد السحر للبكري ومختصر مغني اللبيب في النحو وحاشية على شرح الهدهدي في التوحيد وطبقات جمع فيها تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره وعمل تاريخا مختصرا في نحو أربع كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر وخروج الفرنساوية وأهداه اليه عدد فيه ملوك مصر وذكر في آخره خروج الفرنسيس ودخول العثمانية وله غير ذلك وكان في قلة من العيش ثم بعد مدة اشتهر ذكره وواصله بعض التجار بالهدايا وغيرها فراج حاله وتجمل بالملابس واشترى دارا بحارة كتامة المسماة بالعينية وساعده في ثمنها بعض من يجتمع عليه من أصحاب الاموال واستمر على حاله

الى ان مات الشيخ أحمد العروسى فتولى بعده مشيخة الجامع الازهر وكانت تعارضت فيه وفى الشيخ مصطفى الصاوى ثم حصل الاتفاق على المترجم والشيخ الصاوى يستمر فى وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الامام الشافعى وكانت من وظائف مشيخة الجامع وكان الشيخ العروسى متنازلا عنها للصاوى لكونه من خواص تلامذته ثم لما مات العروسى وتولى المترجم المشيخة اتفقوا على بقاء الصاوى فى الوظيفة فبقى فيها الى أن مات ثم عادت الى المترجم من غير منازع فواظب على الاقراء فيها وطالب سدنة الضريح بمعلومها فلم يظهروا له شيأ فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للمعاضدين لهم وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم وتعصبوا عليه وأنهوا الى الباشا ونموا الى ذلك أشياء وأغروه عليه فاتفق على عزله من المشيخة ثم انحط الأمر على أن يلزم داره ولا يخرج منها ولا يتداخل فى شئ من الاشياء فحصل ذلك أياما ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى فركب وقابله ولكن لم يعد الى القراءة فى الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء وهو الشيخ محمد الشبراوى ولما حضرت الفرنساوية الى مصر فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ورتبوا ديوانا لاجراء الاحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان وانتفع فى أيامهم فاتسعت عليه الدنيا واشترى دار ابن بيرة بظاهر الازهر وكانت دارا واسعة من مساكن الامراء الاقدمين وتزوج بنت الشيخ على الزعفرانى وكانت فى قلة من العيش قبل أن تتزوج به وبعد ذلك كثرت عليها الدنيا واشترت الاملاك والعقارات والحمامات والحوانيت والخانات وأتت من المترجم بولد سماه عليا ولما أراد زواجه عمل له مهما عظيما ودعا فيه الباشا وهو محمد باشا خسرو وأعيان الوقت فاجتمع عنده شئ كثير من الهدايا ولما حضر الباشا أنعم على ابنه المذكور بأربعة أكياس عنها ثمانون ألف درهم وذلك خلاف البقاشيش واتفق للمترجم فى أيام الامراء المصريين أن طائفة من المجاورين بالازهر من الشرقاويين كانوا قاطنين بالمدرسة الطيبرسية بباب الازهر وكان المترجم قد عمل لهم خزائن برواق ابن معمر فوقع بينهم وبين المجاورين بالطيبرسية مشاجرة وكان حاضرا فيها نقيب الرواق فضربوه فتعصب الشيخ ابراهيم السجينى شيخ الرواق على طائفة الشرقاوى ومنعهم من الطيبرسية وخزائنها وقهروا المترجم وطائفته فتوسط بامرأة عمياء فقيهة كانت تحضر عنده فى الدرس الى عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك المعروف بالوالى فكلمته ان يبنى له مكانا خاصا بطائفته فأجابه لذلك وأخذ سكنا امام الجامع المجاور للمدرسة الجوهرية وأضاف اليه قطعة أخرى وأنشأ ذلك رواقا خاصا بهم ونقل اليه الاحجار والعمد الرخام الذى بوسطه من جامع الملك الظاهر بيبرس الكائن خارج الحسينية وكان تحت نظر الشيخ ابراهيم السجينى ليكون ذلك نكاية له نظير ما حصل منه وعمل به خزائن واشترى له غلالا وأضافها الى جرايات الجامع وأدخلها فى دفتره يستلمها اخبازا الجامع ويصرفها خبزا لاهل ذلك الرواق فى كل يوم ووزعها على الانفار الذين اختارهم من أهل بلاده واتفق للمترجم أنه تقرر فى نظر الخانقاه التى كانت خارج باب البرقية واستولى على جهات ايرادها وهذه الخانقاه من انشاء الست خوند طغاى الناصرية وكان الناظر عليها قبل المترجم شخصا من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى ولما ولج الفرنساوية الاراضى المصرية وتمكنوا منها وعملوا القلاع فوق التلول حوالى المدينة هدموا منارة هذه الخانقاه وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك وكانت ساقيتها تجاه بابها فى علوة يصعد اليها بزلقان ويجرى منها الماء الى الخانقاه على حائط مبنى وبه قنطرة يمر من تحتها الناس وتحت الساقية حوض لسقى الدواب ثم ان المترجم أبطل الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة وجعل تحتها مقصورة وبداخلها تابوتا عالما مربعا وعلى أركانه عساكر فضة وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوى على أروقة ومساكن ومطبخ وذهبت الساقية من ضمن ذلك وجعلها بئرا وعليها خرزة يملؤن منها بالدلو ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها وكانها لم تكن ولم يزل المترجم على حاله حتى تعالى ومات فى يوم الخميس ثانى شهر شوال من السنة المذكورة وصلى عليه بالازهر فى جمع كثير ودفن بمدفنه الذى بناه لنفسه كما تقدم ثم ان زوجته وابنه ومن يلوذ بهم ابتدعوا له مولدا فى أيام مولد الشيخ العفيفى وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ونادى به تابع الشرطة بأسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد وكتبوا أوراقا ورسائل للاعيان وأصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور أيضا ومدوا الاسمطة وفيها أنواع الاطعمة لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والاعيان وأرباب الاشائر ولم يزل هذا المولد يعمل الى الآن ومما فى الجبرتى أيضا ان سرعسكر بونابرت الفرنساوى طلب المشايخ فى عشرين من ربيع الاول سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة فلما استقروا عنده نهض بونابرت من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان

كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلى فوضع واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به الى الارض
واستعفى وتغير مزاجه وانتقع لونه واحتد طبعه فقال الترجمان يامشايخ أنتم صرتم أحبابا لسر عسكر وهو
يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فان تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة فى قلوبهم
فقالوا له لكن قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين فاغتاظ لذلك بونابرت وتكلم بلسانه وبلغ عنه بعض
التراجمة انه قال عن الشيخ الشرقاوى انه لا يصلح للرياسة ونحو ذلك فلاطفه بقية الجماعة فقال ان لم يكن ذلك فلازم
من وضعكم الجوكار فى صدوركم وهى العلامة التى يقال لها الوردة فقالوا أمهلونا حتى نتروى فى ذلك واتفقوا على
اثنى عشر يوما وفى ذلك الوقت حضر الشيخ السادات قاصدا فهم منصرفين فلما استقر به الجلوس بش له سر عسكر
ولاطفه فى القول واهدى له خاتم ألماس وكلفه الحضور بالغد عنده وأحضر له جوكارا ووضعه فى طراحته فسكت
وسايره فلما قام من عنده رفعها على ان ذلك يخل بالدين وفى ذلك اليوم نادى جماعة القلقات على الناس بوضع
العلامات المذكورة المعروفة بالوردة وهى اشارة الطاعة والمحبة فانف غالب الناس من وضعها وبعضهم رأى ان ذلك
لا يخل بالدين وانه مكروه فقط وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر فوضعها ثم فى عصر ذلك اليوم نادى بابطالها
من العامة وألزموا بعض الاعيان ومن يريد الدخول عندهم بوضعها فكانوا يضعونها اذا حضروا عندهم ويرفعونها
اذا انفصلوا عنهم انتهى وقال فى موضع آخر ان سر عسكر ندب علماء الاسكندرية وأعيانها وكذلك رشيد ودمياط
وبقية البنادر لكى بانضمامهم مع علماء مصر وأعيانها يتكون منهم ديوان عام للنظر فى جملة مسائل فلما حضروا
اجتمعوا ببيت مرزوق بك بحارة عابدين ثم انتقلوا الى بيت قائد أغا بالازبكية وكان معهم أمراء الوجاقات وأعيان
التجار ونصارى القبط والشوام ومديروا الديوان من الفرنسيس فلما استقر بهم الجلوس شرع ملطى القبطى فى قراءة
فرمان الشروط ثم قال الترجمان ان سر عسكر يريد منكم يامشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا
عليكم تمتثلون أمره واشارته فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى فقال نونو وانما ذلك يكون بالقرعة فعملوا قرعة
بأوراق فطلع الاكثر على الشيخ الشرقاوى فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس وكتبوا اسماء
المنتخبين من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين وهذا الديوان غير الديوان المعمول بمصر
وكان من ضمن المسائل اللازم فيها المناقشة أمر المحاكم وحجج العقارات وأمر المواريث ومسائل أخرى وصاروا
يجتمعون كل يوم ويتذاكرون وانحط رأيهم على ان المحاكم والقضايا الشرعية تبقى على ترتيبها ولضبط المحاصيل
قرروا ما تأخذه القضاة ونوابهم فجعلوا على الالف ثلاثين نصفا اذا لم يتعد المبلغ عشرة آلاف فضة فان كان مائة
ألف فانه يجعل على الالف خمسة عشر فان زاد على ذلك فعشرة وجعلوا على حجج العقارات مقررا أعلى وأدنى ووسط
وأما المواريث فقال ملطى يامشايخ أخبرونا عما تصنعون فى قسمة المواريث فاخبروه بالقسمة الشرعية فقال
ومن أين لكم ذلك فقالوا من القرآن وتلوا عليهم بعض آيات المواريث ثم التمسوا من المشايخ ان يكتبوا لهم كيفية
القسمة ودليلهم على ذلك فكتبوا لهم فاستحسنوه وأما مقررات الاملاك والعقارات فجعلوا على الاعلى ثمان
ريالات فرانسة والاوسط ستة والادنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات
والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فجعلوا عليها ثلاثين وأربعين حسب الرواج والاتساع وعدمه
وكتبوا بذلك مناشير وألصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخا للاعيان وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص
لتمييز الاعلى والادنى وشرعوا فى الضبط والاحصاء وتحرير القوائم وكثرت أوامرهم ومناشيرهم فضاقت صدور الناس
من ذلك وقاموا قومة واحدة وقاتلوا الفرنسيس قتالا شديدا آل الامر فيه الى قتل كثير من أهالى البلد والعلماء منهم
الشيخ الجوهرى شيخ طائفة العميان والشيخ أحمد الشرقاوى وتعطل المجلس من حينئذ وكان مركبا من ستين نفسا ثم
بعد زوال الفتنة رتبوه من اثنى عشر انتهى وتكلم الجبرتى أيضا على ملطى القبطى السابق ذكره فقال انه كان كاتبا
عند أيوب بك الدفتردار ولما شرعت الفرنسيس فى ترتيب الديوان الذى سموه محكمة القضايا جعلوا قاضيه الكبير
ملطى المذكور ورتبوا المجلس من ستة من نصارى القبط وستة من تجار المسلمين وفوضوا اليهم القضايا فى أمور التجار
والعامة والمواريث والدعاوى وكتبوا ترتيبه فى نسخ كثيرة أرسلوا منها الى الاعيان والصقوا منها فى مفارق الطرق

ورؤس العطف وأبواب المساجد ومن ضمن هذا الترتيب ان أصحاب الاملاك يأتون بحججهم الشاهدة لهم بالتمليك فاذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها اما بالبيع أو الانتقال اليهم بالارث لا يكتفون بذلك بل يأمرون بالكشف عليها في السجلات ويدفع على ذلك الكشف دراهم عينوها في ذلك الطومار فان وجد تمسكه مقيدا بالسجل طلب منه الثبوت ويؤخذ منه قدر معين ويكتب له بعد ذلك تمكين ثم ينظر في قيمته ويدفع على كل مائة اثنان فان لم يكن له حجة أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد فانها تضبط بديوان الجمهور وتصير من حقوقهم ومما رتبوه أيضا المقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة كقولهم اذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلوما لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين يوما فان بعث على غير هذا الوجه ضبطت للديوان ولا حق فيها للورثة وان فتحت على الرسم باذن الديوان يدفع على ذلك الاذن مقدار وكذلك على ثبوت الوراثة ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقدار وكذلك من يدعي دينا على الميت يثبته بديوان الحشريات ويدفع على اثباته مقررا ويأخذ له ورقة يستلم بها دينه فاذا استلمه دفع مقررا أيضا ومثل ذلك في الرزق والاطيان والهبات والمبيعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والاشهادات ولا يسافر المسافر الا بورقة يدفع عليها قدرا وكذلك المولود اذا ولد يؤخذ عليه قدر يقال له اثبات الحياة وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الاملاك وغير ذلك وتكلم الجبرتي أيضا على أيوب بك الدفتردار المذكور فقال انه من مماليك محمد بك أبي الذهب تولى الامارة والصنجقية بعد موت استاذه وكان ذا دهاء ومكر ويتظاهر بالانتصار بالحق وحب الاشراف والعلماء ويشتري المصاحف والكتب ويحب المذاكرة والمسامرة وسير المتقدمين ويواظب على الصلاة في الجماعة ويقضي حوائج القاصدين بشهامة وصرامة وصدع للحائد خصوصا اذا كان الحق بيده ويتمايل كثيرا بعرض البواسير قال وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك وعلى موته في حربهم ولما حصل ذلك وحضروا الى برانبابه عدى المترجم قبل يومين وصار يقول انا بعت نفسي في سبيل الله فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعد أن توضأ وصلى ركعتين وركب في مماليكه وقال اللهم اني نويت الجهاد في سبيلك واقتحم مصاف الفرنسيس وألقى نفسه في نارهم واستشهد في ذلك اليوم وهي منقبة اختص بها دون أقرانه وقد قال فيه الشيخ خليل المنيرقصيدة حكى فيها أمره وما حصل له منها قوله

باتت له من حسان الحور قائلة * اركض برجلك للخيرات واستبق
واترك مرادا الى الدنيا ولم بنا * انا الحياة فـل الروح واعتنق
أم الجهاد شهير السيف مجتهدا * في كلمة الحق كي يعلو على الفرق
الله أكبر والتوحيد يصحبها * نداؤه في عجاج مظلم غسق
مازال يقتض حتى انقض كوكبه * وطار منه بهي النور للافق
مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمحا * مغسلا بدم الهيجاء لا غرق

الى آخر ما قال ويشير بقوله بدم الهيجاء لا غرق الى ابراهيم بك الوالي حين ولى مدبرا وغرق في البحر انتهى (والطويلة الثانية) قرية من مديرية الغربية بمركز شربين على الشاطئ الغربي لفرع دمياط بحري ناحية شبرى قاش بنحو ألف وخمسمائة متر وقبلي ناحية ديسط بنحو أربعة آلاف متر وفيها دار ضيافة لمتولي نور من تجارها وبها جامع بمنارة بداخله مقام الشيخ حسن الديسطي يعمل له مولد كل سنة في شهر ربيع الاول ثلاثة أيام ولها سوق جمعي وتكسب أهلها من الزراعة وغيرها واليها ينسب كما في الضوء اللامع للسخاوي عبد اللطيف بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عبد النور المغربي الاصل الطويلي المالكي الشاعر ولد سنة احدى وثمانمائة بالطويلة من الغربية ونشأ بها ثم انتقل في سنة خمس وعشرين الى القاهرة فاكمل بها حفظ القرآن واشتغل يسيرا وتدرب بالسراج عمر الاسواني ثم بالبدر البشتكي في النظم وتكسب بالشهادة في القاهرة وغيرها وناب في المحلة عن قضاتها وتعانى نظم الشعر وخمس البردة في ثلاثة تخاميس وامتدح بشعره الاكابر وغيرهم مات في أواخر سنة ثمان وسبعين وثمانمائة عفا الله عنه انتهى (الطيبة) قال في مشترك البلدان هي بفتح الطاء وتشديد الياء المكسورة وباء موحدة قريتان بمصر الطيبة من ناحية السمنودية والطيبة بالاشمونين انتهى ولم نعثر في السمنودية على قرية من هذا الاسم وانما هي في الشرقية وهي قرية من مديرية

الشرقية بمركز الابراهيمية فى الجانب الشرقى لناحية بهنبته بنحو ستة آلاف متر وفى الجانب الغربى لناحية فرسيس بنحو ألفين وخمسمائة متر وبها جامع (والثانية) من مديرية المنيـة بقسم سمالوط غربى البحر اليوسفى بنحو سبعمائة وخمسين مترا وفى شمال ناحية القمادير بنحو أربعة آلاف وسبعمائة وخمسين مترا وفى الجانب الغربى لسمالوط بنحو سبعة آلاف متر وبها جامع وبدائرها نخل كثير (طميونيس) هى مدينة قديمة كانت على الشاطئ الايمن من النيل ووضعها على ما فى خطط الرومانيين بين مدينتين قديمتين كانتا على الشاطئ المذكور وهما مدينة عليا التى هى الآن قرية منقطين ومدينة أفروديت التى هى اطفيح على بعد ستة عشر ميلا من الاولى وأربعة وعشرين من الثانية فهى حينئذ قريبة من قرية بياض فى الجهة البحرية والظاهر أن قرية بياض المذكورة حدثت بعد هجوم رمال الصحراء على المدينة القديمة لانه يوجد فى مقابلتها من الجبل واد متسع يوصل الى البحر الاحمر والرياح دائما تنسف منه الرمال حتى غطت سعة عظيمة من الارض كانت مزروعة فى الازمان السابقة وأهالى تلك القرية نصارى وهى مشهورة بجودة الجبس الداخل فى عمارة مبانى القاهرة وضواحيها انظر الكلام عليها فى حرف الباء (الطينة) مدينة كانت من أعظم مدن مصر فى النهاية الشرقية من بحيرة المنزلة بمديرية الدقهلية وكانت تسمى أولا بيلوز ومعنى بيلوز الطينة فلذا سماها العرب فى مؤلفاتهم الطينة قال استرابون انها كانت بعيدة عن البحر بقدر ميلين وهى من أقدم المدن ولم يعلم الوقت الذى ظهرت فيه وكانت وقت سياحة هيرودوط فى أرض مصر على غاية من العمارية وبسبب وقوعها فى حدود مصر من الجهة الشرقية كان يعتنى بها من لدن حاكم مصر سيما فى زمن الفراعنة فانها كانت من الحصون المنيعة بها العساكر وأنواع السلاح كما عليه الاسكندرية الآن وكانت معمورة بأنواع المتاجر وكان لها مينا لا تخلو من السفن الواردة والصادرة بأنواع السلع ونقل عن بعض السلف ان سيتر وستريس بنى سورا من هذه المدينة الى مدينة عين شمس فكان طوله ثلاثين فرسخا يمنع به عن مصر دخول العدو من هذه الجهة ومع ذلك فقد دخلها كمباش ملك الفرس وأغار عليها وجلس على تختها بعد أن قتل ملوكها وأعان أمراءها كان ما بناه قياصرة القسطنطينية على مدينتهم من الاسوار والحصون المنيعة لم يرد عنها اغارات أعدائهم وكل ذلك دليل على أن القوة والمنعة ليست مرتبطة بالقلاع والحصون فقط بل أعظم القوة والبأس انما هو فى تربية الرجال وتدريبهم على القتال وكثرة العدد والمدد ويستفاد من كلام المؤرخين ان رخاوة حاكم الديار المصرية فى آخر مدة الفراعنة واهماله القوانين والعوائد القديمة التى كانت عليها الطائفة العسكرية أوجبت مفارقة مائتى ألف من العساكر المصرية أرض مصر وسكناهم خلف الشلال فى ذلك ضعفت حكومة مصر ولم تتمكن من رد الفرس عنها وانكسرت شوكة الفراعنة وصارت مصر فى أيدى الاغراب وذكر هيرودوط أن طائفة العسكرية فى زمن سيتوس لم تكن محترمة كما كانت قبل بل احتقرهم ونزع من أيديهم الاثنى عشر أرورا من الارض التى خصصها لهم الملوك السابقون فحنقوا عليه وامتلؤا غيظا ولما أغار سنقريب ملك العرب والعراق على بلاد مصر بجيش جرار امتنعت العساكر من أن تقاتل معه فدخل الملك سيتوس المعبد وصار يكثر النحيب والتضرع للاله وبينما هو كذلك اذ أخذته سنة من النوم فرأى البشارة من الاله وانه لا بأس عليه من ملاقاة الاعداء فقام منشرح الخاطر وسار الى مدينة الطينة بمن أطاعه من الناس وكانت الطينة وقتئذ مفتاح مصر فأقام بها ولم يكن معه أحد من العسكر وحاصر على نفسه وأعداؤه كذلك حاصروا على أنفسهم ففى ذات ليلة سلطت فئرة كثيرة على جيش العدو فأتلفت عليهم آلات السلاح من شد والاوتار والدرقات حتى أصبحوا بلا سلاح فارتحلوا هاربين بلا قتال ومات أكثرهم فعظم الملك الفئرة من حينئذ والى الآن يرى فى معبد ولكان تمثال هذا الملك وبيده فأرة وتحته كتابة معناها أى شخص كنت أنت ورأيتنى فاحترم المقدسين قال بعض شارحيه ان هذه العبارة اختلقها قسيسو مصر وقاسوها على وقعة صحيحة واردة فى التوراة ونقلها يوسف الاسرائيلى وهى ان طراقا ملك الحبشة حضر وأمد المصريين بجيوشه فانهزم العراقيون والعرب وكان الحبشة اذ ذاك يسكنون المغارات فشبههم المصريون بالفيران وقالوا أعانتنا الفأرة رمزا لحالهم فى مساكنهم فأخفى القسيسون هذا الاصل الصحيح وأفهموا هيرودوط حقيقة الفيران وجعلوا ذلك كرامة لآلهتهم وظن بعض شارحى هيرودوط ان موتهم كان

بالطاعون فلذا نسب العبرانيون ذلك الى ملك الموت وقال أيضا ان الطينة كانت قديما تسمى لبنى وان ولكان هو المسمى عند المصريين افتاه وكان معبده فى منفيس وهم يعتبرونه المكون للاشياء وقال جنبليك انما سموه افتاه بسبب انه جعل جميع الاشياء بفن لايدرك وحقيقة بديعة وكان يعتبر أبا لجميع الآلهة واليونان كانوا يجعلونه رمزا للفن والنقوش التى على المسلة التى نقلها قسطنطين الى مدينة رومة تدل على ان المصريين كانوا يجعلونه عبارة عن الحرارة الاولى والارواح أشعة منه تجتمع عليه فيما بعد ولم تفهم اليونان ذلك وظنوا انه النار المادية فقالوا ان ولكان هو مخترع النار وقال ديودوران بعض القسيسين يقول انه أول ملك اخترع النار ولذلك توجوه ثم ان كلمة أرور المارة الذكر معناها قطعة من الارض طولها مائة ذراع فى مثلها والذراع المصرى وذراع مدينة ساموس سواء وقدره بعضهم بأربعمائة واثنين وستين مليمترا فعلى هذا يكون ضلع الارورسة وأربعين مترا وعشرين جزأ وتكون مساحته ألفين ومائة وأربعة وثلاثين مترا وأربعا وأربعين جزأ من مائة وهو نصف فدان وشئ فكان لكل عسكرى هذا القدر غير ما كانوا يعطون من طرف الملك حين تعينهم للمحافظة ولما دخل هيرودوط أرض مصر بعد وقعة الفرس بسنين قليلة سار الى مدينة الطينة فشاهد فى محل المعركة جماجم القتلى وعظامهم فى هيئة تلول من عظم فكانت عظام الفرس فى معزل عن عظام المصريين لان المصريين فصلوها عن عظامهم وتاهم بعد انفصال القتال وقالوا ان جماجم الفرس كانت تتفتت بأدنى صدمة بخلاف جماجم المصريين فكانت تقاوم صدمة الحجر وقيل لى فى سبب ذلك ان الفرس يغطون رؤسهم من حين الصغر بخلاف المصريين فانهم يحلقون رؤسهم ويتركونها مكشوفة تفعل فيها الشمس والهواء فتكتسب الصلابة من ذلك وقد استولى اسكندر المقدونى أيضا على هذه المدينة وطرد الفرس عنها وعن سائر بلاد القطر وفى زمن البطالسة تغلب عليها انطوان رئيس الخيالة الرومانية وبأمر الجمهورية سلمت الى بطلميوس أوليت بمساعدة بومبيوس ومع ذلك فلم يراع له بطلميوس المذكور حقوق هذه المنة العظيمة بل لما هرب بومبيوس بعد وقعة فرسال ودخل الطينة ملتجئا الى بطلميوس احتال على قتله وقتله هناك كما هو مشهور وكثيرا ما لاقت مدينة الطينة من الحروب زمن الرومانيين واليونان والعرب أنواعا ومصائب من نهب وسلب وقتل ومع ذلك فكانت عامرة آهلة ذات أهمية الى حرب القدس فأغار عليها أمراء النصارى ونهبوها مرارا فضاقت على أهلها الارض بما رحبت ثم ولوا عنها وفارقوها الى دمياط وغيرها وخربت من هذا الحين ولم يبق بها غير قلعة من مبانى العرب تعرف بقلعة الطينة كانت مبنية فى فم بحر الطينة لمنع دخول المراكب بها وبها تل عال فيه سور مربع الشكل وبجهته البحرية باب يفتح على البحر والظاهر أنه من أبنية الاسلام وبقرب هذا التل تل آخر تسميه العرب القصر ولعله كان هو محل القلعة القديمة وجميع هذه الآثار تعرف بين الناس بتل العمارنة والفرماء ويؤخذ من تاريخ ابن اياس انه كان بها قلعة وناس متوطنون الى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هجرية فانه قال انه فى شهر الحجة من تلك السنة كان قد أشيع بعد موت السلطان الغورى ان أوائل عساكر ابن عثمان قد وصلوا الى قطيا وتملكوا قلعة الطينة وهرب من كان بها من السكان بل فى نزهة الناظرين انها لم تزل موجودة الى أول القرن الثانى عشر فانه ذكر ان قضية وقعت فى سنة ثلاث بعد المائة والالف فى مدة الوزير على باشا بين الامير أحمد من طائفة الينكشارية وبين محمد ابن الصمانجى وهى ان الصمانجى قتل نخصامر أقارب الامير أحمد من طائفة عزارة وانكر قتله فأقيمت الشهود وثبت عليه القتل فأمر الوزير على باشا بنفى محمد شلبى الصمانجى الى الطينة فلم تمتثل ذلك طائفة العزب فعقد الباشا مجلسا من الامراء والينكشرية فاتفقوا جميعا على نفيه فنفى الى سرجت بالشرقية ثم أرسل منها الى الطينة فمكث بها قليلا ثم رجع الى مصر وذكر أيضا نادرة حصلت يوم الاحد من شهر القعدة سنة ثمان ومائة بعد الالف هى ان شاهدا من شهود محاكم مصر كتب حجة وثبت بحضرة الوزير اسمعيل باشا أنها مزورة وانها كتبت على المدعى عليهم بغير حضورهم فاحضر الوزير ذلك الشاهد وحلق لحيته وربطت له الحجة فى شعر رأسه وأركب على جمل بدون شامات وأشهر بمصر ونودى خلفه هذا جزاء من يكتب الحجج الزور وفى زمن الوزير اسمعيل باشا وطيف به فى مصر قاطبة ثم وضعوه فى العرقانة ثم نفوه الى الطينة ثم شفع فيه وعاد الى مصر انتهى وهناك فى حدود الصحراء تل فيه كثير من الشقاف وآثار الهدم تسميه العرب تل الفضة (الطيورات) قرية صغيرة من قسم قنا فى غربى النيل بقليل

وفى شمال قرية الدير والبلاص وفى جنوب ناحية دندراوهى قريبة من الجبل الغربى وبها مساجد وعدة بساتين ذات فواكه ونخيل وقليل من شجر الدوم ومن العوائد اللازمة عند أهل هذه القرية كغيرها من بلادنا وما قاربها من بلاد جرجا ان يلبس النساء بردا من الصوف الاسود أو المصبوغ بالنيلة فوق ملابسهن ولو فاخرة بحيث لا تخرج امرأة من باب دارها الا ملتفة بالبردة الساترة لجميع بدنها وما عليها من الثياب ويرون ذلك احتشاما وكمالا ويرون غيره عيبا وفحشا لا فرق بين اغنياء وفقراء ويتنافسن فى تلك البرد من حيث الغزل والنسج والصبغ ويتزين فى البيوت بالثياب المطرزة بالحرير أو الحلى وبعضهن تثقب قروش الفضة وتخيطها على ثيابها صفوفا صفوفا ولا يلبسن السراويل ويتحلين باحزمة الذهب والفضة فى أنوفهن وقد تعلق فيه شيأ من الخرز ويتسورن باسورة العاج والعقادى الزجاج وأساور الفضة ويتسورن أيضا بالكارم بان تنظم حباته فى خيط وتجعل فى المعصم وقد تجمع المرأة ذلك كله فى يدها فيعم غالب معصمها وتلبس عقود الذهب والمرجان والكارم فى رقبتها وتلبس فى رجليها الخلاخل الفضة نحو ثلاثين ريالا واذا كانت المرأة حزينة تجعل فى يدها ورقبتها عقودا من الخرز الاسود أو الازرق وكثير من رجال تلك الجهة يتعمم بالصوف ويتلفع به ويلبسه قميصا يسمى الجبة (طوة) بطاء مهملة فمثناة تحتية فواو فهاء تأنيث مدينة قديمة كانت بالصعيد الاعلى يزعم كثير من مؤرخى الافرنج والجغرافيين انها أول بلدة عرفت بالديار المصرية فى الاحقاب الخالية وقال المقريزى فى خططه أول بلدة عرف اسمها فى أرض مصر مدينة أمسوس وكان بها ملك مصر قبل الطوفان فيحتمل انه لا خلاف بين ما قاله المقريزى وما قاله غيره وان مدينة امسوس هى بعينها مدينة طيوة وهذا يوافق ما قاله بعض المؤرخين ان أول قوم نزلوا بمصر وعمروها جاؤا من جهة بلاد النوبة فدخلوا مصر من الصعيد الاعلى ويحتمل أن مدينة طيوة غير مدينة امسوس وان امسوس كانت فى وسط القطر لا فى أعلاه وهذا هو الذى يظهر من كلام المقريزى فى عدة مواضع وهو الذى تميل اليه النفس ويؤيده ما قاله بعض المؤرخين ان أول قوم عمروا مصر نزلوا من جهة بلاد العرب من أسفل القطر والعجب من المقريزى حيث لم يذكر مدينة طيوة ولا شيأ من آثارها كالكرنك والقرنة مع شهرتها وكثرة آثارها وبرابيها ولعل عدم ذكره لها هو الحامل على فهم ان امسوس هى مدينة طيوة والله أعلم ولنذكر لك طرفا من كل مما قاله المقريزى فى امسوس وما قاله غيره فى طيوة فنقول قال المقريزى فى خططه ان مدينة امسوس هى أول بلدة عرف اسمها فى أرض مصر وبها كان ملك مصر قبل الطوفان وقد محا الطوفان رسمها ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف ولما خربت مدينة منف على يد بختنصر بنيت الاسكندرية وصارت هى مدينة مصر ومقر المملكة الى ان قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين فاختط الفسطاط وصارت هى مدينة مصر الى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعز واختط القاهرة وصارت دار المملكة الى أن زالت الدولة الفاطمية وصارت القاهرة مدينة مصر الى يومنا هذا ثم قال وأول من ملك أرض مصر نقراوش بن مصرايم بن مركايل بن دوابيل بن عريان بن آدم عليه السلام ركب فى نيف وسبعين راكبا من بنى عريان جبابرة كلهم يطلبون موضعا يقطنون فيه فرارا من بنى أبيهم عندما بغى بعضهم على بعض فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فبنى نقراوش مصر ثم تركها وأمر ببناء مدينة أمسوس وبنى الاعلام وأقام الاساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنى المدائن وكان قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التى تعلمها دوابيل من آدم عليه السلام فكل علم جليل كان فى أيدى المصريين انما هو من فضل علم نقراوش وأصحابه كان ذلك مرموزا على الحجارة ففسره قليمون الكاهن ولما بنى مدينة امسوس عمل بها عجائب كثيرة وأصناما ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان ويقال انه هو الذى أصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجهه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه وشقوا منه انهارا عظيما منها بنوا عليها المدن وغرسوا الغروس وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة ولم يزل الملك فى عقبه بمدينة امسوس وكل منهم يجدد فيها أعاجيب الى أن وصل الملك الى شهلوق بن شرياق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار وعمل بامسوس عجائب ثم قال وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبى الخراج بمصر وعمل أعمالا جليلة وهو الذى بنى الاهرام ولما مات دفن فيها وكذلك ابنه هرجيت بنى اهرام دهشور ولما مات

دفن فيها انتهى باختصار وحيث كان مقر الجميع مدينة امسوس وهم الذين بنوا الاهرام ودفنوا فيها فيظهر أن مدينة امسوس كانت بقرب محل الاهرام وان وقوعها بقرب هذا المحل هو الداعى لبناء الاهرام فى هذا الموضع والا لبنوها فى الصعيد الاعلى وان كان يمكن أن يقال ان الملوك لاسيما الاقدمين أصحاب القوة والبأس الشديد والمعارف الكثيرة لا يبعد عليهم أرجاء مثل هذا القطر الصغير بل هو بالنسبة لهم كالبلدة الواحدة والله أعلم بحقيقة الحال وأما مدينة طيوة فهى مطمح أنظار السياحين الى بلاد الصعيد وكتب الافرنج مشحونة بذكرها وفى بعض كتبهم تسميتها طيبة بموحدة بدل الواو وفى بعضها طيب بغير هاء وفى بعضها تيب بمثناة فوقية بدل الطاء ورأيت فى بعض كتبهم ان اسم طيوة كان يسمى به عدة مدن من بلاد مصر ويستأنس له بما قاله بعض مؤرخيهم ان معنى طيوة باللغة المصرية القديمة مدينة ومعناه فى اللغة الرومية التل المرتفع قليلا ولعل هذا هو منشأ ما قاله بعضهم انها سميت بهذا الاسم ليدل على رفعتها وعلو شأنها وبعضهم يقول ان اسمها مأخوذ من كلمة طيبة القبطية التى معناها سفينة وان أهل هذه المدينة كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون أنها بل وسائر الكواكب تسير فى مداولتها فى سفن ورسموا ذلك فى آثارهم الفلكية الباقية الى الآن ولعلهم قصدوا بذلك تعظيما بموافقتها فى الاسم لسفينة معبودهم وقال بعض المؤرخين ان مدينة طيوة كانت تسمى فى بعض الازمان القديمة بمدينة الاب بسبب ان فرعون مصر سيزوستريس الاكبر بنى فيها مبانى كثيرة على اسم أبيه وذكر بعض المؤرخين انها كانت تسمى نوامون ومعناه مدينة أمون أى المدينة التى يعبد أهلها الشمس أو الكائنة فى ملك أمون أى الشمس والروم تسميها ديوسبوليس أى مدينة الشمس بالمعنى السابق وكانوا لا يطلقون هذا الاسم فى كتبهم الا على الاقصر والكرنك فقط وفى بعض كتب الافرنج ان كلمة ديوسبوليس هى ترجمة كلمة أموناى المصرية التى توجد فى الكتابة الهيروجليفية ومعنى أموناى مقر أمون وأما اسم طيبة أو طيب أو تيب المعروفة به الآن فهو اسمها المصرى القديم الذى كان لها قبل اليونانيين الذين سموها ديوسبوليس ولفظ تيب مركب من أداة التعريف وهى تى ومن كلمة ب التى معناها الرأس أو التخت ولاجل التمييز تضيف الاروام الى كلمة ديوسبوليس كلمة ميجالى الرومية التى معناها الكبيرة حتى لا تشتبه بديوسبوليس الواقعة تحت مدينة دندرة انتهى وقد انفردت هذه المدينة بالملك فى الديار المصرية عدة أجيال ولم يزل السياحون يأتون اليها ويطلعون على آثارها العجيبة ويكتبون ما تيسر لهم كتبه وينقلون ما تيسر نقله والى الآن لم يستقصوا جميع أوصاف ما بها من العمائر التى تدهش العقول كما ستقف على بعضه وذكر استرابون انه لم يبق من هذه المدينة فى مدة سياحته بالديار المصرية الا جزؤها المشغول الآن بالاقصر والكرنك وان جزأها الآخر المشغول الآن بمدينة آبو وأبو الحجاج كان متخربا وأطلق اميروس الشاعر المشهور على هذه المدينة اسم هيكاتومبيل وهى كلمة رومية معناها المدينة التى لها مائة باب فانها كانت كذلك واشتهر فى كلامه حتى انتقل ذكرها الى الروم بل وجميع بقاع الارض واستنبط المؤرخون من شعره ان كل باب من أبواب تلك المدينة كان يخرج منه مائتا محارب بعرباتهم وخيولهم ومن ذلك استخرجوا مقدار القوة العسكرية التى كانت لفراعنة مصر فى هذه المدينة وجعلوه فوق ما يمكن تصوره للعقل وأثبتوا للمدينة تبعا لذلك اتساعا لا دليل لهم عليه ولا يتخيله عقل غيرهم وبالبحث فى الآثار القديمة الموجودة هنالك لم يعثر أحد على شئ من هذه الابواب أصلا مع وجود ما يدل على جميع ما ذكره المؤرخون من المبانى وخلافها وحقق بعضهم ان العسكر الذين كانوا مقيمين فى جهات مختلفة على النيل كانوا يأتون فى أوقات معلومة الى تلك المدينة ليعرضوا على الملك قبل الخروج للحرب وفى المواسم والمواكب وكانوا يخرجون من أبواب كثيرة الى الميدان الكبير الباقى أثره الى الآن فربما كان ذلك هو معنى ما أورده الشاعر فى كلامه ومع ذلك فليس فى الاخبار القديمة ما يدل على انه كان ثم مدينة تشبه هذه المدينة فى العظم والفخامة والابهة لان جسامة الآثار الباقية بها وكمال صنعتها دالة على سطوة فراعنتها واتساع ثروة أهلها وربما كان هذا مقويا لما ذكره بعض المؤرخين من اتساع شهرتها فى جميع بقاع الارض حتى قصدها الناس من كل فج لاجتناء ثمرات فنونها واقتطاف زهرات صنائعها وأخذ العلوم عن كهنتها (ثم اعلم) انى لم أقصد الا ذكر طرف مما قيل فيها خصوصا ما ذكره مؤرخو الروم والافرنج فان ما ذكره العرب مسطر فى كتبهم والاطلاع عليه ليس يعسر على أحد فأرجو ممن يحب الاطلاع على هذا الكتاب أن يسير معه سير صاحب لا عين الصحبة عند

ذكرنا

ذكرنا الخراب الممتد بشاطئ النيل الى جبل الشرق من جهة صحراء بلاد المغرب والى جبل الغرب من ساحل بلاد المغرب وان يلقى سمعه الى ما نذكره له من أقوال المؤرخين الذين بذلوا جهدهم فى تحقيق هذا الشأن وهم لعمرى الفرسان فى هذا الميدان ثم ان أول أمر يلزم معرفته هو تعيين موضع هذه المدينة وذلك يكون بواسطة نقط ثابتة معروفة لا يعتريها تغيير وفى هذه المسئلة قد تكفل بايضاحها هيرودوط فانه أول من ساح فى هذه الارض فى الازمان الماضية وقد قال ما معناه ان من البحر المالح الى مدينة عين شمس ١٥٠٠ غلوة (استادة) ونوه فى كلامه بأن الغلوة التى استعملها هى الغلوة المصرية المتفق على مقدارها بين المؤلفين ومن أسوان الى طيوة ١٨٠٠ استادة وان من عين شمس اليها بحسب سير البحر تسعة أيام وقدر ذلك ٤٨٦٠ استادة ومن البحر الى طيوة من وسط الارض أى بالسير على خط مستقيم ٦١٣٠ استادة واعتمد دجوسلان الفلكى وان محيط الدائرة العظيمة الارضية يحتوى عليها أربعمائة ألف مرة فاذا فرضنا أن ذلك المحيط منقسم الى أربعمائة قسم متساوية تسمى درجات تكون الدرجة الواحدة التى هى مائة ألف متر عبارة عن ألف غلوة فتكون الغلوة المصرية مائة متر ويكون البعد من أسوان الى مدينة طيبة ١٨٠٠٠ متر وقد قيس هذا القدر على الخريطة التى عملت زمن الفرنساوية فوجد البعد بين الخراب الموجود فى الاقصر والكرنك ومدينة آبو والقرنة وبين اسوان هو هذا المقدار ولا مخالفة بينهما الا بشئ يسير وحينئذ تكون هذه المواضع الاربعة معينة لموضع تخت الديار المصرية القديم وأطلال الهياكل والتماثيل وباقى المعابد والاماكن والآثار الموجودة فى هذه المواضع دون غيرها تدل على ذلك أيضا ويؤيده ما يؤخذ من قول استرابون وديودور الصقلى وغيرهما فان ديودور ذكر ان محيط مدينة طيوة كان مائة وأربعين استادة يعنى أربعة عشر ألف متر وهذا المحيط وجد على خريطة الفرنساوية مشتملا على الاقصر والكرنك ومدينة آبو والقرنة وعلى تربة فرعون مصر أوزيمندياس وسراية سيمنون وان آثار هذه المدينة كانت موجودة فى زمنه ممتدة على ساحل النيل نحو ثمانين استادة ومعلوم أن هذا المؤلف كان يستعمل فى تقديراته الغلوة أو الاستادة الداخلة فى محيط الدائرة الارضية ٢٥٢٠٠٠ مرة وضبط مقدار ذلك فى فرانسا فوجد ١٨٫٥٧٢ فيكون طول الارض التى بها الآثار القديمة بناء على ذلك ١٢٦٩٨ ولاجل معرفة عظم اتساع هذه المدينة نذكر لك سعة بعض مدن مصر لتعلم بمضاهاتها بها قدر عظمها فنقول من مدن مصر مدينة منف قال ديودور ان محيطها كان ١٥٠ استادة وهو عبارة عن ١٥٠٠٠ متر لكن لا يمكن تحقيق ذلك الآن لان هذه المدينة قد محيت آثارها بالكلية وصار موضعها أرض زراعة ويؤخذ من كلام بطليموس ان محيط مدينة الاسكندرية كان مائة وأربعين غلوة وذلك عبارة عن أربعة آلاف متر ومحيط القاهرة التى هى تخت الديار المصرية الآن ١٣٥٠٠ بما فيه من الاعوجاج الموجود بالخيط الذى حول البلد وبمضاهاة تلك المقادير لكل من هذه الثلاث مدن بعضها ببعض يعلم أنها متقاربة ومساحة مدينة طيوة المشغولة بالكرنك والاقصر والقرنة وآبو قد حسبت فوجدت ١٧٢٦٠٠٠٠ متر وهذا قريب من المائة والاربعين استادة بجعلها قطر الدائرة فان هذه المساحة تقرب من ستة عشر مليونا من المتر المسطح وبمقارنة هذه المساحة بمساحة مدينة القاهرة التى هى ٧٩٣٠٠٠٠ يعلم ان مساحة القاهرة أقل من نصف مساحة مدينة طيوة والآثار الباقية الآن من تلك المدينة تدل أيضا على انها كانت شاغلة بمبانيها الفاخرة شاطئ النيل الشرقى والغربى وممتدة من كل جهة الى الجبل وانه كان يدخل فى مبانى الاهالى اللبن المجفف فى الشمس والاحجار المأخوذة من الجبال المجاورة لها وكان من البيوت ما هو مركب من خمس طبقات وما هو أقل من ذلك كما يؤخذ من كلام ديودور الذى ساح فى الصعيد فيما بين سبع وخمسين وستين سنة قبل الميلاد ومن كلامه ان موسى مدينة طيب صيروها أبهج وأغنى مدينة فى مصر بل وفى الدنيا بأجمعها ومعابدها ومبانيها من أحسن ما يرى وبيوت الاهالى من أربع طبقات وخمس قال ولم يكن شئ يشابه تماثيلها الجسيمة المجعولة من الذهب والفضة والعاج وكذا مسلاتها وأشهر معابدها أربعة أحدها محيطه لم يكن أقل من ثلاث عشرة غلوة (يشير بذلك الى معبد الكرنك) وقبور الملوك لا تنقص عن المعابد فى الزخرفة ومما يتعجب من اتساعه وعظم زخرفته قبر الملك أوزمندياس قال وجميع هذه المبانى كانت باقية الى وقت قريب منا انتهى مترجما ومعلوم ان سياحة ديودور كانت بعد حادثة بطليموس لاطير بأربع وعشرين سنة وأما كيفية وضع المنازل

داخل المدينة فهو وان لم يؤخذ من كلام الاقدمين لكن يمكن أن يقال انها كانت تشبه منازلنا الآن لان لهواء القطر وطبيعة أرضه حكما بالنسبة للمساكن الاهلية فمن المعلوم انهم كانوا معدين منازل للصيف وأخرى للشتاء والعادة ان منازل الصيف أفسح وأكبر من منازل الشتاء وأثر السرايات الموجودة الآن يدلنا على ان أماكن الملوك وتابعيهم كانت مميزة عن غيرها بالجسامة والزخارف والميادين وكانت منعزلة وبها معابد للعبادة ومن حيث انها بحسب نقطتها شديدة الحرارة فلا يظن ان أهلها يوسعون حاراتها وأزقتها كما يشاهد ذلك فى جميع المدن المشرقية فان العادة الجارية عندهم جعل الحارات الفاصلة للمنازل ضيقة فى جميع البلد ماعدا اليسير كمواضع التجارة والمواسم فانها تكون متسعة قليلا وقال بعض شراح أميروس انه كان بمدينة طيبة ثلاثة وثلاثون ألف حارة والارض المشغولة بالبناء مساحتها ثلاثة آلاف وسبعمائة أدور وكان لها مائة باب وعدد أهلها سبعة ملايين من الناس وكان الباب يخرج منه عشرة آلاف راجل وألف فارس ومائة عربة حربية متسلحة للقتال ولا يخفى مافى هذه العبارة من المبالغة التى بلغت أوج سماء الكذب فان مدينة باريس التى سعتها أكبر من هذه المدينة مرتين كانت فى سنة ١٨٠٠ ميلادية لا تشتمل على أكثر من ألفى طريق مابين شارع وحارة ومدينة لوندرة ليس فيها الا عشرة آلاف حارة مع انه لا توجد مدينة الآن أكبر منها اسطعا بل لا يتصور وجود مليون من العسكر داخل مدينة واحدة فضلا عن وجود سبعة ملايين فالذى يظهر أن هذا الشارح لم يمعن النظر فى عبارة المؤلف أميروس بل أخذها بدون تأمل فاخطأ أو أن عبارة المؤلف المذكور فيها تحريف والظاهر أن اقليم مصر كله كان يسمى باسم تخت طيبة كما يؤخذ من قول هيرودوط وارسطاطاليس كما ان اسم مصر الآن يطلق على جميع الاقليم مع التخت فيحتمل أن تكون السبعة ملايين هى أهالى القطر كاذكر ذلك ديودور فانه قال ان اهل القطر لا يبلغون ذلك العدد الا فى وقت اعظم عمارته وكانت الاهالى وقته لا تزيد عن ثلاثة ملايين فلعل الشارح ترجم لفظة بلدا أو قرية بحارة فان فى مؤلفات تيوكريت ان عدد المدن والقرى بمصر ثلاثة وثلاثون الفا والظاهر أن ديودور كان مستند الذلك ايضا وعلى كل حال لا يخلو كلامه عن المبالغة فلا بد انه كتب فى تاريخه كما سمع من الكهنة وهم اما كاذبون أو أن هذا العدد لم يكن عدد بلاد مصر وحدها بل مع البلاد الداخلة فى حكومتها من الاقطار الخارجة عنها وفى وقت الفرنساوية صار حصر عدد البلاد والقرى فى جميع القطر فوجد الفين وخمسمائة وحصرت اهالى القطر فوجدت مليونين وثلثمائة الف نفس ومسحوا ارضها فوجدوا القابل للزراعة منها الفا وثمانمائة فرسخ فرنساوى مربع والفرسخ قريب من مائتين وخمسة واربعين فدانا مصريا ففهم مما بلغت الديار المصرية فى العمارية لا يمكن ان تشتمل على المقدار السابق الذى ادعاه بعض الشراح أو نفس اميروس من عدد الحارات والاهالى وخلافهما وفى مؤلفات كل من استرابون وتاسيت على مافهماه مما هو مرقوم على المبانى ما يفيد كثرة عدد رجالها الحربية حيث قال الاول ان عدد عسكرها مليون من الرجال والثانى انه سبعمائة الف ومنشأ ذلك مبالغة الكهنة والحق غير ما قالاه فان ديودور كتب كلاما ربما يلوح منه الحق فقال اطلعت فى زمنى على مائة هادة للخيل موزعة على الشاطئ الغربى للنيل من منف الى طيبة كل واحدة معدة لمائتى عربة حربية ولعل هذا مراد أميروس الشاعر بقوله ان المدينة كان لها مائة باب الى آخر ماسبق فما قاله يعلم ان عربات الحرب لم يكن موضعها مدينة طيبة بل كانت مفرقة فى جميع جهات القطر ولا تجتمع فيها الا فى أوقات مخصوصة ثم ان هذه المدينة طالما اشتغل بها اقلام جميع المؤرخين فى جميع الازمان ومع هذا لم يذكر أحد منهم وقت ابتداء ظهورها بل غاية ما قالوا انها أسست بالالهة ومعنى ذلك انه لا يعلم أول انشائها وذكر ديودور ان الكهنة كانوا على جهل فى هذا الشان وقال هيرودوط ان انشاءها كان قبل الميلاد بنحو اثنى عشر ألف سنة وذكر افلاطون تلميذ الكهنة المصريين وكان مقيما بهذه المدينة ان المصريين كانوا يعلمون فن النقش والرسم قبله بعشرة آلاف سنة وقال أرباب الفلك فى زمننا هذا انه يستنبط من الآثار الفلكية المرسومة فى البرابى انه مضت قرون عديدة على الامة المصرية وهى على معرفة بعلوم وفنون شتى وانها احدى الامم المشهورة قديما ومن ذلك يعلم ان الوقت الذى أنشئت فيه هذه المدينة سابق على تاريخ الامة اليونانية بكثير مع انه وجد فى بعض مبانيها ماهو منقول من مبان سابقة عليها ويمكن ان تلك المبانى منقولة أيضا من مبان غيرها وهكذا وهذا كله لا يعلم منه مبدأ انشائها واتفق الكل على انها قديمة جدا وان ملوك العائلة الحادية عشرة والثانية عشرة أسسوا فيها حكومة مستقلة عن

حكومة منفيس وكان ذلك قبل المسيح فيما بين ألفين وخمسمائة سنة وألفين وتسعمائة واما في زمن العائلة الثالثة عشرة صارت تختا لجميع الاقطار المصرية ويظهر أنها قبل أن تكون تختا كانت مشهورة أيضا بين مدن الصعيد وبقيت لها شهرتها ألفا وسبعمائة سنة قبل اغارة الهيكسوس على مصر وكذا بعد طردهم عنها الى آخر ملوك العائلة العشرين وذلك قبل المسيح بألف ومائة وعشر سنين وهذا يبين سبب ذكر هميروس الشاعر لها دون ان يتكلم على منفيس وان أول ملك أخذ في بناء المعبد الكبير المجعول للمقدس أمون راهو الملك أوزرتازان الاول من العائلة الثانية عشرة وذلك قبل المسيح بألفين وثمانمائة سنة وكل واحد من خلفائه أضاف اليه شيأ من هذا البناء العجيب وعلى الاخص فراعنة العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة الذين جلسوا على تخت مصر بعد طرد الرعاة عنها قبل المسيح فيما بين ألف وثمانمائة سنة وألف وسبعمائة سنة وفي تلك المدة كانت منفيس هي التخت وفي زمن الرمامسة وهم ملوك العائلة التاسعة عشرة والعائلة العشرين كما في كتاب منيتون ظهرت العائلة الحادية والعشرون في الجهات السفلى من مصر وجعلوا تخت ملكهم منفيس وذلك قبل المسيح بألف ومائة وعشر سنين وقال بعض المؤرخين ان هذه المدينة لم تكن تختا للديار المصرية خاصة بل كانت بلاد النوبة والحبشة داخلة ضمن هذه المملكة وقد كانت مملكة الحبش معدودة من ضمن البلاد التي افتتحها سيزوستريس وآثار المباني العتيقة الموجودة خلف الشلال تشهد بذلك وكذلك كانت الحبش زمن البطالسة تحت حكومة مصر ويدل له وجود اسم بطليموس أفرجيت على بعض آثار مباني مدينة اكسيوم وجميع السياحين الذين وطئوا بلاد الحبش لم ينسبوا اليها تمدنا سابقا على تمدن مصر أصلا بل اتفقوا على ان تمدنها انما طرأ لها من أهل مصر ولا مانع من ان بعض أهالي الحبش هاجر الى مصر واستوطنها في الاحقاب الماضية ويؤيد ذلك أيضا قول ديدور الصقلي ان وجود صور الحيوانات التي لا توجد الا في الحبش مرسومة على جدران المباني المصرية أدل دليل على ان المصريين حكموا تلك البلاد وقال بعض من تكلم على مصر من المؤرخين ان أول من سكن أرض مصر هم الحبش وانهم الذين أورثوها العلوم والفنون وجميع أنواع التقدم ولا وجه لصحة ذلك لانه لو ثبت لوجد في بلادهم أبنية عتيقة سابقة على مباني مصر على ان جميع صور الآدميين المرسومة على الجدران والتماثيل والهياكل لا نسبة بينها وبين صور العبيد أصلا بل هي قريبة من صور موتى المصريين المخرجين من مقابرهم ووجوه التماثيل شديدة الشبه بوجوه سكان آسيا ولا مانع من ان المصريين كانت أصولهم من آسيا كما قال بذلك كثيرون ممن لهم علم بالكتابة المصرية القديمة عند رؤيته ما سطر على جدران المباني العتيقة ومن زعم ان مصر في الاعصر الخالية كانت منفردة لا علاقة بينها وبين ما جاورها من الجهات وانها كانت مكتفية في تجاراتها بالمبادلات الداخلية بين مديرياتها لا أصل له بل وصولها الى هذه الدرجة الراقية الى أقصى الثروة يقتضي بأنه كان بينها وبين الامم الأخر علائق تجارية وغير تجارية وما استدل به على قطع العلائق بينها وبين اليونان والروم لا يدل على قطعها بينها وبين الهند والعجم على ان كتب أهالي هذه الديار تنوه بوقعاتهم في تلك البلاد وقد حقق تاسيت المؤرخ ان هذه المدينة كانت المركز التي تجتمع فيه محصولات الهند ثم تتفرق على البلاد المجاورة كبلاد كنعان وغيرها وما كانت تسلبه الفراعنة من الجهات التي كانت تحاربها وما يجبونه من الخراج المضروب على تلك الجهات كان يخزن في مخازنها او يجعل قرابين للمعابد المقدسة وما هو مسطور على جدران المباني وباق الى الآن شاهد بذلك ويدل عليه أيضا اشعار اميروس ومن تأمل الوضع الجغرافي لهذا الاقليم لا يشك في ذلك لوضعه بين البحرين الرومي والهندي وجريان نهر النيل في وسطه وهو نهر عظيم صالح للملاحة فضلا عن الري والخصوبة وهذا هو الذي حمل الاسكندر على انشائه مدينة الاسكندرية في الموضع الذي هي فيه الآن فصارت مركزا لتجارة العالم بأسره لتلك الاسباب مع ما جدده البطالسة بها من طرق تسهيل أمر التجارة وحفظها كالخليج الذي حفر من النيل الى القلزم وما فتحوه من الطرق في الصحارى الشرقية التي بين النيل وعيذاب وبقيت مسلوكة الى عهد قريب منا ومن ذلك يؤخذ أن المصريين اشتغلوا بالتجارة وأوسعوا دوائرها وأعملوا في ذلك كل حيلة حتى اكتسبوا الفخر والسعادة التي اشتهروا بها ولم يثنهم تغلب الفرس على أرضهم عن الاشتغال بذلك بل في زمن دارا بن هستاسب أوسعوا دوائر التجارة وقووا اسبابها بكثرة السفن في البحر ولم يهمل هذا الملك مع تجبره الاحتفال بأمر الخليج الذي بين مجرى النيل والقلزم بل اهتم

بغاية الاهتمام وفى مدة افريس آخر الفراعنة اتسعت التجارة وبلغت أقصى غايتها وقبله ابريس و ينكوس ايضا لابشأنها أيضا غاية الاحتفال حتى كانت مدينة منف مركز عموم التجارة قبل الاسكندرية وحفر الخليج من النيل الى القلزم ينسب الى نيكوس الان سيزوستريس هو أول من اهتم بحفره وهو وان لم يتممه فقد تم أعمالا كثيرة بها اتسعت دائرة ثروة القطر وعلت درجة فخره فانه من بين سائر الفراعنة هو الذى اهتم بتمليك الاراضى للاهالى وتوزيعها عليهم وتقسيم ماء النيل بين جميع النواحى بترع وخلجان احتفرها لسهولة الرى ونقل المحصولات من بعض جهات القطر الى بعض ومنها الى الخارج وكثرت فتوحاته فى الاقطار الشاسعة حتى أكسب المصريين اسما واشتهروا بالسطوة وسارت بذكرهم الركبان فى جميع الآفاق وكانت مصر فى وقته فى أقصى درجات العمار بما انشأه فيها من المبانى النفيسة والعمارات المقدسة اللطيفة ومما ذكره نودور الصقلى يتحقق ان فتح بلاد الهند كان على يد فرعون مصر هذا وما قاله من ان هذا الفرعون اهدى الى المقدس المعبود فى هذه المدينة سفينة كبيرة مصفحة من خارجها بصفائح الفضة ومن داخلها بصفائح الذهب يدل على ان الملاحة فى زمنه كانت من أعظم الامور وانه كان أكد الرغبة فى التجارة عند المصريين حتى تشبثوا جميعا باذيالها ونالوا بذلك من الثروة والرفاهية ما لا مزيد عليه ثم ان وجود التجارة فى مدته بهذه الدرجة العظيمة يدل على انها كانت موجودة من قبله وان صناعة الملاحة كانت قبل زمنه معلومة للمصريين غاية الامر انها فى زمنه زادت الرغبة فيها واتسعت دائرتها على حسب اتساع دائرة التجارة والعلائق بينه وبين أهل البلاد المجاورة له أو بينه وبين من تغلب عليهم من الامم ثم ان هذه المدينة كما انها كانت مركزا للتجارة وخلافها كانت أيضا مركز الديانة فكانت كعبة لجميع المتمسكين بالديانة يحجون اليها فى المواسم والاعياد والموالد المتتابعة فى السنة ولاشك ان كل ذلك ينتج اختصاصها بالفخر التليد الذى لم يسبقها اليه غيرها حتى وصلت طائفة الكهنة الى أعلى درجات العز وأكثروا المعابد وزينوها بأحسن زينة بسبب الهدايا والقرابين التى كانت تقدم اليهم وأحوال مدينة رومة التى هى الآن مركز الديانة العيسوية تقرب من أحوال هذه المدينة التى كانت عليها فى الازمان القديمة فان كنائس رومة ومعابدها وما بها من السرايات والقصور التى للطائفة المتدينة هو نتيجة الهدايا التى تهدى اليهم من جميع بلاد النصرانية فمدينة طيبة أيام كانت مركز الديانة فى جميع بقاع الارض كانت كذلك بل أعظم وكذا من تأمل مدينة لوندرة وتتبع سيرها فى كل مدة ورأى انها ازدادت سعة وبهجة تبعا لتقدم التجارة انما يقيسها بمدينة طيبة وقت ان كانت مركزا لجميع تجارة الدنيا بل كان تقدم طيبة أكثر باضعاف كثيرة واذا نظرت لكون هذه المدينة كانت مركز الديانة والحكومة والتجارة معا دون جميع البلاد عادلتها برومة ولوندرة معا ونسبتها الى درجة عالية ربما يشك كثير من الناس فى صحتها فان قلت حيث انها كانت بالحالة التى ذكرتها كيف امتدت اليها أيدى الخراب وتقطعت بها الاسباب وما الموجبات لتدميرها وتمزيق أديم أبنيتها وازالة رونقها ومحاسنها وتشتيت أهاليها وتهدم مساكنها حتى صارت أدبر من أمس وكأنها لم تغن بالامس وما الذى أسرع بتخريب سراياتها المشيدة وحصونها المنيعة الشديدة وقصورها العالية ومعابدها الفاخرة الزاهية وأين ذهبت سكانها وكيف زال بأسها وسلطانها وما الذى جردها عن ثياب عزها ومنعتها وألبسها بعد ثياب العمران جلابيب الخراب وجعل منازلها الفاخرة تلال تراب مفروشة بأعمدة ضخمة وقطع أبنية وصخور بعضها غير ملتئم والملتئم منها لايدل على ما كانت عليه فى الاصل ولاما كان الغرض منها فهل نزل عليها آفة سماوية أهلكتها أو زلزلت بها الارض فهدمتها أو خسف بها وبأهلها أجمعين فصارت نسيا منسيا فى العالمين قلنا كل ذلك يخطر بالبال ولايدرى المتأمل فى هذا الشأن ماذا يقال ولكن اذا تفكر الانسان فيما مضى من الامم المتبربرة وما كان لهم من السطوة على غيرهم والوقائع التى أعلمتنا التواريخ ببعضها عرف الجواب بدون ارتياب فان من المعلوم ان أرض مصر وادصغير خصب منحصر بين صحاري ان الاقوام المعروفين بالبدو والقاطنين فى أطرافها من الجنوب والشرق والغرب لابد أنهم سطوا على هذه الديار كثيرا فى الازمان الخالية فأعقب ذلك خراب تلك المدينة العظيمة وغيرها من سائر المدن التى بجوانبها على أن هناك بعض أدلة تفيد الجزم بأن ما حصل من الخراب فى أغلب مدن الديار المصرية ليس الا من طوائف العرب المستوطنين أرض العرب هجموا على هذه الديار فخربوا ما بها من العمران وأكثروا فيها الفساد الباقى أثره الى الآن

كما

كما أفاد ذلك المؤرخ مانيتون المصرى فانه ذكر ان هؤلاء العرب حصل منهم هجوم على هذه الديار وان كان تجدد بعد طرد هؤلاء الاقوام بعض ما خربوه من العمارات مدة سيزوستريس وغيره من الفراعنة والظاهر أن الخراب الذى حصل منهم كان جسيما حتى بقى بعضه وأغلبه الى الآن ومع ظهور مدينة منف وصيرورتها تختا ومقرا للفراعنة لم تنحط هذه المدينة عن درجتها بالكلية لانها كانت فى ذلك الوقت مركزا للديانة ومقصدا للملوك وغيرهم يحجون اليها انما حصل فيها من غير شك بعض نقص فى قوتها وأبهتها بسبب ظهور مدينة منف وتحول أنواع التجارة اليها هذا وقد حصل من الفرس الاغارة عليها أيضا مدة استيلائهم على الديار المصرية بعد وقعة واحدة وذلك أنهم دخلوا مدينة منف وحرقوا معابدها وأهانوا ملكها واهاليها وكهنتها ونهبوا حلى المعابد فجردوها من أنواع الفضة والجواهر بعد ان هدموا ما هدموه وحرقوا ما حرقوه منها وفعلوا مثل تلك الفعال بهذه المدينة وغيرها وذلك قبل المسيح بخمسمائة وسبعة وخمسين سنة وقد حصل أيضا مثل ذلك من بختنصر حتى انه ارسل الاهالى الى مملكة بابل محل ملكه ثم توالت عليها بعد ذلك الفتن الداخلية من الفراعنة الاهلية بعد نزع تلك الديار من أيدى الفرس واستيلاء المقدونيين وهم البطالسة عليها فقد ذكر المؤلف بوزنياس أن بطلميوس لاطير بعد ان عزل أخاه اسكندر حاصرها ثلاث سنين بجيوشه ثم أمر بنهبها واجراء جميع الموبقات بها عقابا للاهالى على موافقتهم لحزب والدته وذلك قبل المسيح باثنتين وثمانين سنة وقد حصل بعد ذلك دخول الديانة العيسوية واختصت بالتقدم والاسبقية على الديانة الاصلية فى مدة قياصرة الروم فحصل للمصريين فى هذه المدة من أبناء الديانة الجديدة ما أضر بديانتهم وعلومهم وصنائعهم حتى أخرهم ذلك عن درجة تقدمهم وتخربت جميع مدنهم وهجرت معابدهم لان عمال القياصرة كانوا على أقل سبب يسطون عليهم ويخربون منازلهم ويهدمون مبانيهم او يقتلونهم ومع ذلك فكانت طيبة وقتئذ من المدن الكبيرة وذكرها بطليموس فى جداوله فى سنة ١٤٠ ميلادية وقال انها رأس قسم وفى زمن القيصر تيودوز سنة ٣٨٩ من الميلاد تخرب ما بقى من معابدها عندما أمر هذا القيصر بابطال الديانة القديمة قال طياون فى تاريخ القياصرة ان القيصر تيودوز لم يقتصر على هدم معبد سيرابيس وغيره من معابد الاسكندرية بل أمر أن تأتى جميع المعابد على الارض وكذا التماثيل الموجودة بجميع مدن مصر وما فى القصور والسرايات وبلاد الارياف وعلى شاطئ النهر وفى الحجر فزالت بذلك الديانة القديمة وما كان بقى الى هذا التاريخ من علوم المصريين وهجرت الكتابة الهيروجليفية التى كانت مودعة فى هذه المبانى حتى صارت مجهولة وفى زمن أغسطس أيضا أمر بتخريبها فخربها عامل له يسمى غاليوس مدعيا أنها مركز للفتنة والفساد ومن ذلك الوقت انقطع ذكرها وصارت عبارة عن كفور صغيرة لا يسكنها الا فقراء من الفلاحين واستمرت هكذا الى وقتنا هذا فبتلك الاسباب ونحوها نشأ خراب هذه المدينة وغيرها من باقى مدن القطر التى صارت خرابا وآكاما لا يسكنها غير البوم والغربان والحشرات التى هى ليست مألوفة للانسان ولو سار الانسان فى خراب هذه المدينة على شاطئ النيل ونظر الى ما بقى من أبنيتها العلم ما كانت عليه من العظم لانه اذا نظر الى الجهة الشرقية رأى آثارا مرتفعة شاهقة وهى الآثار المسماة الآن بالكرنك وبين تلك الآثار آثار سراية الاقصر وتماثيل أبى الهول المرتبة بالانتظام التام والتماثيل الكائنة على جانب الطريق الموصل للسراية المذكورة وعلى الشاطئ الغربى للنيل فى مواجهة سراية الاقصر وأبى الهول سراية القرنة ومن استمر فى السير على ذلك الشاطئ صاعدا الى الجنوب شاهد آثار قبر الملك أوزمندياس الذى يعزى بناؤه الى رمسيس الاكبر المسمى سيزوستريس وبعد ذلك بقليل يرى هيكل ميمون ثم مدينة أبو وجميع تلك الآثار عبارة عن بقايا عمارات عظيمة بنيت فى أوقات مختلفة وخلاصة ذلك أن فى الجهة الشرقية الكرنك والاقصر وفى الغربية القرنة وقبر أوزمندياس ومدينة ابو وحول كل جملة من هذه الآثار اطلال سور وذلك مما يحقق قول استرابون ان هذه المدينة كانت عبارة عن عدة بلاد متقاربة وعلى مسافة مد البصر يرى جزؤها الغربى متصلا بجبل الغرب وفيه مغارات لا حصر لها كانت مقابر الاهالى وخلف هذا الجبل على حذاء النيل واديه قبور الملوك اذا ثبت هذا الترتيب فى حافظتك عرفت أن مدينة أمون التى تسميها اليونان المشترى جزء من تلك المدينة التى على الشاطئ الشرقى وأن ما على الشاطئ الغربى هو المدينة المعروفة عند اليونان بمدينة الاموات نيكوبوليس وهذا على اعتقاد المصريين أن جهة الغرب هى جهة الاموات فان قلت كيف

كانت تنقل الاموات من شاطئ الى آخر هل كان ذلك بالمراكب كما فى مدينة القسطنطينية أو بالعبور على قنطرة كما فى مدينة بابل قلنا ليس أحد الامرين محققا الا أن الظاهر هو الاول لانه لو كان عمل على النيل فيما سبق قنطرة لبقى بعض آثارها الى الآن ولا يؤخذ من ذلك أن المصريين كانوا يجهلون عمل القناطر فانه وجد على بعض آثار هذه المدينة صورة قنطرة مرسومة فاذا تجنبنا فى السير بين هاتيك الآثار أطلعناك على كثير منها فنبدأ أولا بالكرنك فنجد به بابا جسيما مرتفعا ارتفاعا فوق المعتاد ومع ذلك يظهر للرائى أنه لم يتم فاذا دخلنا منه وجدنا فى دهليز أعمدة كثيرة جميعها واقع على الارض ما عدا واحدا منها وحول تلك الاعمدة قطع تشبه التيجان والكراسى ورأينا فى مواجهة ذلك الباب بابا عظيما كالاول امام الايوان المسمى بايوان الكرنك أحد جهاته مهدوم والصخور التى حصلت من هدمه متراكم بعضها فوق بعض كجبل مزقته الزلازل وامام باب هذا الايوان تمثال قائم هائل الصورة قد سطت عليه أيدى الهوان فاتلفت معالمه وهو صورة سيزوستريس والداخل فى تلك العمارة عند التفاته لمشتملاتها يحصل له الدهشة والحيرة خصوصا اذا كان لم يسبق له رؤية مثل هذا الايوان الذى طوله ثلثمائة وتسعة عشر قدما وعرضه مائة وخمسون قدما وله مائة وأربعة وثلاثون عمودا كل واحد مثل البرج قطر كل عمود أحد عشر قدما وارتفاعه سبعون قدما وجميعها موضوعة صفوفا فوق أرض الايوان وعليها تيجان ضخمة محيط الواحد منها خمسة وستون قدما وفوق تلك التيجان سقف من الصخور منقوش بالكتابة المقدسة العتيقة وكذا جدرانه وأعمدته ومن العجيب أن من نظر لهذا الايوان رأى ما بقى منه فى غاية من المتانة والحفظ كأنه تم بناؤه بالامس مع أنه مضى عليه ما ينيف عن ثلاثة آلاف سنة فهل يوجد مبان للآدميين تقاوم بقوتها الزمن وأيدى الناس مثل هذه الابنية وهل لغير المصريين مبان من هذا القبيل بقيت على كيفيتها وصورتها الاصلية ودفعت بقوتها ما سطا عليها من الاقوام المختلفة كالفرس والعرب وغيرهما ونفذت من غائلة جميع الحوادث الدهرية حتى وصلت لعصرنا فكأنها الا كتب مرسلة من طرف أهل القرون الماضية للقرون الآتية تخبرهم بما فى امكان الانسان أن يفعله ثم ان الزلازل التى أطاحت وجه باب ذلك الايوان لم تؤثر الا فى الاعمدة الاربعة القريبة من الباب دون غيرها فوقع منها ثلاثة وبقى الرابع على حاله حاملا ما فوقه فانظر كيف كانت قوة المصريين وما كان غرضهم من مثل هذا العمل وما قدر المدة التى استحضروا فيها جميع هذه الصخور وما مقدار مدة البناء التى يتوافى بها هذا الايوان وزعم المؤرخون أن هذا الايوان كان معدا للجمعيات العامة وليس معبدا من معابد الديانة ومينوس الذى هو منفتاه الاول على قول شامبليون الصغير هو الذى ابتدأ فى بنائه وسيزوستريس الاكبر ابن سيتوس المذكور هو المتمم له والعالمون باللغة المصرية القديمة قرؤا ما على الجدران من النقوش واتفقوا على أنها وصف وقعات حصلت من سيتوس مع من حاربه حتى ان من تأملها ولو غير عالم بهذه الكتابة يرى من غير مشقة رسوم الوقعات فان النقاش قسم الحائط الى أقسام وبين فى كل قسم منها واقعة بأحوالها ورسم فى تلك الاقسام صورة فرعون مصر راسما موافقا الحالة من أحواله فتارة فوق عربة كأنه يضرب الاعداء بسهامه فيوقعهم ألوفا حوله فى هيآت مختلفة وجعل مريبت بك فى كتابه طول الايوان مائة متر واثنين والعرض نصف الطول وقال ان أقدم ما وجد عليه من خراطيش الفراعنة خرطوش سيتى الاول ويقال له سيتوس الاول من العائلة التاسعة عشرة كان قبل المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة وقد وجدت به اشارات ربما يؤخذ منها أن سيتى المذكور لم يكن هو الذى بناه وانما يعزى بناؤه الى أمينوفيس الثالث وكان اولا مسقوفا جميعه وانما يدخله النور من شبابيك توجد آثارها الى الآن انتهى ثم ان النقاش كان يتنوع فى رسم فرعون مصر فتارة يرسمه وعربته وخيوله كبرج من أبراج الحصون المرتفعة والاعداء فى حذاء ركبتيه وصدر الحصان مشرف على جيش العدو بتمامه وتارة يرسمه على هيئة شخص قابض باحدى يديه على منخر ديس من رؤساء جيش العدو ويده الاخرى متهيئة لذبحه وتارة يرسمه على هيئة شخص واضع قدمه على عنق احد الاعداء ليذبحه وتارة يرسمه على صورة يجر خلفه الامم التى استحوذ عليها وفى قبضته جملة من امرائهم يفعل بهم كما يفعل بالطفل وفى نفس النقش يظاهر على الاعداء صورة الاطاعة والامتثال وتراهم امام جيوشه المنصورة كأنهم يقطعون بأنفسهم غابات بلادهم لتخليص الطريق لهم وترى صورة الامراء من جميع الطوائف امام ركابه فى غاية من الخضوع والامتثال وكان كل طائفة تؤدى ما يجب عليها

اسدته من التبجيل والاحترام الى غير ذلك من الاحوال مع غاية احكام الصنعة ودقتها وهذا مما يدل على أن المصريين بلغوا النهاية القصوى فى احكام صناعة الرسم وغيره وقد قرأ مريبت بك ماوجد منقوشا على الحائط البحرى للايوان فرن مضمونه أن الملك سيتى حارب عدة جهات من بلاد آسيا كالارمنت والعراقيين وعرب الصحارى المسمين قديما بالشاذ ورأى فى النقوش أن هذا الملك على عربته داخل فى وسط المعمعة وأن أعداءه وهم الشاذ ومنهزمون وسهامه واقعة فيهم وكأنهم فى انهزامهم يدخلون قلعة كنعانة ورأى أنه فى وقعة ثانية يحارب فى بلاد خارو وان الاعداء يقعون قتلى بسهامه وخارو جهة من جهات مصر وفى وقعة ثالثة يرى انه يحارب العراقيين المسمين فى اللغة القديمة الرتنو وان الاسرى منهم يقدمون الى مقدسى طيب وان الملك بعد نصراته دخل مصر وانه مر بجملة قلاع ولما وصل الى قلعة بيثوم وامامه الاسرى قابله امراؤه المصريون بقرب نهر به كثير من التماسيح وهنوه بالسلامة انتهى ووجد شامبليون الصغير على أحد جدران الكرنك عبارة باللغة القديمة دالة على صحة ماقرره من المعانى التى كشف بها الحجاب عن الكتابة المقدسة وهذه العبارة مكتوبة على صدور طائفة من الاعداء مرسومة صورهم فى الحائط القبلى للايوان بكيفية يرى منها أن فرعون مصر يقودهم الى قدام معبوده وفيها اسم بلده والامة التى هو منها ومكتوب على صدر آخرهم جودا ملك ومعنى ذلك بالعبرانى يهوذا فان قلت كيف وجدت هذه الامة العبرانية مكتوبة بالحروف المصرية القديمة مع أن هذه اللغة ليست بعبرانية قلت لاغرابة فى ذلك الاترى انا نكتب بحروفنا العربية كلمات افرنجية وتركية وهندية وهكذا وفى ترجمة التوراة أن ملك مصر سيزاك الذى هو سيزونك المكتوب على حائط ايوان الكرنك تغلب على القدس وأخذ الملك روبعام أسيرا ومن هذا يظهر أن ملك مصر استولى على أرض القدس من ضمن البلاد التى تغلب عليها فقد حصلت موافقة تامة بين المذكور فى ترجمة التوراة والمسطر على جدران المبانى العتيقة ومافيها مما مطابق لما هو مذكور فى جدول مانيتون وعنده ان فرعون مصر سيزوستريس هو سيزاك المذكور فى الكتاب المقدس أو سيزونك المكتوب على جدران المبانى العتيقة وكان ذلك فى القرن العاشر قبل الميلاد ومن هنا يؤخذ مبدأ وضع مدد الحوادث التى أتت بعد ذلك وقال مريبت ان على الحائط الجنوبى للايوان من جهة الخارج كتابة جديرة بالاعتناء تتعلق بخصوص وقعة حربية فى بلاد فلسطين حصل فيها نصرة للملك سيزاك أول ملوك العائلة الثانية والعشرين وفيها يرى سيزاك رافعا يده كأنه يضرب الاسرى الجاثين تحت أقدامه وفى جهة الشمال يرى أمون مقدس مدينة طيب وصورة امرأة هى رمز للبلاد القبلية وبيدها جعبة السهام والقوس ودبوس الحرب وكلاهما واقف امام الملك وقريبه نحو مائة وخمسين انسانا كأنهم ينظرون من قلعة اومدينة ويمشون خلف المقدسين وفى النقوش معنى ذلك ان الآلهة المقدسين قد جلبوا ما فى البلاد والمدن التى تغلب عليها الملك وفتحها ويهدونها له وان فى الخرطوش التاسع والعشرين كما قال شامبليون جودا ملك واستنبط من الرأس المرسوم فوقها انها صورة الملك جودا الذى غلبه سيزاك ولكن الذى يظهر من مباحث بركش ان اسم جودا ملك كـكثير من الاسماء انما هو اسم لجهة من بلاد فلسطين وعلى هذا فلا نجزم بأن هذه صورة حبر وبعام ثم ان المائة والخمسين صورة المرسومة تشير كل واحدة منها القبيلة من الامم التى تغلب عليها هذا الملك وعلى الحائط المتقاطع عموديا مع هذا الحائط لوحة كبيرة فى نهايتها الشرقية عليها قصيدة شعرية قالها بنطاور الشاعر يمدح بها رمسيس الثانى بعد محاربته للقوم المعروفين بالخيتاس وفى نفس الحائط رقوم يقرأ منها شروط الصلح بين خيتاس ورمسيس فى السنة الحادية والعشرين من سلطنته انتهى ويوجد فى الكرنك بعد هذا الايوان مبان أخر بعضها متخرب وبعضها آيل للخراب الا انها ليست مثله فى الفخامة ومما يمتاز من تلك المبانى بحسن الكتابة والنقش المسلة التى على يسار الخارج من الايوان المذكور وتنسب الى ملكة كانت قامت باعباء الملك نيابة عن أخيها طوطموزيس وصورتها مرسومة على هذه المسلة كصورة رجل وجميع العبارات المكتوبة على المسلة متعلقة بهذه الملكة واسمها فى الكتابة بنت الشمس وانما رسمت على صورة رجل لان شرف الديانة المؤسسة عليها الحكومة كان مانعا من أن تكتب صورة امرأة على الآثار برسم انها ملكة وقال مريبت ان هذه المسلة تنسب الى الملكة هترو من العائلة الثامنة عشر وهى من الملوك المشهورة تستحق الذكر فى أكابر الملوك وان هذه المسلة أكبر مسلة صار العثور عليها الى الآن فانها كانت ثلاثة وثلاثين مترا وعشرين جزأ من

مائة من المتر بخلاف غيرها فان ارتفاع مسلة عين شمس عشرون مترا وسبعة وعشرون جزأ من مائة من المتر وارتفاع المسلة المنقولة من الاقصر الى باريس اثنان وعشرون مترا واربعة اخماس متر ومسلة رومة التى فى ميدان بطرس خمسة وعشرون مترا وثلاثة عشر جزأ من مائة من المتر والمسلة الموجودة فى ميدان مارى جان اثنان وثلاثون مترا وخمسة عشر جزأ فلم تساو واحدة منها هذه المسلة وكان محورها ومحور المعبد نفسه بالضبط والتحرير وهذا مما يثبت ان المصريين كانوا يستعملون وسايط ميكانيكية وعلى قاعدة المسلة سطر افقى يؤخذ منه أولا ان رأس المسلة كان مكسوا بالذهب الخالص المكتسب من الاعداء وربما كان المراد بذلك الكرة التى على رأس المسلة فى صورة هرم صغير ويؤخذ ثانيا من الدقة والصقل الذى فى الكتابة انها كانت جميعها مذهبة وثالثا ان هذه المسلة والمسلة الثانية المكسورة قد تم عملهما فى سبعة أشهر من ابتداء قطعهما من الجبل الى آخر العمل انتهى ثم اذا دخلنا الخراب نصل الى أمكنة تثبت قبل الايوان بقرون فهى أقدم المبانى فى جهة الكرنك وهى معابد فراعنة العائلة الثامنة عشرة وهناك فرعون من فراعنة العائلة الثامنة عشرة اسمه أوزورتزان الاول كان من أرباب السطوة قبل العرب الذين ملكوا مصر واسمه منقوش على عمد باقية لم تؤثر فيها حوادث الدهر وآثار هذه المدة قليلة لكنها مفرحة لانها تدل على أعمال جليلة فى زمن بعد مدة الاهرام بأعصر عديدة ومع ذلك فالمؤرخون أطلقوا عليها اسم المملكة القديمة وذلك بالنسبة للمدة التى أنشئت فيها مبانى طيبة لان هذه المبانى كانت قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا وهذه العمد المكتوب عليها اسم الفرعون أوزورتزان ومسلة عين شمس التى هى من جملة عمله كما يدلان على علو درجة المصريين فى الصناعات والعلوم يدلان أيضا على انهم فى وقت دخول العرب أرض مصر كانوا فى أعلى درجة من الثروة والابهة وذلك ان هؤلاء العرب لم يتركوا بناء من غير أن يخربوه فتارة يمحى أثره بالكلية وتارة تبقى منه بقية وكان ذلك دأبهم خمسة قرون متوالية وبعد نزع الارض من أيديهم حدثت مبان وشيدت سرايات ومعابد فاخرة لم تزل آثارها باقية الى الآن يتعجب منها كل من رآها فى المدة التالية لخروجهم من مصر حصل الاعتناء والدقة فى المبانى والزينة والزخرفة وكثرت الرغبة فى الرونق والبهجة بخلاف المدة التى تلت ذلك فان الرغبة كانت فى العظم والمتانة فقط وهذا بخلاف المعهود الجارى على طريق العادة فى الحرف والصنائع من ان الرغبة فى المتانة تكون أولا ثم الزخرفة تكون بعد ذلك والحق ان مدة العظم الاكبر وهى وقت بناء الاهرام وأبى الهول الموجود تحت الهرم الكبير الذى هو على صورة طوطمزيس الثالث كانت سابقة على مدة الزخرفة المذكورة وهذا ينتج ان الناس فى ذلك الوقت كانوا يرغبون فى التعظيم أيضا لانه قد عمل اذ ذاك تماثيل هائلة وأمور أخر مثل المسلة الموجودة فى رومة فانها تعزى الى هذا الفرعون وكذا سرايته المسماة باسمه فهذه أبنية لو قورنت بغيرها لفاقته عظما ما عدا ايوان الكرنك فانه ليس هناك بناء يقرب منه ثم انه كان باحدى زوايا هذه السراية قاعة تسمى قاعة الكرنك قد نقلت الى باريس بعد العناء الشديد والمشقة الزائدة بواسطة أحد السياحين الفرنساوية ويقال ان لبسوس البروسيانى بحث عنها وكان قصده نقلها الى وطنه ليحتفظ به ولا تكون عرضة لغائلات الدهر وعلى جدرانها صورة فرعون مصر طوطموزيس الثالث يقدم قربانا لعدة من الملوك السابقين عليه وصورا أخرى وكلها ملحقة باسمه فهى أثر من الآثار الجليلة دال على أسماء فراعنة سابقين على العائلة الثالثة عشرة فهى بلا ريب عبارة عن سلسلة أجداده فحينئذ بمساعدة ذلك مع ما هو مذكور فى الملف العتيق المحفوظ الآن بخزانة الآثار بمدينة تورين تخت البروسيا يمكن الوصول الى ترتيب سلسلة الفراعنة بطريق منتظم ثم اذا سرنا من ايوان الكرنك نحو الجنوب نجد أبوابا أربعة بعضها داخل بعض على أبعاد معينة والثالث منها يقال له باب هوروس آخر فراعنة العائلة الثامنة عشرة وهو ممن جعلوا اجل رغبتهم الزخرفة واتقان الصنعة فلذا لم يكن أدق من النقوش الموجودة على جدران هذا الاثر الا أنه يخشى عليه من أيدى الفلاحين لانهم يرون أن أخذ الاحجار منه أهون عليهم من قطعها من الجبل وأخذ الحجارة من الآثار القديمة هو دأبهم فى كل زمن وهذا هو السبب فى عدم العثور الآن على ما يكمل به تاريخ الديار المصرية ومع ذلك فقد انكشفت أسماء كثيرة للسياحين كانت مجهولة وأضيفت لما وجد سابقا على أحجار عثر بها الفلاحون وبقرب هذا الايوان معبد باسم المقدس خونس الذى جعلته اليونان هرقول وقد عثر هناك السياح الفرنساوى

المذكور آنفا فاظهر اثنى عشرة قاعة على واحدة منها صورة مقدس له سبعة رؤس ولم يوجد نظير ذلك الى الآن فى سلسلة مقدسى مصر فلعله غريب ليس من هذه البلاد وقد وجد أيضا معبد قرب سراى الكرنك تحت الارض مكتوب عليه اسم ملك من ملوك الحبش اسمه طراكا ولعله المعروف فى ترجمة التوراة باسم طراش ووجد فى معبد خونس المتقدم رسوم تدل على غارة حدثت عقب مدة رمسيس وان بناءه كان فى مدة من ورثه من ضعفاء الفراعنة بعد رمسيس الاكبر الثانى الذى يشتبه على المؤرخين برمسيس المشهور باسم سيزوستريس ويقرب من أسماء هؤلاء الضعفاء ما وجد من أسماء عائلة من الكهنة يظهر أنها تغلبت على ملك الفراعنة وعوضت السلطنة الملوكية بالسلطنة الدينية وصار بيدها الحل والعقد وأقدم هؤلاء الكهنة وضع اسمه بين أسماء الملوك وهو ما تسميه المؤرخون بالكاروتش من غير تعرض للقب الملك ومكتوب فى معبد المقدس أمون ان اسمه الكاهن الاكبر وقد استكشف بعض السياحين فى ركن من أركانه ان هذا الخائن تلقب بلقب الملك فى بعض الامور ومن هذا يعلم ان طائفة القسيسين كانت مترقبة لنزع السلطنة من الطائفة العسكرية لتستحوذ عليها وتكون فيهم سلسلة السلطنة على ديار مصر بعد الرمامسة فاستعملوا الحيلة فى ذلك حتى وصلوا لمطلوبهم ثم انه يشاهد فى المعبد أثر قدمين عليهما كلمات مكتوبة بالحروف العادية التى كانت تستعملها الاهالى يستدل بها على ان الناس كانوا يحجون اليه بل بعضهم استدل بها على ان الحجاج كانوا يأخذون بعض أتربة من الصخرة التى عليها صورة القدمين على سبيل البركة كما تأخذ الناس الآن بعض أتربة من صخرة فى بلاد الايرلاندة لاعتقادهم ان أحد المقدسين دفن فى هذه الصخرة وهناك امرأة لا وظيفة لها غير حك الصخر وبيع ما تحلل منه على الحجاج ومهما وجه الانسان وجهه يرى آثار سرايات ومعابد وهياكل وثلاثة أبواب أحدها فى الجنوب والثانى فى الشرق والثالث فى الجهة البحرية وكلها حول الايوان الذى فيه مائة وأربعة وثلاثون عمودا ومسلتان قائمتان فى وسط تلك الاعمدة كاملتان لم ينقص منهما شئ فعلم مما سبق سلسلة حوادث تاريخ الديار المصرية فى ظرف عشرين قرنا متوالية ولكنا لم نعثر على آثار فى الكرنك تدل على حوادث مدة الاهرام أو المدة العتيقة اغما دلتنا هذه الآثار على ان العرب تغلبوا على مصر وأقاموا بها خمسمائة عام ثم أخرجهم منها الفراعنة المعروفون بالرمامسة وهم فراعنة العائلة الثامنة عشرة وفى مدة اشتغالهم بطردهم تأسست سراية طوطموزيس الثالث فى محل المعبد القديم الذى أزالوه ومن هذه المدة أخذت المبانى فى الرونق والبهجة ثم فى زمن رمسيس بنى الايوان الهائل العجيب المنظر ونقش عليه وقعات فتوحاته ونصراته وعقب ذلك استولت على الملك طائفة القسيسين زمنا قليلا ثم استولت بعدها عائلة من عائلات الملوك وأغارت على أرض البابليين وأسر ملك يهوذا أحد الملوك المصريين من هذه العائلة ثم بعد ذلك هجمت الفرس على أرض مصر فدفعهم عنها فرعونها امير تيه ثم دخل الاسكندر الذى ادعى المصريون انه ابن نكتانيبو وادعت الفرس انه أخو دارا ثم استولت البطالسة على ملك الفراعنة والثلاثة الابواب التى تقدم ذكرها تعزى الى هؤلاء البطالسة وقد وجد اسم القيصر مكتوبا بجانب اسم رمسيس الاكبر هذا مجموع ما دلت عليه الآثار المنتشرة حول القرية الصغيرة المعروفة بالكرنك ومن الزاوية الجنوبية الغربية لتلك القرية تمتد طريق فى طرفها صورة أبى الهول الى جهة الجنوب وبعد ألفى متر تقريبا تصل الى سراية الاقصر والغالب ان هذه الطريق هى التى كانت تسير فيها المواكب فى المواسم ونحوها ثم ان صورة أبى الهول كانت عند المصريين السابقين علامة على العظمة والامارة ومما ينبغى التنبه له انه اذا كانت هيئة رأس الصورة كهيئة رأس الآدمى دلت على السلطنة واذا كانت على صورة رأس جمل دلت على المقدس أمون وعلى القدرة الالهية وبالقرب من القرية المذكورة استعوض بدل صورة أبى الهول كباش على صدورها صورة طوطموزيس الثالث على هيئة المقدس أوزوريس وأما الآثار القديمة الباقية من عمائر الاقصر فانما توجد داخل بيوت أهل تلك الجهة بخلاف آثار الكرنك فانها بجنب البيوت وآثار الاقصر كآثار الكرنك من حيث ان كلا منهما عبارة عن مبان بنيت فى أعصر مختلفة لكن آثار الاقصر أقل من آثار الكرنك وتاريخها أبسط وجميعها منقسم بين المدنيين اللتين أقيم فيهما مدينة الكرنك وأقدم ذلك ما بنى فى زمن امينوفيس الثالث المسمى عند اليونان ميمون وتماثيله قائمة فى الجانب المقابل للنيل وهذه القرية بناها هذا الفرعون الذى هو من عائلة طوطموزيس

وما فيها من الكتابة مخصوص بولادته وتربيته فى حماية الاله ويوجد بجانبها البحرى دهليز من أعمدة نصبها من
تولى الملك بعده مجعولة طريقا موصلا للسراى التى بناها رمسيس الاكبر وفى هذه العمد تشاهد العظمة والابهة كما فى
ايوان الكرنك وهذه السراى تشتمل على فضاء سعته ألفان وخمسمائة متر مربع يحيط به دهليز مغطى وأمام الباب
الموضوع فى اول مدخل لهذا الفضاء المسلتان اللتان نصبهما رمسيس المذكور احداهما قائمة للآن فى محلها
والاخرى قد نقلت الى أحد ميادين باريس تخت الديار الفرنساوية ثم ان المسلة عند المصريين كانت اشارة الى
البقاء كما ان أبا الهول كناية عن العظمة والقدرة ولذلك لا توجد المسلات دائما الا امام الايوان ومكتوب على أوجه
هذه المسلة العظيمة التى هى قطعة واحدة ووزنها ثمانية آلاف قنطار أن رمسيس الثانى هو ابن الشمس ومحبوبها
وهو الاله الخير وملك الدنيا وقاهر الامم الى غير ذلك من الاوصاف الفخيمة وانه زين مدينة طيبة بالمبانى الباقية العظيمة
ويوجد قريبا من الباب بجانب المسلة أربعة تماثيل ارتفاع الواحد منها ثلاثون قدما وهى صور رمسيس المذكور
وقد زحف الرمل عليها ودفن أغلبها ولم يبق منها الا الصدر والرأس ومسطور على وجه الباب فتوحات فرعون ونصراته
تقليدا لما فعله والده فى سراية الكرنك ويعلم من هذه الآثار انه حصل ترميم فى هذه المبانى قبل مدة العائلة الثامنة
عشرة والعائلة التاسعة عشرة ومما يستغرب فى ذلك أن الملك الحبشى الاصلى سابافو وأجرى مرمة وجهات الباب فى
القرن الثامن قبل الميلاد ثم ان الاسكندر الذى وجد اسمه مكتوبا فى نقوش سراية الكرنك وجدهنا انه عمل مرمة
سراية الاقصر يعنى سراية امينوفيس وقال شامبليون الصغير ان الاسكندر هذا هو ابن الاسكندر الاكبر ولعله أخاه
ولا يوجد فى الاقصر أثر لليونان ولا للاروام يعنى قياصرتهم هذا ما اطلعنا عليه فى البر الشرقى ويبقى علينا ان نطلع
على ما فى البر الغربى فنجوز البحر أولا ثم نصعد الى الجهة القبلية حتى نصل القرية المعروفة بالقرنة وهى من العمارات
العتيقة التى تعزى الى رمسيس وهى فى العظم أقل من سراية الكرنك وسراية الاقصر والموجود من هذه السراية
بابان منعزلان وطريق مزين من طرفيه بصور أبى الهول واذا وصل الانسان الى العمارة رأى دهليزا طوله مائة وخمسون
قدما وفيه عشرة أعمدة فخمة وايوانا صغيرا على ستة أعمدة بنى مع بناء الايوان الذى فى الكرنك ويعزى الجميع الى
سيتوس وولده رمسيس والنقوش الموجودة على الجدران يفهم منها تعظيم فرعون للالهة الذين وصلة الملك منهم بدون
واسطة الكهنة وهذه العبارة لا توجد فى غير هذا المحل وهى من المهم بالنسبة لتاريخ هذه الاعصر لدلالتها على تداخل
الكهنة فى أمور المملكة ويؤخذ منها أيضا أن فرعون كان ملكا وكاهنا وأن الاله كان يخاطبه بقوله قد وهبتك القوة
والعظمة والنصر وغير ذلك وكثيرا ما يرى الملك وبجانبه المقدس المعبود وهذا مما يدل على أن الامر كان مشتركا بينهما
وقال مريت ان عمارة القرنة توجد فى حدود أرض الزراعة فى مدخل الوادى الموصل الى بيبان الملوك وكانت مسبوقة
ببابين فخمين لم يبق منهما غير بعض الاحجار وانها بنيت مع عمارة معبد أبى دوس المعروف بمعبد سيتى وكان مقبرة ثم
جعل معبد المقدس أوزريس نفسه بخلاف معبد القرنة فانه للمقدس فيه وهو رمسيس الاول بناه له ابنه سيتى
وكانت العادة فى مواسم معلومة ان يجتمع أقارب الميت ويؤانسوه كمؤانسة الحى فكان أقارب رمسيس يفعلون ذلك
ومع ذلك فقبره ليس بهذا المحل بل فى بيبان الملوك مع قبور باقى الموتى والذى عثر على هذا القبر بلزونى الطليانى منذ
خمسين سنة وهو فى الفرع الايمن من المقابر والذى أتم بناء هذا المعبد هو رمسيس الثانى انتهى وأما العمارة المشهورة
عند المؤرخين بقبر أوزمندياس فنذكرها لك بأوضح بيان فنقول ان ديودور الصقلى ذكر فى مؤلفاته ان هذه العمارة
مقدار أربع عمارات من عمائر طيبة العظام فى السعة وانه كان بها دائرة فلكية من الذهب الخالص محيطها ستمائة
قدم وسمكها قدم وكان بها أيضا كتبخانة مكتوب على بابها اغذاء الروح وقد أنكر كثير ممن لهم معرفة باللغة المصرية
القديمة كون هذه العمارة هى قبر أوزمندياس وما ذكره ديودور من ان الدائرة الفلكية كانت من الذهب الخالص
استبعده المتأخرون لكن ديودور قد ساح فى هذه الارض فى الزمن العتيق وبنى ما قاله على المشاهدة والعيان
بخلاف المتأخرين فانهم بنوا كلامهم على الظن بسبب كون هذا الامر خارقا للعادة وربما أيد قول الصقلى عدم
المشابهة بين تلك المبانى القديمة الموجودة للآن وبين المبانى التى تصنع فى وقتنا فان بينهما بونا بعيدا بحيث لا تمكن
المقارنة بين اعمالنا واعمال قدماء المصريين وهذه العمارة المعروفة بالقبر كان جزء منها سراية للسكنى وجزء كان معدا

للعبادة وقال بعضهم هي سراية مثل السرايات التي بنيت زمن العائلة الثامنة عشر والتاسعة عشر على شاطئ النيل وتلك السرايات عبارة عن عدة حيشان وأواوين يحيط بها أعمدة هائلة مصورعليها فرعون مصر بصور مختلفة فتارة على هيئة عابد متلبس بالعبادة ومرة كأنه يقرب القرابين وطورا كأنه جالس مع الآلهة وكأن الاهالي تعبدهم وحينا كأنه يشن الغارة على البلاد ويقهر العباد ويسلب الاموال ويسوق الاسرى وما أشبه ذلك وفرعون مصر رمسيس مصور كأنه جالس على تخت ارتفاعه ثلاثة وخمسون قدما وطول قدمه يزيد على اثني عشر قدما والساعد على ظهره كأنما يعد فوق صخرة من جبل وايوان هذه السراية يظهر منه الرونق والظرف والدقة وفيه ثلاثة عمد في غاية الحسن تنشرح النفس عند رؤيتها وعلى أحد جدرانه أسماء أولاده الذكور الثلاثة والعشرين وأما أسماء بناته الثلاث عشرة فوجدت منقوشة في معبد بلاد النوبة وفي جهة أخرى من الايوان كتابة قرئت فوجدت ترجمتها هذه السنة الرابعة والستون من سلطنته وفي هذا دليل على طول عمره وكثرة فتوحاته ونصراته في البلاد الشاسعة وكثرة الجهات التي تغلب عليها وأدخلها تحت طاعته ومنه أيضا يثبت ما قاله مؤرخو الروم وغيرهم من شهامته وعظيم سلطانه وسطوته وصورته مرسومة على أحد أبواب السراية والقسيسون يعظمونه ويقربون له تماثيل ثمانية عشر فرعونا من السابقين من ذلك تمثال منيس مؤسس ملك الفراعنة وتمثال رمسيس الثاني يعني تمثال نفسه وقد استدلوا بذلك على انه قبل زمنه حصل تغلب ثمانية عشر عائلة على تخت الديار المصرية في مدة ألفين وخمسمائة سنة من جلوس منيس على التخت وان عائلته أولى بالجلوس على تخت آبائه واجداده وقال مريت ان هذا القبر يسمى الرمسيوم ويسمى سراية ممنون وان بانيه هو رمسيس الثاني بناه على نسق ما كان يعمل في الازمان السابقة وكتب عليه صفاته ووقعاته واحواله ليطلع عليها من رآها بعد موته الى آخر الزمان وكان ذلك جاريا في كثير من القبور ففي بني حسن قرئ على بعض احجار قبور رهان أميني أمنيمها يقول اني لما كنت رئيس المشاة تغلبت على النوبيين ولما كنت مدير مديرية صاكنت شفوقا على الارامل والاطفال ونحو ذلك وقد قرئ على جدران الرمسيوم صفة حوادث تاريخية ووقعات حربية في بلاد الشام على شاطئ نهر الاردن وفي احدى الوقعات ان رمسيس المذكور يحارب جملة قبائل اسمها العام حطائين وان المدينة القريبة من الوقعة هي مدينة عطيش وان الاعداء محيطة به وقد فارقه رجاله فلم يكترث بهم ولم يبال بجمعهم وهجم بمفرده عليهم فقتل رؤساءهم وشتت جموعهم وغرق أغلبهم في النهر وانتصر بمفرده نصرة تامة على جمعهم وهذه الوقعة مرسومة على الباب الاول للرمسيوم فتارة يرى في حالة الهجوم واعداؤه في حالة الانزعاج والخوف وتارة ترى الاعداء تحت العربات وارجل الخيول والبعض أصابته سهام الملك وقتلته وفي لوحة أخرى يرى الملك على تخته والامراء قد حضروا لتهنئته بالنصر وهو يوبخهم على فرارهم وتركه بين الاعداء بمفرده وصورة هذه الوقعة هي التي شرحها بنطاوور في شعره وكان تمثال رمسيس المذكور موضوعا امام الباب وهو قطعة واحدة من الصخر ارتفاعها سبعة عشر مترا ونصف ووزنها مليون ومائتان وسبعة عشر ألف وثمانمائة واثنان وسبعون كيلوغرام وقد سطت عليها أيدي الزمان فكسرتها وعلى واجهة الباب في الجهة المتكئ عليها التمثال صورة وقعة أخرى لرمسيس مع الخيتاس انتهى وعلى بعد قريب من السراية توجد أرض متسعة مغطاة بالحشائش وقطع شتى من الصخور بعضها قطع أعمدة وبعضها على هيئة ألواح مستطيلة منها ما شكله مكعب ومنها غير ذلك وأغلبها مغطى بالطين والرمل وهي آثار سراية ممنون الشهير عند المؤرخين باسم أمينوفيس الثالث أحد فراعنة العائلة الثامنة عشر وكان لهذه العائلة سراية أخرى في البر الشرقي من النيل قد هدمت ولم يبق منها الآن غير التمثالين اللذين في وسط أرض طيبة امام باب السراية متقابلين بوجوههما وارتفاع كل منهما تسعة عشر مترا وستون جزأ من مائة من المتر عافيهما من القاعدة وهي أربعة أمتار وكل منهما حجر واحد وهما تمثالا الفرعون أمينوفيس المذكور احدهما في الجهة القبلية وثانيهما بالجهة البحرية وعند تمثالان ملاصقان لقاعدتيهما تمثالا أمه وزوجته كما قال مريت بك وهو الذي له الشهرة العظيمة بسبب الصوت الذي كان يسمع منه كل يوم عند طلوع الشمس وكان يعرف عند مؤرخي اليونان بتمثال ممنون ووجد على ساقه الايمن اثنتان وسبعون عبارة باللغة اللاتينية والرومية بعضها شعر وبعضها نثر ولا يتمكن من قراءتها الا بالصعود على درجة هنالك سمكها متر واحد وهذه الكتابة بعضها

كتبه الزائرون لهذا المكان من الاهالى شهادة منهم بسماع الصوت من ذلك التمثال ومنها ما كتبه بعض السلاطين والامراء الذين شاهدوا هذا المحل وكل من كتب عليه شيأ ذكر اسمه فمن ذلك اسم القيصر أدريان واسم زوجته سابين ومنها ما لا فائدة فيه يعتد بها وفى بعض العبارات المكتوبة انه اتفق انقطاع الصوت فى وقته الذى يحصل فيه فاقتضى الحال رجوع بعض الناس عدة مرات لسماعه وكان حصوله دائما فى فصل الخريف والشتاء والربيع فلذا كان غالب الكتابة من السياحين الاجانب لانها أوقات سياحتهم الى الآن وبعض الناس تكلم على سبب هذا الصوت بعد ثبوته بشهادة اثنين وسبعين رجلا ما بين قياصرة وامراء ثقات فقال ان أول حدوثه كان زمن نيرون قيصر الروم وسبب ذلك ان التمثال كان قد انكسر من زلزلة حصلت فصار يخرج منه الصوت عند طلوع الشمس بعد ان كان لا يسمع منه شئ أصلا ويدل لذلك انه فى مدة القيصر سبتيم سوير أمر بجبر كسره لشدة ميله للديانة فأصلح فانقطع الصوت منه بالكلية من ذلك الحين وصار لا يزار ولا يكتب فوقه شئ لا شعر ولا نثر فلم يزده الاصلاح الا عدم احترام الناس له وقال مريت ان الزلزلة التى حصل منها هذا الصوت كانت قبل الميلاد بسبع وعشرين سنة وبينها وبين اصلاحه الذى انقطع به صوته قرنان من الزمان انتهى والحامل على تسميته ميمون باليونانية انه كان فيمن تعرض لاسمائهم أميروس فى اشعاره بشجاع مسمى بهذا الاسم واسم والده الغلس وانه كان من ملوك الحبشة تسمى بهذا الاسم أيضا أو ان الديار المصرية ربما كانت لا تخلو من وجود هذا الاسم فيها فبحثوا عنه فى جميع جهاتها ونواحيها فوجدوا فى مدينة طيبة فى المحل الذى به التمثال حارة مسماة بمنونيوم فاختصروه وجعلوه ميمون وسموا به ذلك التمثال ثم ان هذا الصوت انما كان يحصل من تعاقب حرارة النهار ورطوبة الليل أعنى فى وقت الغلس لكن الكهنة لما رأوا ذلك يحصل دائما فى ذلك الوقت المخصوص انتهزوا فرصة تعظيم هذا التمثال على عادتهم فى التمويه على الناس فقالوا ان ميمون صاحب هذا التمثال يقرأ على والدته وهى الشمس السلام كل يوم فى هذا الوقت وجعلوا ذلك خصوصية لهذا التمثال ومنقبة يحترم بسببها وأدخلوا ذلك على الخلق على عادتهم فى أمور الديانة حتى تمكن من عقول الاكابر والاصاغر والعام والخاص فلما جاء اليونان تلقوه بالقبول واعتقدوه ديانة فلم يزد عند الناس الا تمكنا وانتشارا حتى صار الناس يزورونه ويتبركون به ويتقربون اليه القرابين وتسارع الى ذلك الملوك قبل الصعاليك والاكابر قبل الاصاغر فانظر كيف أسس الكهنة هذه الخرافات التى سارت بها الركبان ولم يتدبرها احد من أهل العرفان وكثيرا ما أدخلوا الاباطيل على عقول الناس واستمر ذلك فيمن بعدهم جيلا بعد جيل فلذا تجد المصريين من قديم الزمان الى الآن غريقين فى بحار التقليدات وأسرى تحت ايدى التمويهات مع ان دخول الخطا على الانسان بسبب غيره أكثر من دخوله عليه بسبب نفسه ومن تنبه عرف ذلك ولكن نشأت الكافة على الغفلة والتسليم لارباب الدعوى حتى صار ذلك كالجبلة لهم واذا حصل لاحدهم شك فى دعوى مدع فلا تمكن من مخالفته ولا الرد عليه بل يكون مجبورا على اتباعه ولذلك كانوا فى كل زمن عرضة لان يقوم فيهم أناس يدعون انهم رجال الله أو انهم لهدى الخلق وتوصيلهم الى ما فيه رضاه مع ان دعوى أكثرهم باطلة وليس لهم مقصد سوى تقييد الخلق بقيد الذل لهم ليستعبدوهم ويستعملوهم فى أغراضهم ويوجهوهم كما شاؤا ولما تنبهت الخلق فى أيامنا هذه نوعا قلت الدعاوى وقل من يتبع مدعيا فى دعواه وصار من النادر العثور على أناس يقبلون أمرا ويصدقون به قبل وقوفهم على حقيقته ثم ان مريت بك قال ان بين تمثال ميمون ومدينة أبى عمارة قرية تعرف بقرنة مرعى خلف المقابر القديمة فى فجوة صغيرة من الارض وهى من بناء بطليموس قيلا باطور وتممها خلفاؤه من بعده انتهى وأما مدينة آبو ففيها عمارات تشبه عمارات الكرنك من حيث ان بعضها ما اعتنى فيه بالاتقان والاحكام أكثر من الاعتناء بالعظم والفخامة وهو الذى بنى زمن طوطموزيس الثالث على قول مريت وبعضها فيه العظم أكثر من الاتقان وهو الذى بنى زمن رمسيس الثالث فمن تلك الآثار سراى بناها رمسيس الثالث المسمى مايامون وهو من الفراعنة أرباب الفتوحات كاجداده رمسيس الاكبر وسيتوس وتلك السراى بجوارها معبد صغير لطوطموزيس الثالث وأمامها سراى أخرى ملاصقة لها تسمى بالقصر ليست من بناء هذا الفرعون واقدم هذه المبانى ذلك المعبد الصغير فانه بنى فى زمن طوطموزيس الثالث ومدخله يظن انه من بناء الرومانيين وعليه وعلى جدران الحوش يقرأ أسماء القياصرة تيتوس وأدريان وانطونان

والباب الذى يأتى بعده هو من زمن الرومانيين أيضا وعلى المدخل من أحد جهاته اسم بطليموس لاطير ومن الجهة الاخرى بطليموس أوليث وبعد ذلك حوش فى آخره باب من المبانى الفخيمة قرأ مريت بك عليه اسم الملك بطليموس لاطير وبتدقيق نظره تحقق له ان بطليموس هذا كان قد محا اسم الملك نيكتانيبو من هذا المحل ووضع اسمه مكانه ونيكتانيبو هو من العائلة الثلاثين قبل المسيح بثلثمائة وخمسين سنة كما ان نيكتانيبو كان قد محا اسم الملك طهراقا من هذا المحل ووضع اسمه مكان اسمه وطهراقا هو أحد ملوك الحبشة من العائلة الخامسة والعشرين قبل المسيح بسبعمائة وثمانين سنة فاولا كان الاسم لطهراقا ثم كان لنيكتانيبو ثم كان لبطليموس هكذا استدل مريت من آثار النقوش ثم اذا نفذ الانسان من هذا الباب يكون فى حوش آخر وهنالك يقرأ اسم طوطموزيس الثانى وطوطموزيس الثالث واسم الثالث مكررا أكثر من اسم الثانى وبعد ذلك اسم بطليموس فيسكون ثم أسماء من أعقبه على تعاقب الازمان فانظر كيف تعاقب القرون والامم والعائلات مع حفظ أخبارهم وهل بغير الآثار القديمة والكتابات العتيقة كان يمكننا ان نتوصل بافكارنا الى ما علمناه بواسطتها وقبل أن يكشف شامپليون الغطاء عن غامض هذه الكتابة كانت جميع المبانى السابقة معدودة من المبانى المصرية لكن من غير تعرض لاوقات حدوثها ولا من حدثت فى أيامه فبهذه الآثار الجليلة تحصلنا على معرفة ما بنى فى زمن كل أمة وكل عائلة ووقفنا على حقيقة عمل كل انسان من كل طائفة ففى نظر القارئ الى الحائط وتأمل الخرطوش يعرف من تنسب اليه العمارة من الفراعنة والعائلة التى ينسب اليها وان كان من الاغراب الذين أغاروا عليها عرف بلده ووقته فالعارف بهذه الكتابة اذا نقل نظره من حجر الى آخر ومن صورة الى أخرى من كل بناء أو تمثال كان كمن بيده كتاب ينظر فى أسطره ويقلب نظره فى صفحاته فيقف على حقيقة الغرض منه فالمسلات اشارة أو أحرف من كلمات والصور والتماثيل كذلك وربما كان المبنى نفسه اشارة أو حرفا من كلمات أيضا فانظر كيف كان المصريون ومعارفهم ورموزهم واشاراتهم التى لا يفهم معناها ولا الغرض منها كل أحد وأما السراى المسماة بالقصر فكانت مسكن الفرعون رمسيس الثالث وهو من ذرية رمسيس الاكبر وكان من أصحاب السطوة كجده وله فتوحات عظيمة وهى من أحسن مبانى الديار المصرية قال مريت ولها حوشان مربعان وجدرانها متماثلة وتميل كلها الى مركز واحد وزينتها وتناسبها تدل على أنها كانت مسكنا ملوكيا وفى داخل أودها يرى الفرعون رمسيس فى أحواله المنزلية وحوله عائلته واحدى بناته تناوله الازهار وهو يلعب الضامة أو الشطرنج مع امرأة ويتناول من أخرى فواكه وهو يبدى لها التشكر على صنعها ويؤخذ من ذلك ان هذه الالعاب كانت موجودة فى الازمان السالفة وقد وجد فى بعض المقابر حجارة الشطرنج ورقعته وهذا مؤيد لقول أفلاطون انه من مخترعات طوط يعنى ادريس عليه السلام أو هرمس الهرامسة قال مريت وفى هذه العمارة الفخيمة قد نقشت فتوحات رمسيس هذا فعلى جدران المدخل يرى رمسيس كانه يقدم الاسرى الى المقدسين ومما يستغرب من ذلك ان النقاش بين فى نقوشه حقائق طوائف أسراه بالوانهم وهيآتهم على وجه لا خفاء فيه فالناظر فى النقوش يميز كل طائفة من طوائف سكان آسيا وبلاد لبيا والسودان وغيرهم ممن دخلوا تحت طاعته والباب الشرقى يصل الى حوشين صغيرين مربعى الشكل وهنالك يرى ان النقاش اجتهد فى تصوير أجناس الاسرى ففى جهة الشمال صور اسرى آسيا وفى جهة الجنوب صور اسرى بلاد اللبيا والنوبة وعنون أسرى آسيا بقوله اولا الحقير المأسور بالحياة رئيس الخيتاس ورسمه بوجه كامل بدون لحية وجعل فى أذنيه أقراطا وعلى رأسه قلنسوة يبدو من تحتها شعر رأسه مرسلا على ظهره وثانيا الحقير رئيس بلاد أمارو ورسم وجهه مستطيلا وبه لحية مذنبة كحد الدبوس ثالثا رئيس الطغارى وجعل برأسه طاقية مخروقة الوسط بوجه كامل بلا لحية رابعا بلاد شردينا الكائنة بالبحر وجعل على رؤسهم بيضة من نحو نحاس وفوقها كرة خامسا رئيس الشاذ وسادسا بلاد ترسا من بلاد البحر سابعا بلاد كا واسرى بلاد آسيا والنوبة قد حصل فى صورهم بعض تلف فيرى فى صورة النوبيين أولا رئيس النوبيين الحقير وتقاطيع وجهه كتقاطيع العبيد والصورة الثانية والثالثة تالفتان غير ظاهرتين والرابعة رئيس الليبيو أى الليبيين له لحية مذنبة وشعره مرخى بجنب أذنه والخامسة رئيس بلاد ترس من النوبة بانف منحن وقفطان له شراريب والسادسة رئيس بلاد مشوش والسابعة رئيس بلاد طرروا وهذا الاخير مع الاول والثالث والخامس هم رؤساء

الامم النوبية المختلطة في الرسم مع الليبيين وفي هذه السراى لا يوجد الا خرطوش رمسيس الثالث كما ان الرسوم لا يوجد فيه الا خرطوش رمسيس الثاني وقال مريت بك أيضا ان باب معبد آبو من المباني الفخيمة ومن نقوشه يفهم ان رمسيس الثالث في السنة الحادية عشرة والثانية عشرة من جلوسه على التخت حارب الليبيين ومن تعصب معهم من أهالي الشام وجزائر البحر الابيض وانتصر عليهم فعلى واجهة الباب من الجهة الشمالية يرى كأنه يضرب بدبوسه الاعداء جاثين على الركب والمقدس أمون ارديشير يناوله بلطة الحرب ويقول قد وجهت وجهي الى جهة بحرى وأريد أن تكون بلاد كنعان تحت قدميك وان جميع أمم تلك الجهة التي لم تدخل في حكومة مصر تهدى اليك فضتها وذهبها وجواهرها وأوجه وجهي الى جهة الشرق وأريد أن بلاد العرب تهدى اليك بهاراتها وبخورها وأخشابها الثمينة وسائر محصولاتها وأوجه وجهي الى جهة الغرب وأريد ان سكان بلاد تهنو تهدى اليك مدائحها ولم يوجد أحسن من حوشه الكبير وما اشتمل عليه من النقوش والآثار وفيه تماثيل لرمسيس متكئ على أحد الاكتاف والصور الموجودة هنالك هي تماثيل رمسيس في عفات أوزريس فاذا كان الانسان في الحوش الثاني كانت الواجهة الامامية للباب امامه وعلى وجهها القبلي في جهة منه صورتا المقدس أمون وموت وفي الجهة الاخرى صورة رمسيس يقدم لهما الاسرى على ثلاثة صفوف الصف الاسفل من القوم المعروفين بالبرساطة أو بردسطا ورعا كانوا هم الفلسطينيين اجداد القوم الذين جاؤا بعد ذلك واستوطنوا حدود مصر والوسط من القوم المعروفين بتعناوونه والاعلى من قوم يعرفون بشكرشا وجميع هؤلاء الاقوام من سكان سواحل البحر الابيض أو سكان جزائره تعصبوا مع أهل آسيا على مصر فحاربهم رمسيس وانتصر عليهم في البر والبحر وفسر العالم دوجيه الفرنساوى النقوش التي على الجانب البحرى وقال ان القاب الملك رمسيس الثالث كلها في الجهة عشر سطر الاول وبعد ذلك اسماء القبائل المتعصبة عليه الداخلة في الحرب فمن بلاد آسيا الخيطا واعطى وقرقسكا وعرطوو وعرصاتم جملة أخرى من غيرها وهم برساطه وتكاره وشكاشه أو شكرشا وتعناوونه ووسكاشه وهؤلاء من سكان البحر الابيض وجميعهم أعني الاولين والآخرين اجتمعوا في محل بأرض الشام ليس معلوما في الوقعة الاولى انتصر رمسيس على جميعهم وفي الوقعة الثانية وكانت في البحر أكمل تشتيتهم وبددهم تبديدا وتخلصت مصر بهمة هذا الفرعون من هؤلاء القوم العادين وحفظت حدودها التي كانت لها مع مملكة آسيا وبالدخول من الباب يتوصل الى الحوش الكبير وهو من أحسن ما تركه المصريون من الآثار فان جهاته الاربع من تدبدها ليز ومكسوة بالنقوش ذات الالوان الجميلة ويسبق الدهليزين البحرى والقبلي أعمدة ضخمة والشرقي والغربي سقوفهما على اكتاف تستند عليها صورة الملك وفي وسط الحوش أعمدة ملقاة على الارض ما بين صحيح ومكسور ويظهر أن هذا الحوش جعل كنيسة فيما بعد حين كانت مدينة آبو مسكونة بالقبط والنقوش التي على جدران الدهاليز الاربعة كثيرة جدا يعجز الانسان عن الاحاطة بمشتملاتها ورموزها ففي اعلى شمال الداخل رسم صورة حرابة وفيها الملك كأنه على عربته يجول في المعركة بين صفوف الاعداء وهم من الليبيين ويرى في الرسم ان بعضهم يقع فوق بعض وعلى الواجهة الجنوبية رسم الملك ورؤساء جيوشه يقدمون اليه الاسرى ويقرأ في النقوش ان الاحياء من الاسرى ألف والاموات منهم ثلاثة آلاف ويقرب ذلك كتابة مما يتعلق بهذه الوقعة لكنها ممحوة لا يمكن قراءتها وفي لوحة ثالثة يرى الملك في دخوله مصر وأمامه فرق من الاسرى مكبلين في القيود وحولهم العساكر ولوحة رابعة فيها دخوله طيبة وهو يقدم الاسرى الى المقدسين ورسوم هذه الوقعات انما هي في أسفل الواجهة الشرقية والجنوبية والشمالية من الحوش واما ما في أعلاها فقد وصفه جامبليون فقال ان رمسيس خارج من سرايته محمولا في محفة مزينة بأنواع الزينة على أكتاف اثنى عشر رئيسا من أمرائه وتاجه مزين بريش النعام وهو في أبهته وملابسه الملوكية جالس على تخت مزين بتماثيل العدل والحق وهما اعتناقان من الذهب لهما أجنحة منشورة كأنهما تظللانه وفي جانبي التخت صورة أبي الهول وهي علامة العقل والقوة وصورة السبع وهي علامة الشجاعة كأنهما يحفظانه وكأن كثيرا من امرائه يروحون على وجهه بالمراوح ويقربه أطفال من أولاد الكهنة يسيرون بسيره ويحملون قضيب الملك وجعبة السهام ونحو ذلك من لوازم الملك وخلف المحفة تسعة من عشيرته الاقربين مع بعض امرائه يمشون صفين وبعد ذلك يأتي باقي أقارب الملك وعائلته

ومنهم جملة متكهنون ثم ابنه البكرى وبعده رئيس الجيوش يطلق البخور امام الملك وغير ذلك عساكر تحمل كرسى التخت وسلاليمها وبعدهم فرقة من العساكر فى آخر الموكب ومثالهم أمامهم وأمام الجميع تخت الآلاتية مشتمل على المغنين والطبل والمزمار والكاس وأهل الالحان ولما دخل الملك معبد هورس وقرب من المحراب أطلق البخور وقد حمل اثنان وعشرون من الكهنة تمثال المقدس على تخت وجعلوا يطوفون به فى وسط جملة مراوح وغصون من الازهار ويرى الملك واقفا على قدميه تعظيما للمقدس وعلى رأسه تاج البلاد السفلى وهو يمشى أمام التمثال خلف العجل الابيض المعتبر انه التمثال الحى لامون هودوس أو أمون راروح أم المقدس وكان أحد الكهنة يبخر العجل وترى زوجة الملك فى أعلى الرسم كانها من المتفرجين ووقت قراءة أحد الكهنة الدعاء بصوت مرتفع هو حين مجاورة نور المقدس عتبة المعبد وحينئذ يقدم تسعة عشر كاهنا يحملون أمتعة المقدس كالمواعين وأدوات العبادة وسبعة على اكتافهم تماثيل اسلاف الملك يمشون بها ثم يأتى أربعة طيور هى الحراس أولاد أوزريس الحافظون للاربع نقط الاصلية فيرسلهم رئيس الكهنة فى الافق لكى ينشروا فى أربع جهات الدنيا ان رمسيس قد لبس تاج الملك على الجهات العليا والسفلى وقال شامبليون ان منتهى العبارة بين حال الملك وهو يؤدى الشكر لاقدس المعبد وأمامه جميع الكهنة وأهل بيته ويرى انه يحش جرزة من القمح ثم يلبس المغفر بمثل حال خروجه من السراى ويستأذن من المقدس فى الانصراف ويدخل المقدس فى محله وفى كل ذلك تحضر الملكة زوجته ويتوسل الكاهن بالآلهة ويناديهم واحدا واحدا ويقرأ صلوات طويلة ويقوم بقرب الملك العجل الابيض وصور أجداده وقال مريت بك أيضا وقد حاولت اخراج الاتربة المغطية للجهة الغربية من الحائط حتى كشفتها فوجدت النقوش التى عليها متعلقة كلها بالديانة وأما ما على الحائط القبلية من خارجها ففيه بيان الاعياد والمواسم السنوية التى كانت جارية فى هذا المعبد وعلى الحائط الشمالية عشرة ألواح يظهر أنها فى خصوص واقعة حربية كانت فى السنة التاسعة من سلطنة رمسيس المذكور بينه وبين اللببيين والقوم المعروفين بالتكار وفى اللوحة الاولى يرى الملك وعساكره كأنهم يسيرون متسلحين بآلات الحرب وفى اللوحة الثانية يرى التحام الحرب ونصرة المصريين على قوم من اللببيين يعرفون بتماهو وان الملك يحارب بنفسه والقتلى كثيرة بين يديه وفى الثالثة ان عدد القتلى اثنا عشر ألفا وخمسمائة وخمسة وثلاثون وفى الرابعة مقالة من الملك خطابا للعساكر ورؤسائهم وكأن العسكر تحت السلاح مستعدون للسير ثانيا الى العدو وفى الخامسة سفر العساكر ومقالات فى مدح الملك وشكر المقدسين وفى السادسة حرابة مع التكار وفيها النصرة للمصريين والملك يقاتل بنفسه والاعداء طرحوا حوله وهو يهجم على معسكرهم والنساء والاطفال يهربون على عربات تسحبها الاثوار وفى السابعة يرى سير الجيش فى بلاد بها السباع كثيرة وان الملك قتل منها سبعا وجرح آخر والغالب ان هذه الارض هى التى قتل فيها أمينوفيس الثالث مائة سبع وعشرة فانه قد وجد على صورة جعل موجودة فى خزانة التحف بولاق ان أمينوفيس يفتخر بقتل هذا العدد بيده فى العشر سنين الاول من سلطنته وفى الثامنة وقعة بحرية بقرب الساحل فى مصب نهر وأن مراكب التكار ويساعدها مراكب سردينيا وقد هجمت على مراكب المصريين والتحم الحرب بين الفريقين ورمسيس فى البر ومعه الرماة يذب عن مراكبه وفى التاسعة يرى سير الجيوش الى مصر فى رجوعهم من هذه الواقعة وقد وقف الملك فى حصن مجعول لعد القتلى بتعداد الايدى المقطعة من أجسادها والاسرى تمر أمامه وهو يلقى مقالة على أولاده ورؤساء جيوشه وفى العاشرة دخوله طيبة وأداؤه الشكر للمقدسين وفيها مقالة تتعلق بالمقدسين ودعاء الاسرى للملك وطلبهم منه الرفق بهم وابقاءهم على قيد الحياة ليذكروه بالشجاعة الى آخر العمر انتهى مترجما من كتاب مريت بك وهذا آخر ما أردنا ذكره من الكلام على ما بقى فى مدينة طيبة من آثار مساكن الاحياء فيجب ان ننتقل الى التكلم على مقابر الاموات أو مدينة الاموات حسبما كان يسميها به مؤرخو اليونان فنقول ان هذه المقابر كانت قريبة من المدينة وكان كل من دخلها لا يكاد يبرح منها ولذا كانت دائما آخذة فى الزيادة وطيبة آخذة فى النقص حتى اعترى طيبة الخراب دونها وكان المصريون يعتقدون ان الروح لا تفارق الجثة مادامت باقية فبذلوا جهدهم فى اتخاذ قبور لا تغيرها الايام فالفراعنة الاول أحدثوا الاهرام ومن جاء بعدهم اختاروا الجبال فنقروا فيها مغارات واتخذوها قبورا خوفا من ان يسطو الدهر على الاهرام فيدمرها ويخرب بها فقابر

الامراء والاعيان فى الجبل الكائن فى مقابلة طيبة من جهة الغرب ولا يعلم فى أى موضع كانت تدفن الفقراء والاهالى هل فى موضع من الجبل غير هذا لم يصر فتحه أو فى جبل غير هذا وكانت قبور الفراعنة بعيدة عن الاحياء مختفية عن الاعين ومن أراد الوصول اليها يفارق الجبل الغربى ويدخل واديا قفرا كأنما هو صورة الموت نفسه فيجد جبلا جعلت هؤلاء الفراعنة قبورها فى صخوره كل قبر منها كناية عن سراى مشتملة على عدة قاعات أو منقسمة الى طبقات بعضها فوق بعض يدخل اليها من دهليز ضيقة وفى داخلها الكتابات الملونة بالالوان النضرة من دون ان يعتريها عوارض الدهر وقال مريت بك ان الانسان اذا أراد الوصول الى مقابر بيبان الملوك فبعد أن يتجاوز معبد القرنة يرى فى حال سيره على يمينه تلولا بها حفر كثيرة وهى المعروفة عندهم بذراع أبى النجاه وهى أقدم مقابر طيبة وبها قبور العائلة الحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة وان قبر الملك انتف من العائلة الحادية عشرة كان فى هذا الموضع والجرن الذى كانت به جثته يوجد الآن فى باريس وبهذا الموضع أيضا قبر الملكة عاهوتيب وقلائدها ومصاغاتها التى عثر عليها هنالك هى الآن فى خزانة التحف ببولاق ويظهر أن الاهتمام فى تلك المدة لم يكن بالمقابر بل بالموميات ثم يصعد الى جهة الجنوب فيصل الى العصاصيف وهو محل أرضه حجرية وبه قبور بعض ملوك العائلة التاسعة عشرة والثانية والعشرين والسادسة والعشرين ويظهر من حال تلك القبور أن الاعتناء فى زمن هؤلاء العائلات كان بالمبانى الظاهرة وان مومية الاموات لم تكن فى قاع آبار كما فى مقابر صقارة بل كانت تدفن فى الارض على عمق مترا ومترين انتهى وفى خراب العصاصيف باب من الصخر مكتوب عليه ان بانيه الملكة رآماكا أخت الملك طوطموزيس المكتوب اسمه على مسلة الكرنك وقد مسح طوطموزيس اسم أخته وكتب اسمه مكان اسمها بدليل انه بقى بعد مسحه علامة التأنيث آخر كل كلمة وكانت هذه العلامة مجهولة الى ان كشفها شامبليون الصغير ومن ذلك الوقت نسبت العمارة لصاحبتها التى لم يمسح أخوها اسمها الا لاسباب سياسية أوجبت بينهما الشقاق والنزاع وبقرب العصاصيف يوجد قبر مركب من ثلاث طبقات وهو أوسع القبور مساحته عشرون ألف قدم مربع ومن النقوش التى وجدت فيه استدل على انه قبر كاهن اسمه سبتموس وهو فيه بمفرده ولم يذكر فى النقوش غير اسمه واسم أمه ولا يوجد فيما أظن أحد من الناس يشغل قدر ما من الارض بعد موته كما شغل هذا الكاهن ويقوى ذلك ما قاله هيرودوط ان المصريين كانوا لا يهتمون ببيوت الحياة اهتمامهم بقبورهم لعلمهم ان مدة الحياة قصيرة وعما قليل يتركونها فكانوا يحفرون قبورهم فى الجبال ويعتنون بشأنها لطول زمن الاقامة فيها ولهذا لا يوجد الآن منزل من منازل العائلات القديمة وانما توجد قبورهم بكثرة قال مريت بك وبعد مجاوزة العصاصيف يتوصل الى الشيخ عبد القرنه وقرنة مرعى وعما حلان فيهما قبور بسفح الجبل ابوابها مرتفعة تشاهد من بعد والقبور فى تفاصيلها اشبه قبور صقارة وبنى حسن وهى عبارة عن اود منحوتة فى الصخر شبه الزاوية التى يجتمع فيها الاحياء فى المواسم وفى الاوده سرداب يتوصل منه الى الميت والنقوش التى بها تدل على الاحوال المنزلية ففى قبر أمير يعرف بهوى من أمراء العائلة الثامنة عشرة نقوش قد تلف بعضها وهى مما يعتنى به فمن مضمونها أن هوى كان قد تقلد حكمدارية النوبة والسودان فلما ذهب اليها قابله أقوام كثيرة بالتعظيم والاجلال بعضهم سود الالوان مع انفتاح وبعضهم كذلك لكن بتقاطيع أهل المغرب وبعضهم بيض الالوان شبه المصريين ومعهم نساء بيض الالوان وكأنهم يهدون اليه زرافات وأبقارا قرونها تنتهى باشكال أيدى الآدميين وأقراطا من الذهب وسبائك من النحاس وجلود حيوانات وحشية ومراوح بنصابات طويلة وريش نعام ويرى فى لوحة أخرى أن هوى رجع من بلاد الرتنو (العراقيين) وان الملك جالس على تخته وهو أمامهم يقدم له رسل هؤلاء الامم وعليهم ملابس شبه القفاطين الملونة وعند بعضهم مابين أحمر وأبيض لا يسترون الا أوساطهم ولحاهم جميعا مذبذبة كالقدوم وهم يقدمون الى الملك خيولا وسباعا وسبائك من المعادن وأوانى من الذهب والفضة دقيقة الصنعة قال ثم ينعطف الانسان الى مقابر الدير البحرى وفى طريقه يدله الخبراء على قبر بيتامنيوفيس ويلزم لداخله أن يكون معتادا على شم خرء الوطواط لكثرة ذلك فيه جدا وفى النهاية الغربية للعصاصيف يوجد اقدم مقابر العائلة السادسة والعشرين وأحدث مقابر خلفاء الاسكندر والمعبد الذى فى الدير البحرى انما بنى لبقاء ذكر الملكة هترزو وعلى جدرانه نقوش تدل على أن هذه الملكة سميت باسماء مختلفة بحسب كونها فى الملك مع أخويها طوطموزيس الثانى والثالث

أو كونها بطريق التوكيل عن طوطمس وزيس الثالث أو كونها ملكة مستقلة والى الآن لم تفسر تلك الاسماء وهذا المعبد مؤسس على شكل المعابد المصرية فيرى فيه طريق مهدمة كلها كانت مزينة بصور أبى الهول ومسلتان لم يبق الا كرسى كل منهما وهو عبارة عن حيشان بعضها فوق بعض ويتوصل من أحدها الى الآخر بمزلقانات ويظهر أنه قد اتخذ مقابر من ابتداء العائلة الثانية والعشرين وفى احدى أوده وجدت المومياءات مرصوصة بعضها فوق بعض الى السقف فطبقاتها السفلية من زمن العائلة السادسة والعشرين وما فوقها من زمن اليونان والنقوش التى عثر عليها تتعلق بحروب حصلت فى تلك المدة ببلاد العرب وان العسكر بعد انتصارهم جلبوا معهم هدايا وأسرى وأموالا كثيرة وبعد ذلك يصل الى بيبان الملوك وفى فرع منها قبور العائلة التاسعة عشر من الفراعنة والعائلة العشرين وفى فرع آخر قبور العائلة الثامنة والعشرين والسياحون يتفرجون عادة على الاولى وبينها وبين العصاصيف ستة آلاف متر فى طريق وعرة خالية من النبات وجميع القبور منحوتة من الصخر وتتركب من دهاليز عميقة مع ميل وانحدار وقبر الملك مقفل بحائط والارض حوله مستوية بحيث لا يعرف أين هو ولا أين بابه بخلاف ما تكلمنا عليه من القبور السابقة وهناك محلات جسيمة معدة لجمعيات الاحياء والذى عثر عليه من القبور لغاية سنة ألف وثمانمائة وخمس وثلاثين ميلادية احد وعشرون قبرا وباستمرار الحفر بلغت الى الآن خمسة وعشرين بعضها الامراء من بيوت الملوك وغيرهم ويؤخذ من كلام استرابون أن مقابر الملوك منحوتة فى الصخر شبه مغارات وأن عددها أربعون قبرا فعلى كلامه ربما يوجد باقيها باستمرار الحفر لكن اذا فرضنا أن استرابون لم يدخل فى هذا العدد مقابر وادى الملكة فينبغى ملاحظة ان الملوك الاول من العائلة الثامنة عشرة لم يدفنوا فى بيبان الملوك وأن المدفونين هناك أولهم امينوفيس الثالث ومنه الى الآخر من العائلة العشرين صاروا معلومين لم يفتنا منهم الا الملك هودوس وزمن هذا الملك غير محقق والغالب على الظن بفرض أنه هو الآخر من العائلة الثامنة عشرة أن قبره يوجد فى الوادى الغربى مع قبور الملوك القريبين من عصره فاللائق حينئذ الحفر فى الوادى الغربى الذى هو وادى الملكة لا فى وادى الملوك ثم ان أعظم جميع هذه القبور وأشهرها هو قبر سيتا الاول وقد استكشفه السياح بلزونى منذ خمسين سنة وعند فتحه وجد به امارات تدل على أن غيره عثر عليه قبله وفيه نقوش هائلة تدهش العقل مغايرة لنقوش قبور صقارة وقبور بنى حسن ففى هاتين يرى الميت كأنه مع أهله والكل مشتغلون بامور منزلية كالمفروشات والاوانى والزرع والحصد والصيد وتربية الحيوان من بهائم وطيور وفى مقابر بيبان الملوك يرى صور المقدسين بهيئات مستغربة عجيبة وصور ثعابين هائلة كأنها تجرى فى أطراف المحل وفى السقوف والارض وصور اناس يعذبون البعض تقطع رأسه والبعض يلقى فى النار وغير ذلك من انواع العذاب فالمطلع عليها ان لم يكن عالما بالديانة المصرية القديمة ورموزها يحصل له انزعاج وحيرة وكذا ما يؤخذ من كلام المؤرخين أن المصريين كانوا يتحاكمون فى الميت بعد موته ليعلموا بذلك من يستحق الدفن من غيره فهو أيضا مما يوقع فى الحيرة ولكن جميع هذه الامور انما هى رموز واشارات لما يحصل للميت بعد الموت فجميع النقوش التى على جدران القبر من ابتداء باب الدخول الى آخر مقره اشارات للاحكام المتعلقة بالروح بعد مفارقة الجسد بحسب ما اكتسبته فى دار الدنيا من خير وشر مثلا الثعابين التى ترى فى القبر كأنها تجرى هى رمز لاول عقبة سماوية للروح فى صعودها للسماء فان لم تكن من أهل الخير منعها أهل هذه العقبة من الصعود فاذا كانت من أهل الخير صعدت الى العقبة الاخرى وهكذا فاذا خلصت من جميع العقبات كانت من أهل الخير وصارت من المقدسين وتسبح مع الروحانيات فى عالم الكواكب الذى لا ينتهى فالاود التى فى القبور اشارة الى العقبات والنقوش التى على الجدران كأدعية وابتهالات تقولها الروح استغاثة أو تعظيما للاله وفى آخر أوده يرى دخولها فى الحياة الابدية التى لا يعقبها موت ولما كشف بلزونى هذا القبر كان به جرن من المرمر هو الآن فى بلاد الانكليز عند مسيو سلوان واستكشف السياح بوروس الانكليزى قبر رمسيس الثالث فوجدت نقوشه أقل اتقانا من نقوش قبر سيتا الاول وفى وسطه بجهتى الدهليز أود عليها نقوش ورسوم مهمة فيرى فيها رسوم المراكب والمفروشات والاوانى والاسلحة ودروع الحديد وغير ذلك وفى بعضها رسم جماعة كأنهم يضربون العود حتى ان السياحين جعلوا ذلك علما يعرف به هذا القبر وكان به جرن من الصوان الاحمر قد اخذه مسيو سلط وهو الآن بسراى اللوبر من بلاد فرانسا وغطاؤه فى مدينة كمبريج من بلاد الانكليز وفى هذا

القبر كتابة يونانية قديمة فمنها يستدل على أن السياحين كانوا قد يعاً من زمن البطالسة يأتون الى هذه القبور للفرجة وقبر سيتا الثانى يوجد فى آخر الوادى الغربى وهو يمتاز بغلظ النقوش المحفورة فى الحجر عند المدخل وقبر سيتا الرابع يمتاز بسعة الادوار وارتفاعها وبه حجر ضخم وهذه الاربعة هى أحسن القبور الموجودة هنالك ويليها قبر رمسيس السادس والكتابة الرومية التى على جدرانه تدل على أن الاقدمين كانوا يسمونه قبر ممنون ولم يعلم سبب هذه التسمية وعلى سقوفه نقوش فلكية ثم قبر رمسيس التاسع ونقوشه كثيرة جدا وأغلبها متعلق بأمر التناسل ولعل ذلك رمز الى رجوع الانسان للحياة بعد موته واتصافه بالحياة الباقية الموعود بها وأما باقى القبور فتشابهة ولا أهمية لذكرها انتهى مريت بك والعادة أن يكتب على القبر اسم صاحبه ويكون مدخله مدحرجا تارة سهلا وتارة صعبا بحسب قلة الانحدار وكثرته وفى بعض كتب الفرنساوية قد عملت مقارنة بين عمارات مدينة طيوة خصوصا عمارات الكرنك وبين عمارات اليونان والرومانيين وغيرهم من الامم وقال فى مقدمة ذلك انه مهما كان من الوسائط والاجتهاد فى شرح المبانى المصرية لا يمكن به الوصول الى الاحاطة بأحوالها ودقائقها لان هنالك أشياء يعجز اللسان والقلم عن تفهيمها والتوقيف على الغرض منها ولا بد من النظر اليها لمريد الوقوف عليها لان الرسم وان كان يهيئ للنظر مجموعها ويبين نسب أجزائها وأوضاعها بعضها لبعض لكنه لا يوفى بدقائقها وما لها من البهجة والمحاسن بل كثيرا ما يؤدى الى استثقال المرسوم ومجه مع أنه بالمعاينة يرى فى غاية الحسن وتميل اليه النفس اذ بالرؤية يظهر فضل الاضواء والظلال ونحو ذلك مما لا يظهر بالرسم مع كثرته وتغيره بحسب الاماكن والمرسومات من أشجار أوبحار ومعلوم أن لكل جهة حكما ومزايا لا تكون فى غيرها فكثرة ممارسة المصريين للاعمال المناسبة لاحوال القطر أوقفتهم على اتقان الصنائع التى تناسب القطر وعرفوا ما يناسب استحداثه فى كل جهة بحيث يكون بين الجهة ومحدثاتها ائتلاف تام ومناسبة كلية وتنافسوا فى ذلك والعمائر والاوضاع التى فى غير هذا القطر وان كانت حسنة جميلة فى مواضعها فلا يلزم أن تكون حسنة فى هذا القطر اذ لم يلاحظ فى احداثها الا أحوال جهاتها وطبائع أهلها لا أحوال هذا القطر وطبائع أهله ولما كان كل ما يراه الانسان من الاشياء لا يحكم عليه بكبر أو صغر الا بمقارنته ونسبته لغيره دعتنا الاجل الوقوف على درجة أهمية عمارات مدينة طيبة ان نقارن بينها وبين ما اشتهر من عمارات الاقطار والبلاد فنبدأ بالمقارنة بين عمارات الكرنك وعمارات الاروام والرومانيين فاما عمارات الاروام وخصوصا ما بنى منها فى زمن بيراكليس وهو الزمن الذى بلغت فيه الفنون منتهاها وكانت فيه مدينة أثينة فى أقصى درجات أبهتها وشهرتها فكانت مع ذلك قليلة الاتساع بالنسبة لعمارات مدينة الكرنك وأما معبد تيزيه فكان قليل الامتداد جدا لا ينبغى ان يدخل فى المقارنة ومثله باقى عمارات اليونان الباقى أثرها الى الآن كعمارات مدينة بيستى وكان أحسنها معبد بوزيدونيا وذلك ان طول معبد تيزيه كان مائة قدم واصبعا واحدا وعرضه اثنين وأربعين قدما وأحد عشر اصبعا وأربعة خطوط ومعبد منيروا كان طوله مائتين وأربعة عشر قدما وعشرة أصابع وأربعة خطوط وعرضه خمسة وتسعين قدما واصبعا وستة خطوط وقطر عمدانه خمسة أقدام وثمانية أصابع فعمارات الاروام كانت عند امتداد شهرتهم قليلة الابعاد كثيرة الزخرفة والبهجة وفى زمن تحكم الرومانيين عليهم بنى فى اثينة معابد دخلت فيها الفخامة والاتساع مع الزخرفة والزينة وأعظم جميعها وأكبرها معبد جوبيتر اولنبيان وقد ضاعت معالمه وآثاره بالكلية وأما المقارنة بين عمارات طيبة وعمارات تدمر وبعلبك ففى كلام السياحين ان الآثار الباقية فى هاتين المدينتين كانت محكوما عليها قبل الاطلاع على عمائر طيبة بأنها غاية ما يمكن فى قوة البشر فعله من حيث الجسامة والزخرفة فان من مبانى تدمر المشهورة معبد الشمس كان فى داخل سور طوله مائتان وستة وأربعون مترا وعرضه مائة واحد وعشرون مترا وبه ثلاثة أو أربعة وستون عمودا قطر العمود متر وأربعة أعشار متر وارتفاعه خمسة عشر مترا وطول خرابه الآن سبعون مترا فى عرض اثنين وأربعين والباب والدهليز مكونان من احد وأربعين عمودا من الرخام الابيض يزيد ارتفاع العمود عن ستة عشر مترا وليس التعجب من كبر هذه العمارة بل من زينتها وزخرفتها فى كل محلاتها من الكرانيش ومحيط الابواب والشبابيك وغير ذلك فانها وان فاقت عمارات طيبة من حيث الزينة وتناسب الاوضاع لكن عمارات طيبة تفوقها بكثير من حيث كبر الامتدادات ونخامة النقوش وكثرتها فان طول سراى الكرنك

وحدها

وحدها بدون ملحقاتها ثلثمائة متر وثمانية وعرضها مائة متر وعشرة أمتار ومعبد الشمس بتدمر منعزل فى داخل السور بخلاف سراى الكرنك فان سورها يشتمل على مبان كثيرة قريب بعضها من بعض وان امتازت عمارة مدينة تدمر بكثرة العمد التى كل واحد منها قطعة واحدة وتمتد على جانبى الطرقات الثلاث الموصلة الى باب النصر ويشغل طولها ألفا ومائتين وتسعة وعشرين مترا وعدد العمد ألف واربعمائة وخمسون والباقى منها الى سنة الف وثمانمائة ميلادية مائة وتسعة وعشرون عمودا فمدينة الكرنك تنافسها وتمتاز عليها بطرقها المزينة فى جوانبها بصور أبى الهول فان هذه الصور لو وضع بعضها بجوار بعض لشغلت من الفضاء نحو ألفين وتسعمائة وخمسة وعشرين مترا وأحد هذه الطرق طوله ألفا متر وعدد ما كان موجودا من هذه التماثيل لم يكن أقل من ألف وستمائة وكان الموجود منها الى سنة ألف وثمانمائة مائتى تمثال ولاشك أنها تحتاج لعمل ومادة أكثر مما تحتاجه عمد تدمر واذا كان فى تدمر آثار هائلة وعمد من الصوان ضخمة قطعة واحدة فالكرنك التى هى بعض مدينة طيبة كان بها معابد كثيرة وأبواب نصر وأبواب ضخمة شاهقة وأكثر من أربعين تمثالا كل واحد قطعة واحدة من الصوان وفى تدمر عمودان اثنان من عمد النصر ارتفاع الواحد تسعة عشر مترا وفى الكرنك أعمدة نصر كثيرة أكبر منهما فان ارتفاع كل واحد منها اثنان وعشرون مترا وكانت مزينة لطريق كاملة تكتنف جوانبها ومما تفوق به طيبة على تدمر أنه كان بها ثمان مسلات كل واحدة من حجر واحد وكان الموجود منها فى سنة ألف وثمانمائة أربع مسلات ارتفاعها فوق ما يتصوره الانسان وكان بها سبعة أبواب نصر هائلة غاية فى الارتفاع وسبعمائة وخمسون عمودا منها ما قطره مساو لقطر عمود السوارى بالاسكندرية وكان فى طيبة أيضا سنة ألف وثمانمائة سبعون تمثالا يفوق أصغرها صورة الانسان الطبيعية بل منها ما ارتفاعه ثمانية عشر مترا ومحيط مدينة تدمر خمسة آلاف متر وسبعمائة واثنان وسبعون مترا وهذا انما هو قدر خراب الكرنك وحدها ومحيط مدينة طيبة كان يقرب من خمسة عشر ألف متر وأما مقابر تدمر التى شاع ذكرها وكانت أبراجا مربعة الشكل على خمس طبقات مبنية من الرخام الابيض ومزينة بالنقوش وصور الآدميين وكانت فى واد يوصل الى المدينة فاين هى من قبور بيبان الملوك المدفون بها ملوك أقدم المصريين شتان ما بينهما فان أكبر تربة من ترب تدمر لا يزيد طولها على خمسة عشر مترا والعرض بنسبة ذلك وغاية ارتفاعها ثلاثة وعشرون مترا بخلاف المغارات المدفون بها ملوك مصر التى استكشف منها احدى عشرة مغارة فان عمق أكبرها مائة وأحد عشر مترا والبقية تقرب من ذلك وداخلها يمتلئ قلبه مهابة واعتبارا ويتخيل لها كبرا أكثر من ذلك فان امتازت مقابر تدمر بالزخرفة ودقة النقوش فاقتها قبور بيبان بالاتساع وكبر النقوش الشاغلة لجميع جدرانها الباقية على بهجتها كأنها نقشت بالامس وهذه التحف والزخارف فى هاتين المدينتين تدل على ان كلا منهما كان مركزا للتجارات الثمينة والصنائع النفيسة مدة مديدة وان مدينة طيبة استقلت بذلك زمنا أكثر من المدينة الاخرى فلما فارقتها التجارة واستقلت بها مدينة منف كان ذلك سببا فى سعادة مدينة منف وتقهقرت هذه المدينة وبعد ذلك تقاسمت المتاجر مدن الشام ثم رجعت الى مصر فاستقلت بها الاسكندرية حتى فاقت سائر مدن الدنيا وأما مدينة بعلبك فهى مثل مدينة تدمر وعمائرها كعمائرها وكان بها معبدان عظيمان طول أصغرهما ثلاثة وثمانون مترا وعرضه اثنان وثلاثون مترا فهو قريب الشبه بالمعبد الجنوبى للكرنك وارتفاع عمده بالكرسى والتاج ستة عشر مترا وبدن العمود مكون من ثلاث قطع وطول المعبد الكبير ستة وتسعون مترا وعرضه نصف ذلك وطول سوره مائتان وتسعة وتسعون مترا وعرضه مائة وستة وثلاثون مترا فيدخل فيه أولا من بوابة شاهقة الى حوش مثمن الشكل ثم الى حوش مستطيل مزين بدهاليز وهو متخرب أكثر من المعبد الصغير وجمع مبانيه انما هى قدر سراى الاقصر وهنالك حجارة جسيمة ثلاثة منها موضوعة على ارتفاع قدره عشرة أمتار وطول جميعها باتصال بعضها ببعض ستة وستون مترا ومنها حجر طوله احد وعشرون مترا ويتعجب السياحون من ارتفاعها هذا الارتفاع ولكن أين ذلك مما فى مدينة طيبة من المسلات الهائلة ونحوها هل يقارن هذا بذاك واذا قورن بين مبانى طيبة ومبانى رومة الكبيرة يكون الفرق أكثر من ذلك مع ما عليه مدينة رومة من التزين بالمبانى الفاخرة الباقى الى الآن كثير منها مثل معبد جو بتير استاتور وجو بتير طونان وأنطونان وفونتين ومعبد الشمس ومعبد القمر ومعبد السلم الذى بناه واسبيسيان فجميع هذه العمائر انما تقارن بالمعبد القبلى للكرنك

وحدود من المبانى الجديدة فى رومة كنيسة بطرس قبتها مرتفعة قدر مائة وسبعة وثلاثين مترا وهذا الارتفاع يقرب من ارتفاع الهرم الكبير وطول الكنيسة مائتان وثمانية عشر مترا وعرضها مائة وخمسة وخمسون مترا وحولها مبان فى شكل الحدوة زادت فى اتساعها فصار طول الجميع يبلغ أربعمائة وسبعة وتسعين مترا وهذا البعد ينقص سبعة وثلاثين مترا عن البعد الذى بين أبى الهول القائم قدام الباب الغربى لسراى الاقصر وبين الباب الشرقى وفى ايطاليا تجددت مبان فى الاعصر القريبة تشبه المبانى القديمة فى الاتساع من ذلك سراى كزرت طولها مائتان واحد وثلاثون مترا وعرضها مثل ذلك فأرضها تنقص قليلا عن سراى الكرنك وفى الاندلس من المبانى الفخيمة قصر اسكوريال طوله مائتان وسبعة وثمانون مترا وعرضه مائتان واحد وسبعون مترا وهو عبارة عن جملة مبان شاهقة تفصلها حيشان متسعة وفى فرانسا من مبانى ورساى قصر من أعظم المبانى طوله من ابتداء ايوان التياتروالى مغرس شجر البرتقان أربعمائة وأربعة عشر مترا وفى باريس واجهة سراى التويلرى ثلثمائة وأربعة وعشرون مترا ودهاليز سراى اللوفر طولها أربعمائة وخمسة وستون مترا ومن نهاية الى أخرى ستمائة وتسعة وستون مترا وهذه المبانى وان كانت غاية فى الكبر والاتساع لكن لا نسبة بين كمية ما دخل فيهما من مواد الابنية وبين ما دخل فى مبانى مدينة طيبة لخفة هذه عن تلك بكثير فقد بان لك فضل عمائر مدينة طيبة على جميع عمائر الدنيا وآثارها الباقية الى الآن شاهدة بذلك انتهى

(حرف الظاء المعجمة)

(الظاهرية) يوجد من هذا الاسم ثلاث قرى احداها بمديرية البحيرة من مركز شبرخيت غربى بحر رشيد بنحو ألفى متر فى شمال كفر العيص وعندها آثار مرتفعة عن أرض المزارع نحو عشرة أمتار تدل على فم بحر يظهر انه كان يجرى فى أرض البحيرة على ناحية نكلة وشول واسمانية ومحلة عبيد وأرمانية وهنالك تنقطع آثاره وغالبا كان يصب فى الحبس الذى آخره كفر السابى وأبنية هذه القرية بالآجر وبها جامع قديم ويزرع فى أرضها شجر الحشيشة المخدرة وقد تكلمنا عليها عند الكلام على بوتيج فانظره (والثانية) من مديرية الغربية بمركز بلاد الارز شرقا واقعة على الشاطئ الغربى لبحر دمياط فى شمال شربين على نحو ساعتين وبها جامع وقصر مشيد للامير حيدر باشا وله أطيان من ضمن زمامها (والثالثة) الظاهرية من بلاد الشرقية تابعة لشفلك وادى الطميلات الذى هو للمكاتب الاهلية وهى من ضمن نظارة الغربى وقد تكلمنا على شفلك المكاتب فى الكلام على العباسة وينسب الى ظاهرية الشرقية الشيخ عبد الله الظاهرى الذى ترجمه السخاوى فى الضوء اللامع حيث قال هو عبد الله بن محمد بن أبى بكر ابن عبد الرحمن الجمال الظاهرى ثم الازهرى الشافعى نزيل مكة ويعرف بالظاهرى ولد تقريبا سنة سبع وثلاثين وثمانمائة بالظاهرية من الشرقية بالقرب من العباسة ونشأ بها ثم تحول الى القاهرة بعد الخمسين ولازم الزينى زكريا والطنتدائى الضرير وزاحم الطلبة وتوصل لبيت ابن البرقى بتعليم ولده وصار كبيرهم يصرفه فى التوجه مع شقادف المنقطعين بدرب الحجاز التى من جهة ناظر الخاص للعقبة فادونها وأقبل على التحصيل فكان يسافر مع الصرة ويأتمنه الناس فى استصحاب ودائعهم ومتاجرهم ونحوها معه وكان يخدم قاضى مكة بشراء ما يحتاج اليه من القاهرة وحمل ما يرسله لاهلها وتزايد اختصاصه به فاتسعت دائرته سيما حين تولى زكريا القضاء ولكنه لما رأى الاختلاف والاختلال فى جماعته واختصاص من شاء الله منهم عنه قطن مكة من سنة ثمان وثمانين وصار يتجر بجاه القاضى ويعامل ويقارض ونحو ذلك من طرق الاستكثار وتزايد خوفه حين الترسيم على جماعة القاضى ثم انه تحول الى المدينة النبوية واشترى بها حديقة وصار يعامل ويضارب كعادته انتهى ولم يذكر تاريخ موته رحمه الله وايانا

عبد الله الظاهرى

(تم الجزء الثالث عشر ويليه الجزء الرابع عشر أوله حرف العين)

فهرسة الجزء الثالث عشر

من الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وقراها

صحيفة

صحيفة

(تمت)